سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٦)

شرح كتاب الفتن والحوادث

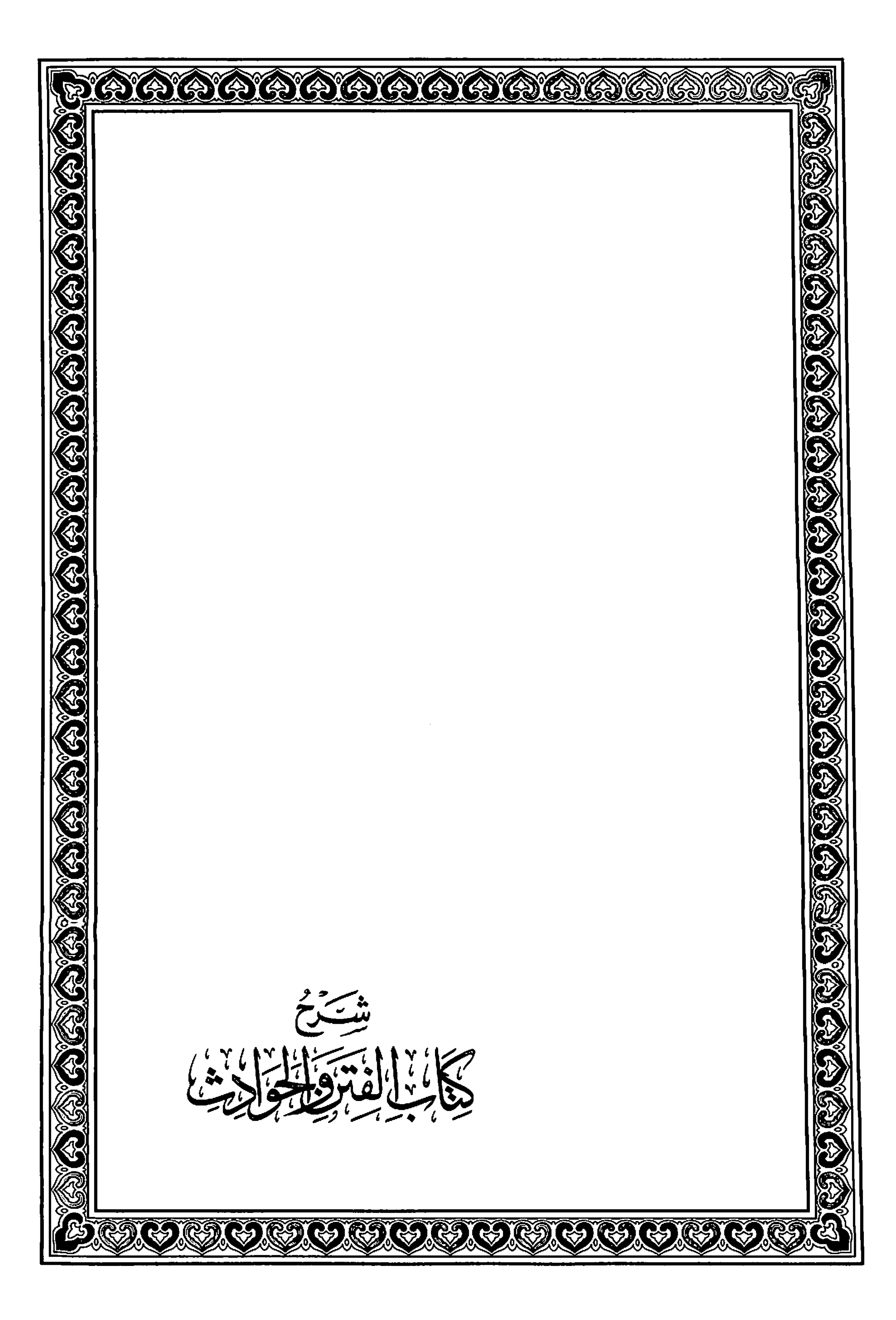
للإمام/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

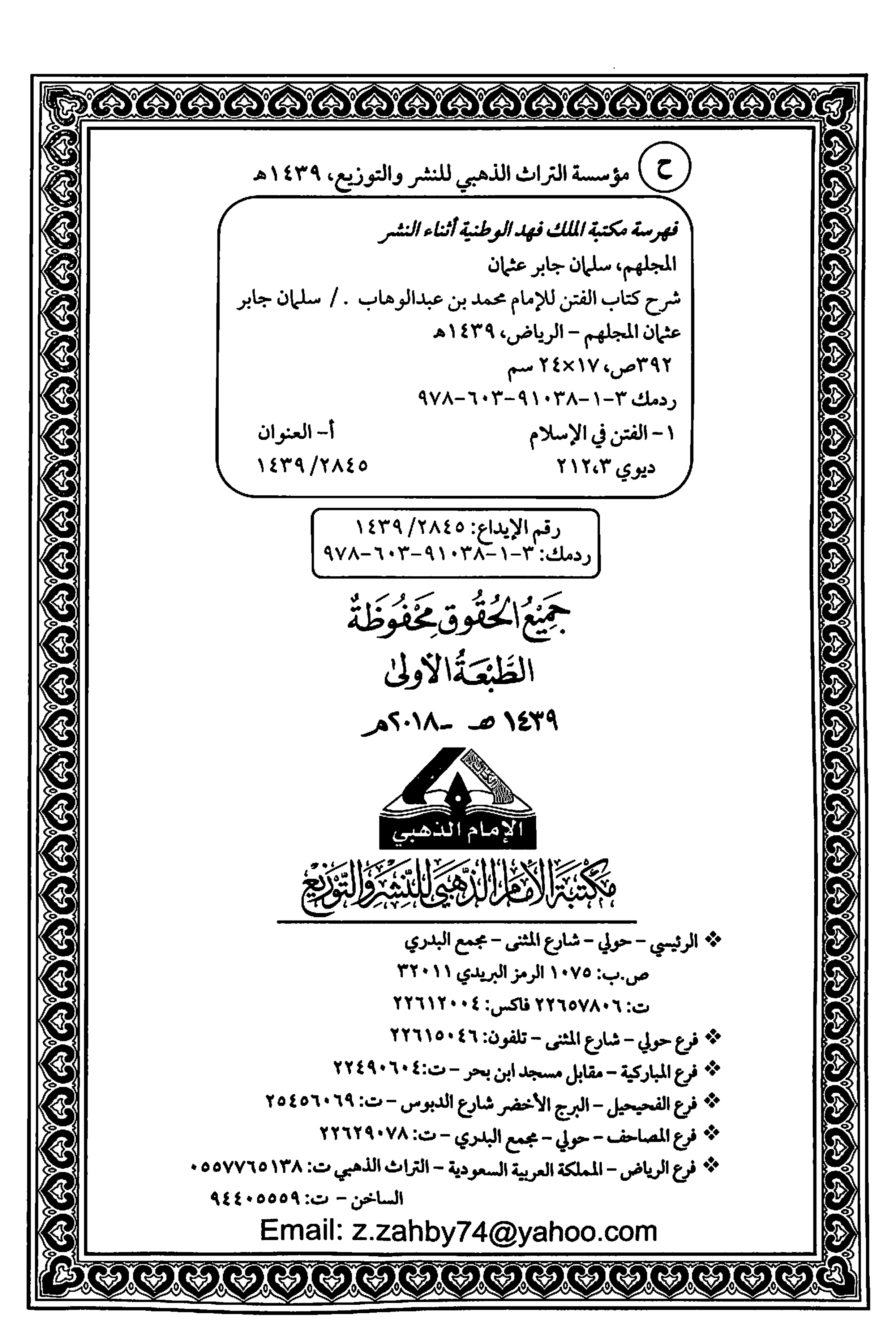
الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان بن جابر بن عثمان المعجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت


شرح
كتاب الفتن والحوادث



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجلهم، سلمان جابر عثمان

شرح كتاب الفتن للإمام محمد بن عبدالوهاب . / سلمان جابر عثمان المجلهم - الرياض، ١٤٣٩هـ

٣٩٢ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك ٣-١-٩١٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨

١- الفتن في الإسلام أ- العنوان

ديوي ٢١٢،٣ ١٤٣٩/٢٨٤٥

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٨٤٥

ردمك: ٣-١-٩١٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

❖ الرئيسي - حولي - شارع المثنى - مجمع البدري

ص.ب: ١٠٧٥ الرمز البريدي ٣٢٠١١

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤

❖ فرع حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٢٦١٥٠٤٦

❖ فرع المباركية - مقابل مسجد ابن بحر - ت: ٢٢٤٩٠٦٠٤

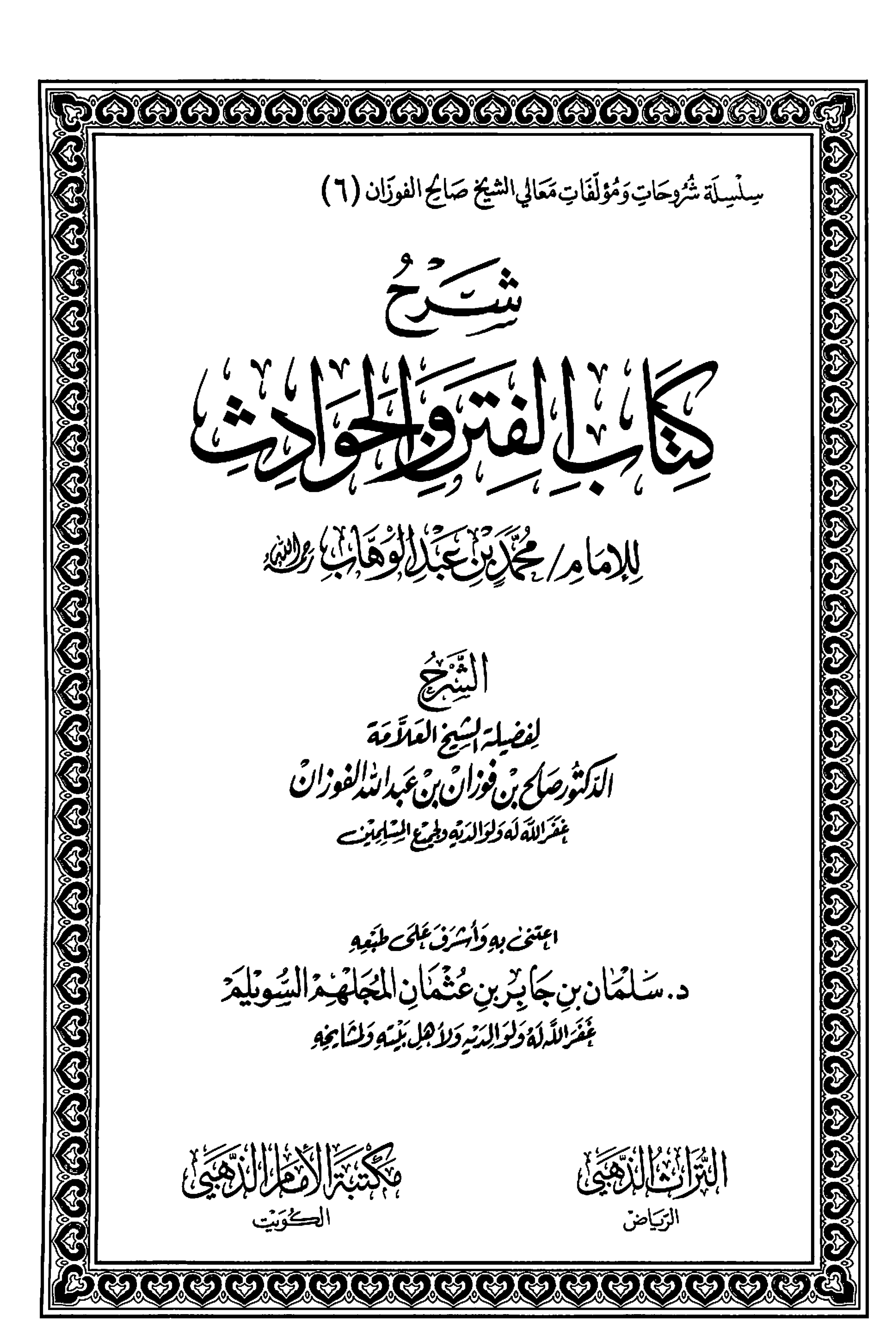
❖ فرع الفحيحيل - البرج الأخضر شارع الدبوس - ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩

❖ فرع المصاحف - حولي - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨

❖ فرع الرياض - المملكة العربية السعودية - التراث الذهبي ت: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨

الساخن - ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩

Email: z.zahby74@yahoo.com



سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٦)

شرح
كتاب الفتن والحوادث

للإمام/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد:

فقد أذنت لفضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم بطباعة : (الدروس العلمية).

رجاء أن ينفع الله بها، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

صالح

١٤٢٩/٧/٢٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبي الله ورسوله محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذا شرح لمعالي الشيخ الفقيه العلامة/ د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -أثابه الله تعالى-، لأحاديث نبوية شريفة، جمعها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي -رحمه الله، وغفر له-، وجعلها في موضوع: (الفتن والحوادث)، فابتدأ رَحِمَهُ اللَّهُ في باب الفتن بحديث أبي هريرة -رضي الله عنه، وأرضاه، وأخزى من سبه وعاداه-، وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»**.

واختتم كتابه بحديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**، والحديثان في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ.

فكأن الإمام المجدد يشير في بداية كتابه بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتحذير من الفتن التي تصيب الأفراد والجماعات، ومظهر ذلك بقوله: **«يَبِيعُ دِينَهُ»**، والسبب الرئيس هو عرض الدنيا، ويشير بحديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قيام هذا الدين العظيم بشريعته الخالدة إلى قيام الساعة، ووجود جماعة من المسلمين، يتمسكون بالحق، ويدافعون عن هذا الدين بالعلم والايمان والسنان، ولا تضرهم الفتن؛ برحمة الله، وحوله، وقوته، وإرادته المجيدة، ببقاء دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتصاره وظهوره، ولو كره الكافرون.

ومما قاله شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وطريق النجاة من صنوف الفتن هو التمسك بكتاب الله وبسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما روي ذلك عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ». فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ»... الحديث، والمقصود: أن الفتن -فتن الشهوات، والشبهات، والقتال، وفتن البدع، كل أنواع الفتن- لا تخلص منها، ولا النجاة منها، إلا بالتفقه في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة منهج سلف الأمة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن سلك سبيلهم من أئمة الإسلام ودعاة الهدى)، إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالمخلص من الفتن والمنجى منها -بتوفيق الله- هو بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بالرجوع إلى أهل السنة وعلماء السنة، الذين حصل لهم الفقه في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، والفقه بسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودرسوهما غاية الدراسة، وعرفوا أحكامهما، وساروا عليهما.

فجميع الأمة -من إنس ومن جن، وعجم وعرب، ومن رجال ونساء- يجب عليهم أن يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يسيروا على نهج سلف الأمة -من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأتباعهم بإحسان- في السلم والحرب، وفي العبادات والمعاملات، وفي جميع ما افترق فيه الناس).

ولقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب أبوابًا في غاية الأهمية؛ كالنهي عن السعي في الفتنة، وكف اللسان عن الفتنة، وذكر أمارات الساعة، وأبواب متعددة تشمل الفتن القولية والعملية، وذكر من الحوادث المستقبلية مما يكون في آخر الزمان، مما تشير إليه الأحاديث النبوية الشريفة، نسأل الله السلامة والعافية من كل شر ومن كل فتنة!

وقد كان هذا الشرح المبارك في دورة الملك سعود العلمية، دورة كبار العلماء، الدورة السادسة عشرة، في جامع الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في مدينة جدة العامرة بالمملكة العربية السعودية -حرسها الله، وشعبها، وولاتها من كل مكروه-، في يوم السبت العاشر من شعبان عام ثلاثة وثلاثين وأربعمائة وألف، إلى يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف.

وقد طبع الكتاب على نفقة الدكتورة/ آلاء بنت محمد حسن مسلم الأحمدي الحربي -وفقها الله تعالى، وأثابها، وجعل ذلك في موازين حسناتها، وغفر لها، ورحمها، وجزاها ووالديها خيرا في الدنيا والآخرة، اللهم آمين!

ومما يشار إليه أن إعداد هذا الكتاب، وطباعته، وريعه، والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه إنما هو وقف لله -تعالى.

نسأل الله أن يمن على الجميع -جامع الكتاب، وشارحه، والمنفق على طباعته، والمعتني به، وناشره- بالرحمة والغفران، وحسن الختام، والتوفيق والقبول، والحفظ والرعاية من كل الشرور والفتن -ما ظهر منها، وما بطن- بفضل الله خير الحافظين، ورب المؤمنين، رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

كتبه

د. سَلْمَان بن جَابِر بن عُثْمَان المُجَاهِم السُّوَيْلِم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَابُ الْفِتَنِ [١]

[١] بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ الْفِتَنِ)؛ أي: في ذكر ما ورد من الأحاديث فيما يقع من الفتن في هذه الأمة، وذلك لأجل التحذير منها؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرها؛ لأجل التحذير منها، وأن الإنسان يبتعد عن الفتن والدخول فيها، ومن أجل أن يصبر على ما يصيبه في دينه؛ لأن سنة الله جَلَّ وَعَلَا في عباده أنه يمتحن الناس؛ أي: يختبرهم.

والفتن: جمع فتنة، وهي الاختبار(١)، الله يختبر عباده؛ ليتبين الصادق من الكذاب، والمؤمن من المنافق(٢).

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

---

(١) قال الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/ ٢١١): (جِمَاعُ مَعْنى الفِتْنَةِ فِي كَلَام الْعَرَب الابْتِلاءُ والامْتِحَانُ، وَأَصلهَا مأخوذٌ من قَوْلك: فَتَنْتُ الفِضّةَ والذَّهَبَ إِذا أذبتها بالنَّار ليتميز الرَّدِيء من الجَيِّد). وانظر مادة (فتن) في: الصحاح (٦/ ٢١٧٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤١٠)، ولسان العرب (١٣/ ٣١٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٥).

الله جَلَّ وَعَلَا يعلم في الأزل كل ما يكون، ولكن هذا علم خاص، العلم العام هذا في الأزل، علم كل شيء -سبحانه-، وكتبه في اللوح المحفوظ، وإنما هذا علم عند وقوع الشيء، يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقوعه في وقته، ويعلم نتائجه.

فلو ترك الناس من غير ابتلاء وامتحان، لاشتبه المؤمن والمنافق، والصادق والكاذب، ولا يُعلم هذا من هذا، وجرت سنة الله جَلَّ وَعَلَا وحكمته في أنه يجري الامتحانات على الناس:

فمن الناس من يصبر ويتمسك بدينه، مهما ناله من الفتن والمشاق، وتكون العاقبة للمتقين.

ومن الناس من ينحرف عند الفتن عن دينه؛ لأنه من الأول لم يكن على أساس صحيح: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾؛ يعني: طرف، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج:١١]، تبين من هذا ما لله جَلَّ وَعَلَا من الحكمة في إجراء الفتن على العباد.



(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ [(١)].

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ»؛ أي: لا تؤخروا الأعمال الصالحة، بل بادروا بها؛ لأنكم لا تدرون ما يعرض لكم.

ولا يؤجل الإنسان العمل الصالح، بل يبادر إليه؛ لئلا يفوته؛ لأنها ستكون فتن تصرف الناس عن الأعمال الصالحة، إلا من ثبته الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: «فِتَنًا» منصوب على أنه مفعول للمبادرة.

وهذا فيه أن الإنسان يتمسك بدينه عند الفتن، ويلجأ إلى الأعمال الصالحة، ويشتغل بعبادة ربه، ولا تصرفه الفتن عن ذلك.

قليل من يثبت عند الفتن، إلا من ثبته الله، وتمسك بالأعمال الصالحة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»؛ يعني: عظيمة -والعياذ بالله-، فتن مظلمة، لا يهتدي الإنسان فيها إلى الطريق الصحيح؛ لأنها ملتبسة، إلا من أعطاه الله علمًا وفقهًا وعملًا صالحًا، ينجو به من هذه الفتن.

هذه الفتن إذا جاءت، فإن الناس يختلفون فيها؛ فمنهم من يثبت على دينه مع ما يناله من المشقة، ومنهم من ينحرف، وهم كثير.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٦) (١١٨).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا**»؛ يصبح مؤمنًا -على الإيمان-، ثم ينحرف، في آخر النهار يمسي كافرًا، والعكس: يمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، ما السبب؟ «يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»، فهذا دليل على أن من الفتن الدنيا -يعني: زهرة الدنيا، وزينة الدنيا، والأموال-، فهذا من الفتن، وقد يأخذ الإنسان الطمع وحب الدنيا، ويترك دينه من أجل ذلك، والله حذرنا من الدنيا وزينتها والاغترار بها، وإنما نأخذ منها قدر ما يعيننا على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، أما أن ننطلق مع الدنيا، وننسى الآخرة، فهذا هو الهلاك.

اعمل لدنياك، واعمل لآخرتك؛ لا تنهمك مع الدنيا، وتترك الآخرة، ولا تنهمك مع الآخرة، وتترك الدنيا، بل خذ من هذا ومن هذا.

والدنيا مطية للآخرة، ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي مطية ومزرعة للآخرة، ولا يتمتع بها وينشغل بها إلا الكفار والمنافقون.



٢ وَلِلْبُخَارِيِّ: عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا»، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»(١).

هذا حديث زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج وعليه الفزع والخوف، ظهر على وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احمرَّ وجهه من شدة الخوف على أمته وما سيحدث في آخر الزمان، وهذا من نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، ولأنه يحزنه ما يسوؤها، من كمال شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، يخاف على أمته من الفتن، ومن هذه الفتن التي ستحدث ما حصل في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سد يأجوج ومأجوج، الذي ذكره الله جَلَّ وَعَلَا في القرآن.

يأجوج ومأجوج قبيل من بني آدم، لهم خلقة خاصة، فيهم شر عظيم، يفسدون في الأرض، ولما جاء ذو القرنين الملك المسلم، لما بلغ بين السدين، بين جبال جهة شمال الأرض؛ لأنه ذهب إلى المشرق، وذهب إلى المغرب، وذهب إلى شمال الأرض، حتى بلغ طريقًا بين جبلين عظيمين.

فقال المسلمون هناك لذي القرنين: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤]؛ سفك الدماء، الفساد، شعب لا يبالي بشيء. عرضوا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥).

عليه أن يعينوه بالمال؛ من أجل أن يبني ما بين الجبلين؛ حتى يسد الطريق عليهم؛ فلا يخرجوا على الناس.

قال لهم: إني لست بحاجة للمساعدة المالية: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف:٩٥]، عنده استعداد من جهة المال، ولكنه بحاجة إلى الأيدي العاملة، التي تعمل معه؛ حتى يقيم هذا السد.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف:٩٤]؛ يعني: مالًا، تمويل.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ﴾ [الكهف:٩٤]؛ أي: بين يأجوج ويأجوج.

﴿سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤]؛ يمنعهم من الخروج على الناس.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥]، هذا هو السد، وليس بسد عادي، سد عظيم.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦]؛ أي: نحاسًا.

ففعل هذا، وأعانوه، وسد عليهم الطريق إلى الناس بهذا السد العظيم.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف:٩٧]؛ يعني: يصعدوا عليه؛ لأنه أملس، لا يمكن صعوده.

﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧]؛ أن يحفروا فيه؛ لأنه حديد.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف:٩٨]، هذا السد رحمة من الله بعباده، لكنه لا يدوم، يحاولون، كل يوم يحاولون أن يفتحوا هذا السد؛ ليخرجوا على الناس، وخروجهم على الناس من علامات الساعة الكبرى عند قيام الساعة.

بدأت محاولاتهم في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد نقبوا فيه: («فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا)، شيء يسير، لكنه شر، محاولة.

ولهذا إذا جاء آخر الزمان، وجاء الموعد، جعله دكًّا.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ للناس، يحول بينهم وبين هذا الشعب المفسد، لكن كل شيء له أجل، سيأتي عليه وقت يكون دكًا؛ يدكونه، ويخرجون على الناس.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف:٩٨]، لابد يقع هذا، هذا من تحذيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الفتنة، وأن الناس يحذرون منها، ويدعون ربهم يطلبون السلامة منها.

﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الكهف:٩٨-٩٩]؛ يعني: الناس مع يأجوج ومأجوج.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف:٩٩] -والعياذ بالله-، وهذا حين خروج يأجوج ومأجوج في آخرالزمان، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الناس، فيعيثون في الأرض فسادًا، ويتحصن المسلمون مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكان -في الطور-؛ يتحرزون منهم، ولا يخرج أحد، من خرج، قتلوه وآذوه.

بينما هم كذلك في الضيق والشدة، إذ أرسل الله مرضًا على هذا الجند الخبيث، فهلكوا عن آخرهم، أرسل الله عليهم مرضًا -يسمى النَّغَف- في رقابهم، فيهلكون عن آخرهم[1].

---

(١) كما في الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ».

يستريح المسلمون، لكن بعد الفتن والشر، وبعدما يهلك من يهلك على أيديهم، فيخرج المسلمون من الحصار حينذاك، هذه قصة يأجوج ومأجوج.

لما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الحادثة العظيمة المفزعة، وأنها يهلك فيها من يهلك من الناس على أيدي يأجوج ومأجوج، قالت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟!»؛ الصالحون من العلماء والعباد والأتقياء؛ لأن العادة أن الصالحين يقومون بالإصلاح، وينهون الناس عن الفساد؛ يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فيدفع الله الشر، فوجود الصالحين في المجتمع علامة نجاة، خلو المجتمع من الصالحين علامة هلاك، هذا في فضل الصالحين ووجود الصالحين.

والعادة أن الصالحين يكون لهم دور في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام في وجه الفتن.

لكن قال: نعم، تهلكون وفيكم الصالحون في ذاك الوقت؛ لأن الخبث يكثر، الفساد يكثر، ولا يستطيع الصالحون مقاومته، أو لا يقومون بمقاومته، يكسلون.

عند ذلك يحصل الهلاك على الجميع -على الصالح والطالح-؛ فيهلكون جميعًا، ويهلك الصالحون معهم.

لكن الله يبعث الصالحين على نياتهم يوم القيامة -كما في الحديث[1]-، يهلكون مع الهالكين، ولكن الله يبعثهم يوم القيامة على نياتهم.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٩): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

فهذا فيه: التحذير من الفتن، ومنها فتنة يأجوج ومأجوج.

وفيه: أنه إذا كثر الشر، فإنه مؤذن بحصول الهلاك على الجميع، وأن الصالحين والمصلحين والعلماء عليهم أن يقوموا بمقاومة المنكرات والشرور، ولا يستسلموا؛ فإذا استسلموا، وتركوا الإنكار، جاءت العقوبة على الجميع.



٣ وَلَهُ عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُطُمٍ، مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ»(١).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له معجزات، ومن ذلك هذه المعجزة: «**أَشْرَفَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَلَى أُطُمٍ**»؛ يعني: على قصر مرتفع من آطام المدينة، كانت فيها آطام، وهي أبراج قوية؛ يرقبون فيها أحوال العدو، يصعدون عليها، ويرتفعون عليها؛ ينظرون العدو المقبل عليهم.

صعد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على واحد منها، فقال: «**هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟**»، قالوا: لا. لأنهم لا يرون ما يراه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا من خصائصه ومعجزاته، وهذا من باب التحذير للأمة.

قال: «**إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ**»؛ عند أو قريب من بيوتكم؛ لأن الفتنة ستغشى الناس في بيوتهم، وهذا تحذير منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه سيكون هناك فتن تصل إلى الناس.

العادة أن الناس إذا بقوا في بيوتهم، يسلمون من الفتن، إذا خرجوا منها وتعرضوا للفتن، تصيبهم، لكن هذه لا تقي منها البيوت، هذه فتن تصل إلى الناس في بيوتهم، وهم ساكنون فيها، وهذا -والله أعلم- في آخر الزمان، إذا تطورت وسائل الإعلام والبث الفضائي والأقمار الصناعية -كما يقولون-،

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٨، ٢٤٦٧)، ومسلم (٢٨٨٥).

فإن الشر ينتقل معها بسهولة، ويصل إلى البيوت بواسطة الشاشات، بواسطة المعدات التي تنقل الأحداث، ينظر إليها الإنسان وهو في بيته، وهي في أقصى الأرض؛ كأنه موجود عندها.

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى، وإن هذا شيء سيحصل، وإن الفتن ستغزو البيوت، تدخل عليها، وهذا من باب التحذير، هذا إخبار منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يحذر الناس، عند وجود هذه الفتن المنتشرة الإنسان يأخذ حذره، ويصون بيته من وصول هذه الفتن إليه، وهذا فيه صعوبة، ولكن مع الصبر والاحتساب يعينه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



٤ وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]»[1].

هذا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنهم- ينكر على أهل العراق ما يحدث منهم من الفتن والشرور فيما بينهم، وقتل بعضهم لبعض وسفك الدماء.

قوله: «مَا أَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ»، طبيعة بعض الناس المتحذلقين والمتشددين أنهم يسألون عن الأمور الصغيرة، ويتركون الكبائر؛ لجهلهم، ولمحبتهم للفتنة.

كان الأولى العكس؛ أن الإنسان يسأل عن الأمور الكبائر؛ لأجل أن يجتنبها، أما الصغائر، فأمرها سهل، وهذا من التشدد، السؤال عن الصغائر هذا من التشدد، والتشدد يجلب إلى التساهل والانفلات -والعياذ بالله-.

هذا فيه: أن المسلم وطالب العلم يعتني بالأمور الكبيرة الخطرة، ويسأل عنها، ولا ينشغل بالأمور الصغيرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) (٢٩٠٥).

أهل العراق يتشددون لماذا؟ لأن أكثرهم من الحرورية ومن الخوارج[(١)]، فهم يسألون عن الأمور الصغيرة، ويتركون الأمور الكبيرة الخطيرة، لا يسألون عنها، ويرتكبونها.

في رواية يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)]، الذي قتلوه هم أهل العراق، قتلوا سبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

انتبه! يسألون عن الصغيرة؛ عن دم البعوض، يقولون: هل هو نجس دم البعوض؟! يسألون: هل دم البعوض نجس؛ يحتاج إلى غسل؟

وهم يرتكبون الكبيرة؛ يسفكون دم الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبط الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، استدعوه من المدينة، وخرج إليهم، فخذلوه، وتركوه حتى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه، ولم يساعدوه، هذه طبيعتهم.

ثم ذكر حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الفتن تأتي من قبلهم، من قبل المشرق؛ مشرق المدينة.

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٤).

مشرق المدينة ما هو؟ العراق، أليس كذلك؟! الذي يقع شرق المدينة هو العراق.

أشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المشرق، «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ»، وهو المشرق، فالفتن-والعياذ بالله- تأتي من المشرق؛ مشرق المدينة.

فهذا فيه: الإنكار على التشدد في الأمور الصغيرة، والتساهل في الأمور الكبيرة، ومن ذلك: القتل، قتل النفوس هذه كبيرة؛ فأكثر ما وقع القتل في العراق؛ حيث خرج الخوارج يقتلون المسلمين.

ومن ذلك وقعة النهروان بين المسلمين بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين الخوارج، قُتِلَ منهم مقتلة عظيمة؛ ستة آلاف أو أكثر من الخوارج قتلهم أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كف الله بذلك شرهم عن المسلمين.

فهم مع أنهم يسألون عن الصغائر، لا يبالون بالكبائر؛ فيسألون عن دم البعوض، ويستحلون دم المسلم؛ كما فعلوا مع الحسين وغيره.

فهذا فيه: التحذير من التشدد، وأنه من الفتن، وأنه علامة على الخوارج، هذا دأبهم؛ يسألون عن الصغائر، وينتهكون الكبائر -والعياذ بالله-، هذا من الفتن التي تحصل في المسلمين من بعضهم مع بعض.

بين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شدة قتل النفوس بغير حق، هذا شيء حصل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما ذكر الله في قصته، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تربى في بيت فرعون، وكان رجلًا قويًّا مهابًا، هيأه الله جَلَّ وَعَلَا لحمل الرسالة، فنشأ نشأة قوية.

في ذات يوم جاء يمشي، فوجد في المدينة رجلين يقتتلان -يتضاربان-؛ واحد من بني إسرائيل من جماعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والثاني من القبط جماعة فرعون.

﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص:١٥]؛ أي: من بني إسرائيل.

﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]؛ يعني: من آل فرعون.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص:١٥]؛ استغاث بموسى، وهذا فيه دليل على أن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة.

والاستغاثة: طلب الغوث عند الشدة[١].

من عادة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكرمه ورجولته أنه يساعد المحتاج، ويفرج عن المكروب من شمائله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تدخل، ووكز الرجل العدو بيده، ضربه بيده، لم يتعمد قتله، إنما أراد ردعه، وكزه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنه كان قويًّا، تسبب عن هذه الوكزة أن القبطي مات، قضى عليه، لم يقصد هذا، هذا قتل خطأ، ثم اعترف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن هذا خطأ، وأنه من عمل الشيطان، فاستغفر ربه، فغفر له، لكن أصاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذلك عقوبة؛ ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه:٤٠].

أصبح خائفًا في المدينة يترقب، وخرج هاربًا، ذهب إلى أرض مدين من مصر، وبقي في مدين عشر سنوات، يرعى الغنم -كما ذكر الله القصة في ذلك-، كل هذا من التربية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأيضًا ليذوق شيئًا من عقوبة قتل النفس بغير حق، مع أنه خطأ، فكيف بالتعمد -والعياذ بالله-؟!

---

(١) انظر: تاج العروس (٥/ ٣١٤)، والمعجم الوسيط (٢/ ٦٦٥).

قتل النفس تعمد: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء:٩٣]، وحتى الكافر لا يجوز قتله، إذا كان له عهد أو مستأمن؛ لأنه من النفس التي حرم الله.

فما حصل من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه عبرة، وفيه تعظيم خطر قتل النفوس بغير حق، هذا فيه التحذير من سفك الدماء؛ سفك دماء المسلمين، وسفك دماء الذين لهم عهد عند المسلمين، أو حرمة، أو أمان عند المسلمين؛ إنه أمر خطير -والعياذ بالله-.



٥ وَلَهُ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ»؛ يعني: وقت الفتن وسفك الدماء الإنسان يعتزلها، ويشتغل بالعبادة؛ عبادة ربه.

فهذا فيه الحث للمسلم عندما تحدث فتن بين المسلمين ألا يدخل فيها، وأن يشتغل بعبادة ربه، وهذه هجرة.

الهجرة في اللغة: هي الترك والانتقال من حالة إلى حالة[٢]، فهو يترك الدخول في الهرج والقتل، ويشتغل بعبادة ربه، هذه هجرة كالهجرة إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الهجرة من الهرج إلى العبادة كالهجرة إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته؛ الهجرة المعروفة العظيمة، لما هاجر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معه إلى المدينة؛ لنصرة دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

والهجرة في الاصطلاح: الترك، منها ترك الوطن فرارًا بالدين، ومنها ترك الفتن إلى السنة، ترك القتل بين الناس إلى العبادة، هذا نوع من الهجرة.



---

(١) أخرجه مسلم (٣٠) (٢٩٤٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الأثر (٥/ ٢٤٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص٢٨٨).

(٦) وَلِمُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[1].

من الأخبار التي أخبر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المستقبل أن الله جَلَّ وَعَلَا ينشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وأنه يتوسع ملك المسلمين.

وكانت في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دولتان عظيمتان:

دولة الفرس في المشرق، تسمى دولة فارس، الفرس في المشرق، وهم المجوس.

ودولة الروم في المغرب، وهم أهل الكتاب من النصارى.

دولتان عظيمتان، من الذي يفكر أن المسلمين سيتغلبون على هاتين الدولتين، إلا أن الله جَلَّ وَعَلَا ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويظهر دينه على الدين كله، هذا وعد الله جَلَّ وَعَلَا به، وعد الحق، حصل هذا، فجاهد المسلمون بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغزوا فارس، حتى أسقطوها، وغزوا الروم، حتى أسقطوهم، استولوا على بلادهم وعلى أموالهم.

لكن سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه: كيف تكونون في هذا الوقت؟

---

(١) أخرجه مسلم (٧) (٢٩٦٢).

وهذا فيه التحذير من انفتاح الدنيا؛ لأنه جاء على أثر هذه الفتوح أن كثرت الأموال عند المسلمين، فاض عليهم المال من كنوز كسرى ملك الفرس وكنوز قيصر ملك الروم، فاضت الأموال؛ ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن:١٥].

كيف تكونون في هذا الوقت؟ يسأل المسلمين؛ يعني: هل تبقون على دينكم، أم تنحرفون عنه مع الدنيا.

قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -يحسن الظن-: نكون على خير. يعني: نستعين بهذه الأموال على طاعة الله وعلى الجهاد في سبيل الله، هذا الذي كان يؤمله عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل.

«قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ»؛ أي: الأمر سيكون غير ما تقول، ما هو؟ أنه سيكون هناك فتنة بين المسلمين، يتنافسون الدنيا، إذا فتحت عليهم الدنيا يتنافسونها؛ كلٌّ يريد أن يأخذها عن الآخر، يستولي عليها، ثم ينشأ عن هذا التحاسد والقطيعة بين المسلمين من أجل الدنيا، ثم يتطور الأمر إلى القتل، تتقاتلون على الدنيا، فهذا فيه التحذير من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفيه: علم من أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنها ستسقط دولة الفرس ودولة الروم بيد المسلمين، من الذي كان يؤمل هذا -المسلمون كانوا أقلية مستضعفين في الأرض-؛ أنهم في وقت سيظهرون، من يؤمل هذا؟! أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سيكون، وكان، وهذا من علامات نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لكنه حذر مما يحدث عند ذلك من الفتن: من التحاسد، من التنافس على الدنيا، من الانشغال بها، من التحاسد فيما بينهم، حتى يؤول الأمر إلى سفك الدماء فيما بينهم.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر أمته عند ذلك، حذرهم من هذا الخطر المستقبل، وقد حصل ما توقعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

وقد بين لأمته كل شيء -كما يأتي في الحديث-، لم يترك شيئًا إلا بينه؛ الشر حذرهم منه، والخير رغبهم فيه، ما كان من نبي إلا دل أمته على خير يعلمه لهم، وحذرهم من شر ما يعلمه لهم، وهذا من النصح للأمة، من نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فضيه أولًا: الإخبار بشيء من المغيبات، وهذا من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفيه ثانيًا: التحذير من الفتنة؛ فتنة توسع الدنيا على الناس، وأنها خطر على الدين.



٧ وَلَهُ: عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»[2].

فهذا الحديث فيه ذكر شيء من الفتن، وهي فتنة الدنيا، فتنة بسط الدنيا على الناس.

وقد أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى البحرين بعدما صالح أهلها على الجزية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٦) (٢٩٦١).

(٢) أخرجها البخاري (٦٤٢٥)، ومسلم (٦) (٢٩٦١).

والجزية: هي مقدار من المال يدفعه الكتابي للمسلمين على أن يتركوه، ويكفوا عنه القتال[1].

فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الصحابي الجليل الأمين -أمين الأمة- أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ليأتي بهذا المال الذي يدفعونه إلى المسلمين بموجب الصلح، وأمَّر عليها العلاء بن الحضرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والبحرين: يراد بها الإحساء، جهة الإحساء، كانت في الأول تسمى البحرين، أما الآن، فصار اسم البحرين خاصًا بمملكة البحرين بداخل البحر.

الشاهد من هذا: أنه أرسل أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لاستلام الجزية التي يدفعها أهل البحرين، استلمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء بها.

لما سمع الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمقدمه، كانوا في حاجة، فرحوا بذلك، وبادروا إلى الحضور عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلوا معه الفجر.

ولما رآهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبسم؛ تعجبًا منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسرعة الناس في طلب الدنيا، وحرص الناس على طلب الدنيا، مع فضلهم وشرفهم، لكن المال فتنة، وهم بحاجة -أيضًا- إلى المال.

فقال: («أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ)؛ سمعنا يا رسول الله، وأتينا من أجل هذا.

---

(١) انظر تعريف الجزية في الموسوعة الفقهية الكويتية (١٥/ ١٥٠).

«قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ»، هذا من كرم أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الناس عمومًا، ومع أصحابه خصوصًا.

«أَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ»؛ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لن يدخر شيئًا عنهم، لا تخافوا من ألا يصلكم شيء، أملوا ما يسركم، ولا تأملوا غير ذلك.

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهذا موضع الشاهد من الحديث-: «مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ»؛ لأن الفقر ليس معه منافسة، وليس معه تحاسد، وليس معه شيء من الحزازات في النفوس، الفقراء ليس بينهم شيء؛ لأنه ليس هناك موجب للتحاسد وللتنافس؛ لعدم المال، المال هو الفتنة: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التَّغَابُنِ: ١٥].

«مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ»؛ أي: لا أخاف عليكم من الفقر؛ لأن الفقر لا يحصل معه شيء مما يحصل مع الغنى.

«وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا»: ييسر عليكم المال والغنى والثروة، فحينئذ يحصل تنافس عليها، كلٌّ يريد أن يحوزها عن الآخر، فيحصل تنافس بينكم، يؤدي إلى تحاسد، يؤدي إلى البغضاء، يؤدي إلى أمور لا تحمد.

طبيعة الإنسان هكذا، حتى ولو كان من أهل الفضل: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

المال يدفعه إلى المنافسة مع أخيه، وإذا تنافسا، صار في النفوس شيء بعضها على بعض، والمفروض في المسلمين التواصل، المحبة فيما بينهم والتعاون، ولكن المال يحملهم على شيء من التنافس.

«فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا»؛ يعني: من كان قبلكم من الأمم، تتنافسون فيها، وتتسابقون إليها، كلٌّ يريد أن يحوزها عن الآخر.

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَتُلْهِيَكُمْ»؛ تلهيكم عن الآخرة وعن العمل الصالح، شيء مجرب هذا أن الأثرياء ينشغلون بأموالهم، وتنمية ثرواتهم، ينشغلون عن العمل للآخرة، يعجزون عن الجمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة على الوجه المطلوب، وإلا يمكن الجمع، لكن على الوجه المطلوب، لايمكن هذا.

هما ضَرَّتَان، الدنيا والآخرة ضرتان؛ يعني: مثل الزوجتين، ضرتان؛ إذا ملت إلى إحداهما، أغضبت الأخرى، فمن مال مع دنياه، أضر بآخرته، ومن مال مع آخرته، أضر بدنياه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتُلْهِيَكُمْ»؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١]. لا تلهيكم ولا أولادكم، فدل على أن المال يلهي، الأولاد يلهون عن ذكر الله.

«فَتُهْلِكَكُمْ»: هذه النتيجة، في النهاية يحصل الهلاك للأمة، إذا وصلت إلى هذا الحد، فإنها تعاقب؛ فصار المال سببًا، الانشغال بالمال والتلهي به التنافس فيه سبب لهلاك الأمة وحلول العقوبة فيها، وهذا ما حصل، هذا ما تخوفه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فدل على أن المال فتنة، يخاف منه حتى على أصلح الناس، الأنصار هم أصلح الأمة بعد المهاجرين، ومع هذا خاف عليهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فتنة المال.

٨ ولهما عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[1].

وهذا نوع من أنواع الفتن، وهي فتنة النساء: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»، النساء إذا لم تضبط بضوابط الشرع والآداب الشرعية، فإنها تكون فتنة؛ تفتن الرجال بجمالها، بزينتها، بتبرجها، بسفورها، بكلامها، اختلاطها بالرجال؛ فلابد تضبط النساء.

لابد أولًا: يكون عند النساء إيمان يحجزهن من هذه الأمور.

ولابد -أيضًا- أن يكون هناك من يضبطها من أوليائها؛ زوجها وأوليائها، فتضبط المرأة، وإلا فإنها تكون سببًا في هلاك الأمة؛ لأن المرأة فتنة، وهي أضر على الرجال من غيرها؛ فتنة الشهوة.

فالمرأة لابد أن تضبط، وتلتزم بالآداب الشرعية، التي فيها حفظها -حفظ عفتها، وحفظ كرامتها-، وإلا إذا تركت بدون رقابة، فإن المرأة ضعيفة، والشيطان حريص عليها؛ يؤزها، وتريد أن تكون أحسن من غيرها، وتريد أن تكون محط أنظار الرجال، وأن يمدحوها، وأن يتعلقوا بها، هذا من طبيعة المرأة، فهذا فيه التحذير من فتنة النساء.

إذا لم تضبط فإنها تكون سببًا لهلاك المجتمع؛ لأن الزنا -والعياذ بالله- هو سبب دمار المجتمع: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٩٧) (٢٧٤٠).

يفسد الأخلاق، يضيع النسل، يذهب الحياء، ينشر الأمراض في المجتمع، يسبب غضب الله عَزَّوَجَلَّ وحلول النقمات، فلابد أن تضبط المرأة، لابد من هذا.

وهناك الآن من ينادي بحرية المرأة؛ حرية المرأة بمعنى خروجها على الآداب الشرعية، هذه حريتها عندهم، مع أن حريتها الصحيحة هي في التزام الآداب الشرعية؛ تتخلص من رق الشهوات، وتتخلص من رغبة الفساق فيها، فهي ذليلة، يستعبدها أصحاب الشهوات، فلا تكون حرة إلا بالتزام الأحكام الشرعية، الشرع حررها من الهوان، حررها من الفساد، حررها من كل رذيلة، ضبطها، كرمها، عززها، صانها، المرأة المسلمة عززها الله جَلَّوَعَلَا، حفظها، وضبطها، ولهذا وضعت ضوابط للمرأة: لا تسافر بدون محرم، لا تختلط مع الرجال، لا تخلو مع الرجل الذي ليس زوجًا أو محرمًا لها، لا تبدي زينتها، لا تسفر عن وجهها ومحاسنها، لا تتطيب عند الخروج، إلى غير ذلك، هذه ضوابط شرعية تحميها، هي من صالحها؛ لأنها تحميها وتحفظها، فإذا انفلتت من هذه الآداب الشرعية، حصل الفساد في المجتمع، حصل السفاح الكثير في المجتمع، أولاد الزنا يكثرون في المجتمع، إلى غير ذلك من الأضرار.

فالمرأة تحتاج إلى عناية، تحتاج إلى التزام وإلزام بالآداب، التي تصونها وتجنبها هي أولًا، وتجنب المجتمع من خطرها.

ما بالكم إذا تضافرت النساء على عدم الحياء وعدم العفة؟! إذا اجتمعن وتضافرن، ينفلت الأمر، المرأة الواحدة إذا تركت، أفسدت، فكيف

إذا تركت النساء بالمجتمع والشابات بدون ضوابط، ويفعلن ما يملي عليهن شيطانهن؛ من التزين، والتصنع، والتبرج، والاختلاط بالرجال، والجلوس بجانب الرجال كأنها رجل مثله في الحفلات، في اللقاءات، في التعليم، في العمل؟! هذا فساد في المجتمع.



(٩) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[1].

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ**»، هذه -أيضًا- فتنة، من أنواع الفتن فتنة الدنيا، الدنيا بما فيها من الزينة، بما فيها من الأموال، بما فيها من الجاه فتنة، خطر على الدين.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُلْوَةٌ**»: حلوة المذاق.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَضِرَةٌ**»: حلوة في طعمها، وخضرة في لونها؛ فهي تجذب الإنسان في طعمها وحلاوتها، تجذبه في منظرها، وخضرتها تجذب الإنسان، هذا سبب الفتنة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا**»: الخطاب هذا للمسلمين.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ**»: الاستخلاف: أن يجعلكم بعد قوم مضوا؛ لأن البقاء لله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، فيذهب جيل، ويأتي جيل، ما من أحد يستمر في هذه الحياة، إنما يأخذ من الحياة ما قُدِرَ له من العمر فقط، وتذهب الأجيال، وتأتي بعدها أجيال، إلى أن تقوم

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩) (٢٧٤٢).

الساعة، تنتهي الدنيا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥]؛ يخلف بعضكم بعضًا.

الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخاطب هذه الأمة، فيقول: «**وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**»، الله جَلَّوَعَلَا رقيب عليكم، يعطيكم الدنيا، وينظر ماذا تعملون فيها، ينظر ماذا تتصرفون، لستم مهمَلين؛ بل الله جَلَّوَعَلَا هو الذي ينظر إليكم، ويرقبكم في تصرفاتكم مع الدنيا: هل تنساقون معها، وتقدمونها على الآخرة، أو أنكم تأخذون منها ما يكفيكم، وتنصرفون إلى الآخرة؛ تحسنون التصرف في هذه الدنيا؟

لا يطلب من الإنسان أنه يترك الدنيا، لا، لكن يأخذ منها بقدر حاجته، بقدر ما يحتاج لنفقته لحاجته، بقدر ما يحتاج لتصدقه وإحسانه.

المال خير، إذا أحسن الإنسان فيه، صار خيرًا وعونًا على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن قل من يحسن التصرف فيه.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**»: هل تحسنون تصرفكم في هذه الدنيا؛ تأخذونها من حلال، وتنفقونها في حلال، أم العكس؛ تأخذونها من كسب حرام -من ربا، من رشوة، من خديعة، من سرقة، من غش، قمار، إلى غير ذلك- أو تأخذونها بتجارة مباحة عن تراض منكم، وعن عقود شرعية؟ هذا من جهة اكتسابها.

من جهة التصرف فيها: إذا حصلت عليها، ماذا تعمل فيها؟ أتفسد فيها، تتبع شهواتك، تسافر فيها إلى البلاد الإباحية أنت وأهلك وأولادك،

فتغرقون في مستنقعات الغرب، تتكبر فيها على الناس، تمنع الزكاة، تمنع النفقة الواجبة عليك؟

إنفاقك ما نوعيته؟ انظر إلى إنفاقك؛ فإنك مسؤول عن هذا المال، مسؤول: من أين جاءك هذا المال؟ ومسؤول: فيم أنفقته؟ كما في الحديث[(١)]، فلا شك أن المال مسؤولية؛ المال فتنة.

وكذلك النساء؛ كما سبق في الحديث الذي قبله، فذكر في هذا الحديث فتنتين خطيرتين: فتنة الدنيا، وفتنة النساء، على المسلمين أن يحذروا من هاتين الفتنتين.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٤١٦): عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ».

(١٠) وَلَهُ عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ؛ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي»[1].

هذا حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صاحب سر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صحابي جليل، يقول عن الفتن؛ لأنه كان أحرص الناس على السؤال عن الفتن؛ خوفًا منها، خوفًا من الفتن.

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[2]، الإنسان لا بد أن يعرف الخير، ولابد أن يعرف الشر، لابد أن يعرف الخير من أجل أن يأتيه، ويعرف الشر من أجل أن يجتنبه.

عرفت الشَّرّ لَا للشر لَكِن لتوقيه وَمن لَا يعرف الشَّرّ من النَّاس يَقع فِيهِ[3]

الذي لا يدري عن الشر يقع فيه، يعتقد أنه خير، يظن أنه خير؛ فلابد للإنسان أن يتفقه في دين الله، ويعرف ما هو خير وما هو شر، ولا يقل: أنا ليس لي شأن بالشر، أنا أتعلم الخير فقط. مثلما يقوله بعض الجهال.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢) (٢٨٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني. انظر: يتيمة الدهر (١/ ٨٤).

لابد تعرف الشرك ما هو؛ من أجل أن تتجنبه، لابد أن تعرف المحرمات؛ من أجل أن تتجنبها، بعد معرفة الخير؛ من أجل أن تفعله، فلابد من تعلم الخير، وتعلم ضد الخير، تعلم الخير؛ لتفعله، وتعلم الشر؛ لتتجنبه، وإلا من لا يعرف الشر، يقع فيه، وهو لا يدري، وكان حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذا الحديث: أن هذا ليس مما أسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وإنما هو شيء قاله في مجلس، أخبر عن الفتن، وأخبر عن تفاوتها، وأن بعضها أشد من بعض؛ بعضها يمر سريعًا، وبعضها يتأخر في الناس، ويؤثر فيهم، ويضر بالناس؛ الفتن تتفاوت، بعضها أشد من بعض، وهذا الحديث من باب التحذير منها.

ثم قال: إن هذا المجلس كلهم ماتوا، ولم يبق إلا أنا، ولذلك هو الذي حدث عن هذا المجلس عن غيره؛ لأنه لم يبق ممن حضره غيره، وهو كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يكتم العلم، بل يبين للناس.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا**»: يعني ثلاث من الفتن لا يذرن شيئًا؛ يعني لا يتركن شيئًا من الشر ومن الفتنة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ**»، ومنهن فتن سريعة، لا تؤثر كثيرًا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ**»؛ منها فتن صغار خفيفة، ومنها فتن كبار ثقيلة، لكنها سريعة، تمر، تنتهي، لكن هناك فتنًا لا تنتهي.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي**»؛ الذين حضروا في المجلس.

وهذا فيه: فضل نشر العلم وعدم كتمان العلم.

(١١) وَلَهُ: عَنْهُ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ؟»[(١)].

حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ له خاصية مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أولًا: لأنه كان أمين سر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وثانيًا: لأن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان حريصًا على السؤال؛ يسأل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفتن، فكان من أكثر الناس معرفة بالفتن، إلا واحدة لم يسأل الرسول عنها، وهي: ما سبب خروجهم من المدينة؟ لأنه أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم سيخرجون من المدينة، ويسكنون غيرها، مع أن المدينة من أفضل البقاع بعد مكة؛ فهي دار الهجرة، وهي -أيضًا- فيها المسجد النبوي، الصلاة فيه بألف صلاة[(٢)]، دعا لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حرمها[(٣)]؛ كما حرم إبراهيم مكة، المدينة لها فضائل، فينبغي سكناها؛ لما فيها من الخير، لكن يخرج الناس منها؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤) (٢٨٩١).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٢٦/ ٤١)، والطبراني في الكبير (١٣/ ١١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٠): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ...».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٤٥٩) (١٣٦٣): عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا».

وقد خرجوا منها، واستوطنوا بالأمصار: في الشام، في مصر، في العراق، في المشرق، خرجوا: واحد خرج للمال والتجارة، وواحد خرج للجهاد، وواحد خرج للعلم، خرجوا منها، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**»[1]، فهو لم يسأل عن السبب في خروجهم.



(١) تكملة الحديث السابق الذي أخرجه مسلم (٤٥٩) (١٣٦٣).

١٢ وَلَهُ: عَنْ أَبِي زَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا، حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ، فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا، حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ، فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا، حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»[1].

فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بين لأمته ما أرسله الله به؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧]، وقد قام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبلاغ والبيان التام في خطبه، وفي أحاديثه، وفي فتاواه وقضائه، وجميع ما قام به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنواع البيان؛ فلم يترك شيئًا، ما توفي إلا وقد أكمل الله به الدين، أتم به النعمة، ولم يكتم شيئًا، أو يقصر في بلاغ شيء أنزله الله عليه من ذلك.

كان من سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقصير الخطبة؛ تخفيفًا على الناس، كان هذا من سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حث على قصر الخطبة، وإطالة الصلاة في الجمعة[2].

وأما هذه المرة، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أطال الخطبة؛ خطب يومًا كاملًا، لا يقطع الخطبة إلا لصلاة من الصلوات الخمس، ثم يعود، ويبين، ولا يكرر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥) (٢٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤٧) (٨٦٩) عن أبي وَائِلٍ، قال: «خَطَبَنَا عَمَّارٌ، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**».

شيئًا، فما ترك شيئًا مما كان في الزمان الماضي وقصص الزمان الماضي، ولا شيئًا يحدث في المستقبل، إلا بينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته هذه، علم هذا من علمه، وجهله من جهله، ذكر للناس كل شيء هم بحاجة إليه.

هذه الخطبة فيها دليل على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك شيئًا لم يبينه، ومن ذلك بيان ما يحدث من الفتن في آخر الزمان، قد بينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الخطبة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»؛ فأعلمنا أحفظنا لهذه الخطبة، الذين حفظوها صار عندهم علم أكثر من غيرهم.



(١٣) وَلَهُ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»[1].

هذا الحديث فيه فوائد عظيمة وجوامع من كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أولًا: بيّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ما من نبي من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم، وحذرها من شر ما يعلمه لهم، هذا من النصح للأمم من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وأن الأنبياء لم يكتموا شيئًا مما أرسلهم الله به، ولم يقصروا في شيء من البلاغ، هذه سنة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

وكذلك يتبعهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء[2]، يجب على العالم أن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٦) (١٨٤٤).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ =

يبين للناس ما حمله الله من العلم، ولا يكتم منه شيئًا؛ فيتحمل الوعيد المذكور في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠]، فمسؤولية العلماء تابعة لمسؤولية الأنبياء.

وليس المقصود من العلم أن الإنسان يكون عالمًا في نفسه، ولا يبين للناس؛ العلم مشترك؛ من حمله، صار حجة عليه أن يبلغه، وأن يعمل به، هذه مسألة.

المسألة الثانية: فإذا كان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قد بينوا لأممهم الخير ليسلكوه، والشر ليجتنبوه، فإن أكملهم بيانًا وبلاغًا ونصحًا هو نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنبي من الأنبياء السابقين يبعث إلى قومه خاصة، أما هذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه بُعِثَ إلى الناس كافة، إلى أن تقوم الساعة[1]، وحمله الله أن يبلغ، بلغ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البلاغ المبين، ولم يخف شيئًا لمن بحث عن الحق وأراد

=«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، بلفظ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي =

الحق، لم يترك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، إلا بينه، دل الأمة على خير ما يعلمه لهم، وحذرهم من شر ما يعلمه لهم.

المسألة الثالثة: بيان حال هذه الأمة؛ أن خيرها في أولها، وهذا في السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين -القرون المفضلة التي أثنى عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعلم والعمل-، وكذلك من تبعهم ممن جاء بعدهم.

خيرها في أولها؛ لأنه وقت القرون المفضلة؛ صدر هذه الأمة، سلف هذه الأمة، وخير هذه الأمة سلفها أولها.

وهناك الآن بعض المثقفين أو المفكرين -كما يسمون أنفسهم- من يتنقص السلف، يتنقص علمهم، ويتنقص مكانتهم، وهذا إما من جهله بحالة السلف، وإما من ضلاله -والعياذ بالله-.

السلف لهم قيمتهم، ولهم مكانتهم، قد أمرنا بالاقتداء بهم واتباعهم، وأما من يدعي أن الخلف أدركوا شيئًا لم يدركه السلف، فهذا إما جاهل، وإما مغالط، ولا يتنقص السلف في علمهم، ولا في عملهم، ولا في جهادهم، لا يتنقصهم إلا من في قلبه شك وريب نفاق.

وخير هذه الأمة أولها، عافيتها في أولها؛ بقربهم من زمن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». واللفظ للبخاري.

وأما في آخرها، فيأتيهم بلاء وفتن شرور، قل من يسلم منهم -مقل ومستكثر-، والفتن تكون في الدين، وتكون في الدنيا، الفتن كثيرة ومتنوعة، منها ما هو في الدين -كفتنة الخوارج، والقدرية، وغير ذلك من الفرق-، هذه فتنة بلا شك، والاختلاف شر، والاجتماع رحمة.

تأتي على المتأخرين فتن متفاوتة ومتتابعة، متفاوتة في الخطورة ومتتابعة -أيضًا-، يردف بعضها بعضًا، كلما تحدث فتنة، يقول المؤمن: هذه مهلكة. عنده خوف من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيخاف من الفتن، أما من أمن الفتنة، فإنها تأخذه، لكن من خاف منها، فإنه -بإذن الله- ينجو منها، هذا فيه التحذير من الفتن، وأن الإنسان يخاف منها، ويبتعد عنها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا**»؛ يعني: يهون بعضها بعضًا، كل فتنة أشد من التي قبلها، تنسي الفتنة التي قبلها، تتعاظم الفتن، ويتعاظم الخطر، ويتعاظم الخوف عند المؤمنين.

وهذا تعليم لنا في أن نستعد ونحذر من هذه الفتن، ولا يمكن ذلك إلا بالاعتصام بثلاثة أمور:

* الاعتصام بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

* الاعتصام بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١/ ١٧٨)، =

* الاعتصام بجماعة المسلمين وإمام المسلمين؛ يكون مع الجماعة، مع إمام المسلمين، ولا يشذ عنهم؛ فيهلك مع الهالكين.

فهذه هي ضوابط النجاة -بإذن الله- من الفتن.

قوله ﷺ: «فَمَنْ أَحَبَّ»، وكل يحب هذا، لكن ليس كل يعرف ما هو السبيل الصحيح، كثير يزين لهم سبل السوء وسبل الضلال.

قوله ﷺ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ»؛ يعني: يبعد عنها، وينجو منها، ويدخل الجنة، كلٌّ يريد هذا، لكن الشأن في الطريق الذي يسلكه الإنسان، ليس هذا موكولًا إلى اجتهاده وإلى رأيه.

من أراد أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فإنه لابد أن يأخذ بما أوصى به الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، لا يفوز إلا هذا فقط: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، ومن لم يزحزح عن النار، ولم يدخل الجنة، فقد هلك.

لكن ما الطريق إلى هذا؟

=والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٤) عن أبي نَجِيح العِرباض بنِ سارية رضي الله عنه قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ موعظةً، وَجِلَت منها القلوبُ، وذَرَفَت منها العيونُ، فقلنا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ كَأَنَّها مَوعظةُ مُوَدِّعٍ، فَأوصِنا، قَالَ: «أُوصيكُمْ بِتَقْوَى الله عز وجل، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُم عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ»؛ يعني: يأتيه الموت، وهو متمسك بدينه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»؛ يتمسك بدينه والإيمان بالله واليوم الآخر إلى أن يموت، أما إذا زاغ، وضل، وانحرف، ومات على غير الإيمان، فإنه يهلك -والعياذ بالله-.

والإيمان ليس بالتحلي، ولا بالتمني؛ كما يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، كل يقول أنا مؤمن: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، ليس كل من قال: أنا مؤمن. يكون مؤمنًا، حتى يحقق ذلك، حتى يحقق هذا الإيمان.

والإيمان -كما بينه علماء الأمة والأئمة-: (قول باللسان، اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية)[2].

دعك من قول المرجئة[3] وقول الضلال، اتركهم، خذ هذا التعريف، وامشِ عليه، ولا تنظر إلى أقوال الآخرين؛ نحن نسير على جادة واضحة، عندنا كتب سليمة مدروسة متداولة من قديم، سار عليها من قبلنا في الإيمان وفي غيره.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٥٤٥): عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ».

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٤).

(٣) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص ١٩٠).

لماذا لا نأخذ «قال فلان» و«قال علان»، «قال»، «قال»؟ لم نكلف بهذا، لخصه علماء الأمة بهذه الكلمات: (قول باللسان، اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية).

وشرح ذلك موجود في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ، وفي كلام أهل العلم الثقات، فلماذا نأخذ يمينًا وشمالًا، و«قال فلان»، و«قال علان»، ونترك «قال الله» و«قال الرسول»، وما قاله سلف هذه الأمة والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ؟!

بعض الناس انشغلوا بالجدال -والعياذ بالله-، انشغلوا بالجدال في المسائل المهمة، وليست بالمسائل الخفيفة، انشغلوا بالجدال في المسائل المهمة والقضايا المسلمة، انشغلوا بها، وتركوا العمل، تعادوا، تقاطعوا، تدابروا.

يا عباد الله! لا يجوز لنا هذا، إن كنت تريد أن تزحزح عن النار وتدخل الجنة، فكن مؤمنًا، ليس هناك طريق إلا هذا، كيف تكون مؤمنًا؟ هذا موجود -والحمد لله-، موجود وموضح، ولا حاجة إلى جدال، ولا البحث يمينًا وشمالًا، وانشغال الوقت إما يورث العداوة، وتقطع المسلمين بينهم، هذا الذي يريده شياطين الإنس والجن، يريدون الفتنة، ويؤججون الخلاف.

الخلاف موجود طبيعة في البشر، لكن- الحمد لله- هناك طريق ننجو به من الخلاف، وهو التمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، وبما كان عليه سلف الأمة، هذا هو النجاة من الخلاف وما يتبعه من ضلال والانحراف.

ثم لا طائل تحت الجدال أبدًا، ليس هناك طائل، بل هناك شر، الجدال لا يجدي شيئًا.

والأمر الثاني: «وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»؛ يعني: يتعامل مع الناس بما يحب أن يتعاملوا به معه؛ «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

أنت تحب أنك تكرم، أنك لا تؤذى، ولا يعتدى عليك، ولا تسب، أنت تحب هذا، فأحبه للناس؛ لا يصدر منك شيء مما لا ترضى أن يصدر إليك -هذا مقياس واضح-، عامل الناس بما تحب أن تعامل به، إن كنت تريد النجاة، أما الإنسان الذي يريد الخير لنفسه، ولكن لا يرضاه للآخرين، فهذا غش -والعياذ بالله-، ولا يوفق صاحبه.

فالكلمتان هاتان من الرسول ﷺ فيهما وصف النجاة من الفتن؛ أن تؤمن بالله واليوم الآخر، تعرف الإيمان، وتدرس الإيمان دراسة صحيحة، وتتمسك به مأخوذًا من كتاب الله وسنة رسوله، لا من كلام فلان وعلان، تترك الجدال والنقاش والأمور التي لست بحاجة إليها، وليس الناس بحاجة إليها.

فَلا مِرَاءَ وَما فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ ... وَهَلْ يُجادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرَا(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، وهذا لفظ البخاري «لِأَخِيهِ» من غير شك، وجاء عند مسلم «لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ» على الشك.

(٢) البيت من منظومة عقيدة السلف التي نظمها أحمد بن مشرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة. انظر: مقدمة أبي زيد القيرواني (١/ ٦٨)، وقطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٥٤).

الجدال في الدين والجدال في المسائل الدينية لا يجوز هذا؛ الأمور واضحة، ليس فيها لبس.

هذا الأمر الأول: الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر؛ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة:٦٢].

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ الإيمان الصحيح بأسمائه وصفاته، وأطاعه، وامتثل أمره، وترك نهيه، هذا الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

تؤمن باليوم الآخر؛ أنه لابد من البعث والنشور والحساب، والجنة والنار؛ فتعمل لهذا اليوم، تستعد لهذا اليوم.

فإذا آمن بالله الإيمان الصحيح، وآمن باليوم الآخر، وعمل صالحًا، نجا، وإذا تعامل مع الناس بما يحب أن يتعاملوا به معه، قاسهم على نفسه، أنصفهم من نفسه، نجا -أيضًا- من شرهم ومن إثمهم، فهذا سبيل النجاة لمن يريد النجاة.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ أَحَبَّ**»؛ يعني: رغب.

من رغب «**أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ**»، فليأخذ بهذين المبدأين: «**يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»، فهذا من جوامع الكلم النبوية، وغير هذا لا تبحث؛ جدال، نقاش مع فلان، مع علان، قال فلان، لا تبحث؛ هذا يشغلك، ولا تحصل على طائل، تعيش على الجدل.

قوله ﷺ: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ**»، كذلك لزوم الجماعة.

سبيل النجاة: يؤمن بالله واليوم الآخر، ويحب أن يأتي إلى الناس ما يؤتى إليه، كذلك يلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

ما دام لهم جماعة وإمام، ابقَ معهم؛ تنجُ معهم؛ الاجتماع رحمة، ولا جماعة إلا بإمام، لا يمكن جماعة إلا بإمام، جماعة بدون إمام لا يمكن هذا، ووجود الإمام ضرورة للأمة؛ إمام منهم؛ من المسلمين.

ولا يشترط في الإمام أن يكون كاملًا مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، لا يشترط، هذا حسب الإمكان، ولو كان عنده نقص، ولو كان عنده ظلم، لا يشترط أن يكون مثل الخلفاء الراشدين، ما لم يصل إلى حد الكفر، ما دام أنه مسلم ومؤمن، وإن كان عنده نقائص في العمل، أو بالتعدي، أو بالظلم، المصلحة في لزوم طاعته، المصلحة أكثر من المصلحة التي تحصل في الشقاق والانشقاق عليه.

فلزوم طاعته والانضمام مع الجماعة فيه الأمن، فيه الاستقرار، فيه القوة، فيه السلامة، وأما الخروج عليه، فيسبب الفوضى، والضياع، وسفك الدماء؛ كما تعلمون الآن من الحوادث، فتلزم جماعة المؤمنين وإمامهم، هذا هو طريق النجاة.

ولهذا لما سأل حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفتن وأخبره عنها قال: «مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أن تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، هذا هو سبيل النجاة: جماعة المسلمين وإمام المسلمين.

قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا»؛ اعتزل، ابقَ وحدك، لا تدخل معهم في صراع وفي نقاش، وتقول: أنا أريد أن أنصر الحق. لا، اعتزل الفتن، طالما ليس هناك جماعة ولا إمام، لا تدخل مع الفوضى ومع الناس.

«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يَأْتِيَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1]، هذا طريق النجاة.

فإذا كان للمسلمين إمام مسلم، طالما أنه مسلم منهم؛ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

﴿مِنكُمۡ﴾؛ من المسلمين، طالما أنه مسلم.

جاء واحد يريد أن ينازعه، يريد ينتزع الملك منه، هذا صاحب فتنة، هذا يشق عصا الطاعة؛ فيجب على المسلمين أن يردعوه، أن يقتلوه؛ لأنه لو بقي سيفسد على المسلمين، يفرق جماعتهم.



(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(١٤) وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»[١].

وهذا حديث -أيضًا- في الموضوع نفسه، كرر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا، وأعاد فيه وأبدى؛ لحاجة الناس إليه ولخطورته.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ**»؛ لا بد أن يحصل منه شيء يكرهه، لم يأت الأمير على كل ما تريد، لكن سددوا وقاربوا؛ شيء أهون من شيء، ما دام هناك أمير مؤمن، فالزمه، ولو كرهت منه بعض التصرفات، اصبر عليها؛ لأن ما يفضي إليه الشقاق والنزاع أشد مما أنت فيه الآن مع ما تكره من الأمير؛ ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، اصبر.

«**فَلْيَصْبِرْ**»: يصبر عليه، ولو كان عليه بعض الضرر، فإن هناك ضررًا أعظم في شق العصا.

أما إذا لم يصبر عليه، فهذا معناه أنه شق الجماعة، خرج عليهم، ولم يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإذا مات على هذا، ولم يعتقد إمامة المسلم، إذا مات، وهو لا يعتقد إمامة المسلم الموجود في وقته، فمات على ذلك، مات على

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (٥٥) (١٨٤٩).

أمر من أمور الجاهلية، ميتته جاهلية؛ لأن أهل الجاهلية هم الذين ليس لهم إمام.

أنتم تعرفون العرب قبل البعثة ليس لهم إمام، ولا يخضع بعضهم لبعض، ويتغايرون، ويضرب بعضهم بعضًا، ويتقاتلون، فهذا يكون مثلهم، يموت على ما هم عليه في الجاهلية.

هذا تهديد ووعيد شديد؛ أن الإنسان يخرج من الإسلام إلى الجاهلية، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليس معنى ذلك أنه يكفر، لكن معناه أنه يكون عنده خصلة من خصال الجاهلية، وهي عدم الاعتراف بإمام المسلمين، هل أنت ترضى أنك تموت على شعبة جاهلية؟! أترضى لنفسك هذا؟!



(١٥) وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا، فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ، يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: «مِمَّا مَضَى»[١].

هذا الحديث فيه إشكال في معناه، وقد اختلف العلماء في معناه:

القول الأول: هل هو من باب الوعد بالخير، وأن هذه الأمور ستستمر بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه المدة، وهي خلافة الخلفاء الراشدين، ويستقيم أمرها، ثم يكون بعد ذلك اختلاف، ويكون هلاك بعد مضي هذه الأمة ثلاثين أو زيادة عليها، هذا قول.

والقول الثاني: أنه من باب الذم، وأنه سيكون بينهم فتن وشرور؛ فيهلكون بسبب ذلك.

ولذلك أورده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في باب الفتن والحوادث، والله أعلم.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٤).

(١٦) وَلِلتِّرْمِذِيِّ: عَنْ ابْنِ أَخِي عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: «لَمَّا أُرِيدَ عُثْمَانُ، جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ فِي نُصْرَتِكَ، قَالَ: اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ، فَاطْرُدْهُمْ عَنِّي، فَإِنَّكَ خَارِجٌ خَيْرٌ لِي مِنْكَ دَاخِلٌ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ كَانَ اسْمِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فُلَانٌ، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللهِ، وَنَزَلَتْ فِيَّ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٠]، وَنَزَلَتْ فِيَّ ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِى وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣]، إِنَّ للهِ سَيْفًا مَغْمُودًا عَنْكُمْ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ قَدْ جَاوَرَتْكُمْ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، الَّذِي نَزَلَ فِيهِ نَبِيُّكُمْ، فَاللهَ اللهَ فِي هَذَا الرَّجُلِ أَنْ تَقْتُلُوهُ، فَوَاللهِ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ، لَتَطْرُدُنَّ جِيرَانَكُمُ المَلَائِكَةَ، وَلَتَسُلُّنَّ سَيْفَ اللهِ المَغْمُودَ عَنْكُمْ؛ فَلَا يُغْمَدُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالُوا: اقْتُلُوا اليَهُودِيَّ، وَاقْتُلُوا عُثْمَانَ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ(١).

من أعظم الفتن وأول الفتن التي حدثت في الإسلام مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد، من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين -إلى الحبشة وإلى المدينة-، ولازم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاهد معه، وشهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة؛ فهو

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٦).

من العشرة المشهود لهم بالجنة، وهو ثالث الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قائم بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، يتلوه، ويتهجد به معظم الليل، أو كل الليل، هو الذي وحد كتابة المصحف بالرسم العثماني؛ حتى لا يختلف الناس في القرآن، فصار مصحفه هو المعتمد عند المسلمين، توحدت القراءة على الرسم العثماني في هذا المصحف، وهذا من أعظم فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زوجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ابنتيه: رقية توفيت عنده، وأم كلثوم توفيت عند أيضًا، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«زَوِّجُوا عُثْمَانَ، لَو كَانَ لِي ثَالِثَة، لَزَوَّجْتُهُ، وَمَا زَوَّجْتُهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**[(١)].

تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لما عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الستة أصحاب الشورى، اختاروه من بينهم؛ لأنه أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو ثالث الخلفاء في الخلافة، وثالثهم في الفضل، فاختاروه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سار بالمسلمين سيرة حسنة، ولكن اليهود دسوا دسيسة في عهده؛ ببث الفتنة بين المسلمين وإلغاء الخلافة، فدسوا ماكرًا خبيثًا منهم، يهودي يقال له: عبد الله بن سبأ[(٢)]، أظهر الإسلام، يسمى ابن السوداء؛ لأن أمه حبشية،

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٨٤): عَنْ عِصْمَةَ قَالَ: «لَمَّا مَاتَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي تَحْتَ عُثْمَانَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«زَوِّجُوا عُثْمَانَ لَو كَانَ لِي ثَالِثَة، لَزَوَّجْتُهُ، وَمَا زَوَّجْتُهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

(٢) هو عبد الله بن سبأ الذي يُنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهوديًا وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة =

وهو من يهود اليمن، أظهر الإسلام من أجل الخديعة -والعياذ بالله-، وجاء إلى المدينة على أنه مسلم، وهو له مقصد خبيث، فجعل يسب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المجالس، يذكر مثالبه، ويزعم له النقائص، ويحرض على الخروج عليه، حتى استجاب له أوباش من الناس من بعض الشباب، ثم طُرِدَ من المدينة، وذهب إلى مصر، فوجد في مصر طائفة مشهورة بالشغب، فجاء، وحضرهم، فاستجابوا له، وكون عصابة خبيثة، اقتنعت بفكرته بالطعن على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولما كان في موسم الحج، خرج المسلمون، حج أغلبهم، انتهزوا الفرصة، فجاؤوا بصفة أنهم وفد جاؤوا إلى الخليفة؛ ليراجعوه في بعض الأمور، فطوقوا بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنعوه من الخروج إلى الصلاة بالمسلمين؛ على أنهم سيتفاوضون معه، لم يأتوا على أنهم ثائرون، ولكن جاؤوا ليتفاوضوا معه، هذا الذي يظهرونه، وهم يبطنون الغدر.

فلما كان من الليل، ورقد الناس، تسوروا عليه البيت، فقتلوه في آخر الليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتلو القرآن؛ لأن من عادته أنه يقوم الليل، فقتلوه وهو يتلو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وبذلك انفتح باب الفتنة على المسلمين، انفتح باب

=ويدخل بينهم الشر، وكان يقول لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، فلما قُتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زعم عبد الله بن سبأ أنه لم يمت، وأن ابن ملجم إنما قتل شيطانا تصور بصورة علي، وأن عليًا في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل إلى الأرض ويملؤها عدلًا، وأتباعه حين يسمعون صوت الرعد يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين!! انظر: تاريخ دمشق (٢٩/ ٣)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣١٠)، والوافي بالوفيات (١٧/ ١٠٠)، والتعريفات (ص١٥٥).

القتل، انفتح باب الخلاف، وهذا الذي يريده اليهود من الإسلام، يزعمون أنهم سيقضون على الإسلام بذلك.

وقد ذكر الله عنهم من قبل أنهم يحاولون الكيد للإسلام: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢]؛ أَسْلِمُوا، ثم ارْتَدُّوا في يوم واحد؛ لأن الناس إذا رأوكم دخلتم في الإسلام، ثم خرجتم منه، اقتنعوا أن الإسلام لا يصلح؛ لأنكم أهل كتاب تعرفون، ولما جربتم الإسلام، وجدتموه لا يصلح، وخرجتم عليه، فالناس يقتدون بكم؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عن دينهم.

فهذا من ضمن مكرهم وخديعتهم نحو المسلمين، ولكن الإسلام ثابت؛ لأن الله حفظه، وإن كان يجري على المسلمين ما يجري من المحن والفتن، ولكن الإسلام في حد ذاته محفوظ -ولله الحمد- وثابت إلى أن تقوم الساعة، لا أحد يغيره أبدًا، وإن حاول من يحاول، فإن الإسلام ثابت في أصوله (الكتاب، والسنة، وما عليه سلف الأمة)، لا يمكن أن تغير أصوله وقواعده.

هذا ملخص ما جرى في أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في أثناء تجمعهم حول بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاء عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عبد الله ابن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أحبار اليهود المعظمين فيهم، من الموثوقين.

ولما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، ذهب إليه، ونظر في وجهه، واستمع إلى ما يقول، فعرف أنه هو الرسول الذي وعد الله به في التوراة والإنجيل.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[1].

هذا أول ما سمع من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعرف أنه نبي، وأنه الموعود به في التوراة والإنجيل، فأسلم، وحسن إسلامه، وصار من أفضل علماء المسلمين، وشهد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، هذا عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلما جاء اليهود إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمعوا منه، وأنكروا رسالته، وقالوا: «هذا ليس النبي الذي وعدنا الله به»؛ من باب العناد والحسد: ﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة:٩٠]، فمنعهم الحسد والبغي من اتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يعرفون أنه رسول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]؛ يعرفونه بما عندهم من أوصافه.

ولما بُعِثَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا هو بالأوصاف المذكورة في التوراة، فأنكروه، وهم يعرفونه، وقالوا: ليس هذا الموصوف لنا.

قيل لهم: ما تقولون في عبد الله بن سلام؟

قالوا: هذا عالمنا وإمامنا، وأثنوا عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١).

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنطق عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أشهد أنك رسول الله حقًّا، وأنك المذكور في التوراة والإنجيل.

فعند ذلك سبوه، سبوا عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذبوه بعدما مدحوه، وأثنوا عليه، واعترفوا بفضله[1].

فهذا معنى قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [الأحقاف:١٠]، هذا هو عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والآية الثانية: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:٤٣].

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾: لو كنت كاذبًا، هل الله يقرني، ويمهلني، ويصدقني، لو كان كاذبًا، فإن الله يأخذه على عجل، ولا يتركه؛ كما أخذ الكذابين.

فكون الله يقره، وينصره، ويؤيده -الله يطلع عليه وعلى ما يقول؛ شهيد-، هذا دليل على أنه رسول الله؛ لأن الله لا يترك الكذابين الذين يدعون النبوة.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٢٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠) وفيه: «...يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ، بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ، وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟» قَالُوا: أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ».

أين هم الكذابون؟ ادعى النبوة كثير، أين هم الآن؟ قطع الله دابرهم: مسيلمة، والأسود العنسي، ومن جاء بعدهم، لم يصر لهم أتباع، قطع الله دابرهم، ولا يمهلهم الله عَزَّوَجَلَّ.

أما هذا الرسول، فإن الله أمده، وأعانه، وجعل له أنصارًا وأتباعًا، وأنزل الكتاب الذي يصدقه، هذه شهادة الله عَزَّوَجَلَّ له بالنبوة، شهادة الله له بالرسالة؛ إقراره له، وهو يقول: إني رسول الله، لو كان كاذبًا، لم يتركه الله يكذب عليه: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، هذه واحدة.

الثانية: شهادة من عنده علم الكتاب، علماء اليهود يعرفون أنه رسول الله، علماؤهم يعرفون أنه رسول الله، أما عوامهم، فلا عبرة بهم، لكن علماءهم يشهدون أنه رسول الله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، لكن منهم من منَّ الله عليه بالهداية، فأسلم مثل عبد الله بن سلام، ومنهم من عاند وكابر، مع علمه أنه رسول الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣]؛ يعني: عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء اليهود، ومع هذا شهد أنه رسول الله، وآمن به، واتبعه، فهذا معنى الآية، والله أعلم.

جاء عبد الله بن سلام إلى هؤلاء العصابة المجرمة الخوارج، دخل على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو محاصر، «جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ فِي نُصْرَتِكَ»، فهذا من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«قَالَ: اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ، فَاطْرُدْهُمْ عَنِّي»، اخرج إلى هذه العصابة، فأقنعها بأن تتراجع عن جريمتها.

فخرج إليهم، وكلمهم، فزاد شرهم، وقالوا: اقتلوا اليهودي -نسأل الله العافية-، سموه يهوديًّا، هذا دليل على جرمهم وعلى خروجهم على دين الله، وأنهم يكفرون أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومع هذا كفروه، وقالوا: يهودي. وقتلوا عثمان الخليفة الراشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا كله بسبب الخروج على ولي أمر المسلمين، وأن الخوارج إذا دخلت في رؤوسهم الفكرة الخبيثة، تأصلت.

هذا فيه التحذير من جلساء السوء، ومن الاستماع لمقالات السوء، فيه التحذير من دعاة الفتنة، فهم لم ينفع فيهم الحجج والبينات، وأصروا على جريمتهم، «فَقَالُوا: اقْتُلُوا الْيَهُودِيَّ، وَاقْتُلُوا عُثْمَانَ»، فهذا ما حصل منهم.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ لِلهِ سَيْفًا مَغْمُودًا عَنْكُمْ»، يقول عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سيف الفتنة مغمود الآن بالإسلام، فلا تسلوه على المسلمين، إن سللتم سيف الفتنة، فإنه لن يرفع، وهذا كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1]، إذا بدأ القتل بين المسلمين،

(١) أخرجه بهذه الزيادة: أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨) عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تُعْبَدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». وأصله في مسلم (٢٨٨٩).

استمر، كلما انطفأ في ناحية، اشتغل في ناحية ثانية، فباب الفتنة إذا انفتح، صعب سده، فهو حذرهم من إشعال الفتنة.

لكن لما تأصل الشر في رؤوسهم والفكر الخبيث، انظروا! الفكر الخبيث ودعاة الضلال كيف يؤثرون على بعض الناس، لا يقبلون النصيحة، ولا يقبلون من العلماء، لا يقبلون، ولا يعتقدون أن الناس على صواب، إنما هم الذين على الصواب فقط، ومن خالفهم فهو كافر. هذه صفة الخوارج -والعياذ بالله-؛ أنهم يكفرون المسلمين، ويعتقدون أنهم هم المسلمون وحدهم بسبب الفكر الخبيث والدعايات الضالة ودعاة السوء؛ جلساء السوء.

فهذا فيه أكبر عبرة وموعظة لشبابنا اليوم هداهم الله، ووفقهم أن يتعلموا العلم النافع، ويتعلموا العقيدة الصحيحة، ويسيروا عليها، ويتمسكوا بها، وألا يصغوا إلى الأفكار المنحرفة والدعايات الضالة -وما أكثرها اليوم!-، تروج اليوم بواسطة وسائل الإعلام، بواسطة دعاة الضلال، بواسطة المجالس المنقطعة عن المسلمين، بواسطة الانعزال عن المسلمين، الابتعاد عن المساجد، عن صلاة الجماعة؛ لأنهم يكفرون المسلمين، ولا يصلون معهم لا جمعة ولا جماعة، ينعزلون -والعياذ بالله-، هذه سمة الخوارج.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ جَاوَرَتْكُمْ فِي بَلَدِكُمْ»؛ المدينة، دار الهجرة، جاورتهم الملائكة، فإذا حصلت الفتنة، الملائكة ترحل من عندهم، وتأتي الشياطين.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذَا الَّذِي نَزَلَ فِيهِ نَبِيُّكُمْ»، وهذا البلد نزل فيه نبيكم، ففيه فضل هذا البلد؛ بسبب نزول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، وسكناه فيه، فأنتم

في خير بلد وفي خير جوار، ومع خير صحبة من المسلمين، فكيف تتنكرون، تزعمون أنكم على حق، وأن هذا هو الدين؟!

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَاللهَ اللهَ فِي هَذَا الرَّجُلِ أَنْ تَقْتُلُوهُ»؛ يعني: عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْ تَقْتُلُوهُ»؛ يعني: لا تقتلوه، في تقدير حرف لا: أن لاتقتلوه.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَوَاللهِ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَتَطْرُدُنَّ جِيرَانَكُمُ المَلَائِكَةَ، وَلَتَسُلُّنَّ سَيْفَ اللهِ المَغْمُودَ عَنْكُمْ»، إذا قتلتموه، سترحل الملائكة، وتأتي الشياطين تصاحبكم، وأعظم من ذلك: أنه ينفتح باب الفتنة بين المسلمين.

فهذا فيه دليل على أنه يجب طاعة ولي الأمر والصبر معه، وعدم التماس عيوبه، وعدم الخروج عليه؛ لأجل بقاء الإسلام، وبقاء جماعة المسلمين، وسد باب الفتنة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَا يُغْمَدُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»، فإذا انفتح باب الفتنة، صَعُبَ سده، كان مغلقًا في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في عهد عمر كان باب الفتنة مغلقًا -كما يأتي-، فإذا فُتِحَ فإنه لا يسد.

قوله: «فَقَالُوا: اقْتُلُوا اليَهُودِيَّ وَاقْتُلُوا عُثْمَانَ»، لم ينفع فيهم الوعظ والتذكير وإقامة الحجج عليهم، لم ينفع فيهم.



(١٧) وَلَهُمَا: إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا، قَالَ: فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ: مَنِ الْبَابُ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ»[١].

هذا حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سبق الكلام عنه، وأنه متخصص في معرفة الفتن التي ستحدث؛ لأنه تلقى ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أخص الناس بمعرفة الناس عن هذا الباب.

سأله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الفتن؛ لأجل تجنبها والابتعاد عنها والتحذير منها، الإنسان يسأل عن الشر لا لأجل الشر، وإنما لأجل اجتنابه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥، ١٤٣٥، ١٨٩٥، ٣٥٨٦، ٧٠٩٦)، ومسلم (٢٣١) (١٤٤).

كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[1].

فيجب على المسلم أن يحذر، وأن يخاف من الفتن، ويسأل أهل العلم، فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا فيه سؤال العلماء عن الفتنة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**»، ذكر الفتن التي تكفرها الأعمال الصالحة، الفتن ليست على حد سواء، بعضها أخف من بعضها؛ بعضها تكفره الأعمال الصالحة -الصلاة والصيام-، فتنة الرجل في أهله، فتنة الرجل في ماله هذه تكفرها الأعمال الصالحة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ»، الذي يسأل عنه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الفتنة العظمى، التي تموج كموج البحر، تتعاظم -والعياذ بالله-، تزيد حتى تغطي الحق، الفتنة الخطيرة، هذا الذي يسأل عنه عمر؛ لأجل الحذر منه والحيطة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟»؛ يعني: التي تموج كموج البحر ما لك وما لها؛ لأن الله -سبحانه- حماك منها؟

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا»؛ وذلك بخلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعدله، وحزمه، وأنه محدث، بمعنى أنه يلهم، هو ملهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو لا يخاف

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٩).

عليه من هذه الفتنة في دينه، لكن قد تقع عليه في نفسه، لكن لايخاف عليه منها في دينه.

قوله رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: «أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ»، فهم عمر أنه هو الباب؛ أن عمر هو الباب، فسأله: هل هذا الباب بسهولة أم يكسر؟ هذا كناية عن هل يقتل عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، هذا سر بين حذيفة وبين عمر؛ «أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟»؛ يعني: يقتل هذا الرجل، الذي جعله الله بابًا، سدًا عن الفتنة، أو أن الباب يفتح بدون قتل؟

قوله رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: «قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ»، هذا فيه إشارة إلى قتل عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، وقد حصل.

قوله رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: «ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا»؛ أي: أقرب ألا يغلق؛ لأن باب الفتنة إذا فُتِحَ، فإنه لا يغلق، صعب إغلاقه، ففيه التحذير من فتح باب الفتنة؛ لأنه لا يمكن إغلاقه بعد ذلك، لكن طالما أنه مغلق الأمر سهل.

قوله: «قَالَ: فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ»؛ يعني: عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ يعلم ما المراد بالباب، هذا سر بينه وبين حذيفة، يعلم أنه هو الباب، وأن كسره قتل عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

قوله: «إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ: مَنِ الْبَابُ؟»؛ هابوا أن يسألوا حذيفة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: من الباب؛ لأن هذا موحش، فأمروا مسروقًا -من التابعين-: أن يسأل حذيفة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ عن هذا الباب.

قوله: «فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ»؛ الباب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكسره قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد حصل ما تخوفه، قتله أبو لؤلؤة المجوسي.

الحمد لله أن قتله لم يكن بيد مسلم، وإنما كان بيد مجوسي، ولكن قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بيد مسلمين -مع الأسف-؛ خوارج من المسلمين.



(١٨) وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ نَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: «أَتَيْنَا الْيَشْكُرِيَّ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قُلْنَا: بَنُو لَيْثٍ، أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ فَقَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ أَبِي مُوسَى قَافِلِيْنَ، وَغَلَتِ الدَّوَابُ بِالكُوفَةِ. قَالَ: فَسَأَلْتُ أَبا مُوسَى أَنَا وَصَاحِبٌ لِي، فَأَذِنَ لَنَا، فَقَدِمْنَا الْكُوفَةَ. فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: إِنِّي دَاخِلُ المَسْجِدَ، إِذَا قَامَتِ السُّوقُ خَرَجْتُ إِلَيْكَ، فَدَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا فِيهِ حَلَقَةٌ، كَأَنَّمَا قُطِعَتْ رُؤُوسُهُم، يَسْتَمِعُونَ لِحَدِيثِ رَجُلٍ. قَالَ: فَقُمْتُ عَلَيْهِم، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَامَ إِلَى جَنْبِي. قَالَ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبَصْرِيٌّ أَنْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: قَدْ عَرَفْتُ وَلَوْ كُنْتَ كُوفِيًّا لَمْ تَسْأَلْ عَنْ هَذَا. فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رسولَ الله ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. وَعَرَفْتُ أَنَّ الخَيْرَ يَسْبِقُنِي. قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله: أَبَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ: تَعَلَّم كِتَابَ الله، واتَّبِعْ مَا فِيهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ وَشَرٌّ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ»، ثَلَاثَ مِرَاتٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، فِيهَا» -أَوْ فِيهِمْ- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْهُدْنَةُ عَلَى الدَّخَنِ مَا هِيَ؟ قَالَ: «لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، صَمَّاءُ، عَلَيْهَا

دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ، فَإِنْ تَمُتْ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلٍ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ»[١].

قوله: «أَتَيْنَا الْيَشْكُرِيَّ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قُلْنَا: بَنُو لَيْثٍ، أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ فَقَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ أَبِي مُوسَى قَافِلِيْنَ، وَغَلَتِ الدَّوَابُ بِالْكُوفَةِ. قَالَ: فَسَأَلْتُ أبا مُوسَى أَنَا وَصَاحِبٌ لِي، فَأَذِنَ لَنَا»، أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أمير الكوفة، استأذنه هذا الوفد أن يقدموا على الكوفة، فأذن لهم.

قوله: «قَالَ: فَقُمْتُ عَلَيْهِم، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَامَ إِلَى جَنْبِي. قَالَ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبَصْرِيٌّ أَنْتَ؟ قَلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: قَدْ عَرَفْتُ وَلَوْ كُنْتَ كُوفِيًّا لَمْ تَسْأَلْ عَنْ هَذَا»؛ يعني: هل أنت من هذا البلد، وتجهل هذا الرجل الذي يتحدث؟ قال: لا، أنا من البصرة.

البصرة مدينة أخرى من مدن العراق، أشهر مدينتان في العراق: الكوفة والبصرة.

هذا الرجل الذي يتحدث كان من هو؟ كان حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ»، هذا دليل على أن الإنسان لا يقتصر على تعلم الخير، بل يتعلم الشر -أيضًا-، يعرف الشر من

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٤٦) مع اختلاف كثير في اللّفظ.

أين يأتي، ما أسبابه، وما أنواعه، ومن الذي يقوم به؛ من أجل أن يحذر منه، ويحذر الناس.

قوله: «وَعَرَفْتُ أَنَّ الْخَيْرَ يَسْبِقُنِي. قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله: أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ: تَعَلَّم كِتَابَ الله، واتَّبعْ مَا فِيهِ»؛ لأن كتاب الله واتباع ما فيه يقي من الفتنة، لا يقي من الفتنة إلا العلم الصحيح، تعلم، أيضًا التعلم يكون على علماء.

انتبهوا يقول: «تَعَلَّم كِتَابَ الله، واتَّبعْ مَا فِيهِ»، التعلم لا يكون إلا على علماء، ولا يمكن تعرف الشر والفتن إلا بالتعلم، لا تتعلم على الجهال، أو على الكتب والمطالعات، أو على الفضائيات، أو على الأشرطة؛ لابد أن تتصل بالعلماء، وتجلس معهم، وتسألهم، هذا هو طريق العلم الصحيح.

قوله: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: فِتْنَةٌ وَشَرٌّ»، هذا فتنة، يكون بعد الخير فتنة وشر.

قوله: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ»، ثَلَاثَ مِرَاتٍ»؛ يحث حذيفة على تعلم كتاب الله؛ لأنه لا منجى من الفتن -إذا حدثت-، إلا بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

انتبه! الحث على التعلم، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث على تعلم كتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخلة في كتاب الله؛ لأنه لا ينجي من الفتن إلا الاعتصام بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، تعلم كتاب الله لا يكون عفويًا، لابد من تلقيه عن العلماء العالمين به.

قوله: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، فِيهَا - أَوْ فِيهِمْ»، يكون بعد هذا الشر خير، لكنه ليس خالصًا، يكون خير، لكنه فيه دخن؛ يعني: فيه شيء من الشر؛ مخلوط.

قوله: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْهُدْنَةُ عَلَى الدَّخَنِ مَا هِيَ؟ قَالَ: «لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، صَمَّاءُ»؛ عمياء لا تبصر، صماء لا تسمع، بمعنى أنها متغلغلة، لا يردها راد، إذا حدثت الفتن، صعب دفعها، لكن قبل أن تحدث، فإنه يجتهد في إغلاقها، وإبعاد الناس عنها، وإلا إذا حدثت، كثير من الناس يريدون الفتن-والعياذ بالله-، كثير من الناس يريدون الفتن، ويعشقونها، ويستمعون لأهلها؛ فلا يفتح هذا الباب.

قوله: «عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ»، ليست فتنة عمياء صماء فقط، وأيضًا عليها دعاة يدعون لها، ويرغبون فيها، وفي حديث آخر: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا»[(١)].

الفتنة لا تأتي بنفسها فقط، بل لها مروجون، لها دعاة يروجونها، ويزينونها للناس، فتدخل أفكار كثير من المغرورين، هي في نفسها فتنة شديدة، وأيضًا لها حملة يدعون إليها.

فالخطر شديد في وقتنا هذا -كما تعلمون-، والفتن ووسائل الشر كثيرة، ودعاة الضلال الذين يأتون باسم الخير، وباسم الدعوة إلى الله، وباسم...، وباسم ...، وهم كذبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيجب الحذر منهم، ويجب الانحياز إلى أهل العلم، المتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله، العالمين بكتاب الله وسنة رسوله، يجب الانحياز إليهم، والانضمام لهم، والاستماع لهم، والحذر من هؤلاء الدعاة؛ دعاة الضلال.

الفتنة لا تأتي بنفسها فقط، يأتي معها ناس يروجونها، ويدعون لها، فيجب الحذر منهم، هم لا يأتون ويقولون: نحن دعاة فتنة، لا، بل يقولون: نحن دعاة خير، ودعاة سنة، ودعاة إلى الله ... إلى آخره. ولكن ما هم عليه باطل، يروجون هذا على كثير من الناس؛ فيجب الحذر من هؤلاء، نسأل الله العافية والسلامة!

قوله: «فَإِنْ تَمُتْ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلٍ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ»؛ يعني: ماذا تفعل إذا جاء هؤلاء الدعاة؟ هل تستسلم، وتقول: (ليس بيدي حيلة)؟

نعم، ليس باليد حيلة، لكن ابتعد عنهم، لا تختلط بهم، لا تستمع لهم، ابتعد عنهم، وانعزل، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى تدركك منيتك، اعتزل الفتن.

هذا الحديث فيه اعتزال الفتن وأهلها، وعدم الاختلاط بهم.

بعض الناس يقول: أنا ليس لي شأن بهم، أنا أجلس معهم، وليس عندي- إن شاء الله- شر، ولا عندي، ولكن أجلس معهم، واستمع لهم، وأنا على ما أنا عليه.

نقول: نعم، أنت في الأول أنت ما عليه، لكن إذا جلست معهم، ومعهم حجج شيطانية، يؤثرون عليك: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

الله نهانا عن الجلوس مع القوم الظالمين، ومن أظلم الظالمين دعاة الفتنة، لا تجلس معهم، لا تستمع لهم، لا تقل: أنا أعرف، ولا يمكن لهم أن يخدعوني. لا، لا تزكِّ نفسك يا أخي.

حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على علمه وعلى فضله يقول له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ»(١).

لو ليس عندك مال، وليس عندك طعام ولا شراب، لو تعض على شجرة يابسة، أفضل لك من أن تجالس أهل الفتن وأهل الشر؛ فرارًا بدينك.



(١) يأتي تخريجه الحديث القادم -إن شاء الله-.

(١٩) وَلَهُمَا: عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

هذا حديث عظيم، حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان معنيًّا بالسؤال عن الفتن؛ خوفًا على دينه، يريد أن يعرف الحكم الشرعي إذا وقعت، لم يكن يسأل عن الفتن محبة لها، وإنما كان يسأل عنها خوفًا منها عليه وعلى الأمة.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ»؛ يعني: عن الخير فقط.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»؛ فهذا فيه فائدة عظيمة، وهي أن الإنسان لا يقتصر على تعلم الخير، ولكنه يجمع بين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (٥١) (١٨٤٧).

تعلم الخير وتعلم ماذا سيكون ضد الخير؛ حتى يستعد له؛ لأن الخير لا يدوم -هكذا الدنيا-، الخير لا يدوم، والشر -أيضًا- لا يدوم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ولو كان الخير يدوم، لم نحتجْ إلى السؤال عن الشر، ولكن نعلم أن الخير لا يدوم، فنسأل: ماذا نعمل إذا جاء الشر؟ هذا فقه عظيم.

الآن هناك من الناس من الجهلاء أو من المغرضين من يقولون: (لا تدرسوا مذاهب الفرق، والخوارج، والمعتزلة[1]، والجهمية[2]، هؤلاء

(١) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١-٧٩٢).

(٢) هم أتباع الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

ماتوا، ذهبوا، يقولون: هؤلاء ماتوا، ذهبوا، لاتدرسوا هذا). يقول هذا من الجهل أو من الغش للأمة.

لابد من دراسة هذا؛ لأن هناك لهم ورثة، ما من قوم إلا ولهم وارث، لهم ورثة، الجهمية باقية الآن، المعتزلة باقية الآن، سائر الفرق باقية.

وأيضًا لو فرضنا أنهم انقرضوا هم بأشخاصهم، فكتبهم موجودة مطبوعة، ويطبعونها، وينشرونها، ويحققونها، ويعتنون بها، الآن أتباعهم يعتنون بها جدًّا، والدول الكافرة -أيضًا- تعتني بها من أجل أن تدسها على المسلمين، فلابد من دراسة هذه الأمور من أجل أن نعمل لها مضادًا، وإلا فإنها ستضر الناس.

فهذا وجه كون حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل عن الشر، لماذا يسأل عنه؟ بيَّن هذا، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»، فإذا أدركني، يكون عندي ما أعالج به هذه الحوادث، وأبتعد عن شرها، وهذا من فقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونصحه للأمة.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ»، هذا قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا يعبدون الأصنام، ويعبدون الأشجار والأحجار، وكانوا ينهب بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، كانوا لا يتقيدون بالحلال والحرام؛ يأكلون الربا، يأكلون الميتات -الجيف-، يشربون الخمر وغير ذلك من الموبقات، هذا في الجاهلية.

ثم جاء الله بالخير، بعث رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء الإسلام، وأشرقت الأرض به، فهل يستمر هذا الخير؟

سأل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي؛ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»»؛ يكون عندهم ما تعرف منهم وتنكر، يكون منهم تغيرات، يشير بذلك إلى ولاة الأمور، يكون عندهم بعض الأمور، بعض الأفكار، بعض الشهوات والانحرافات، إلا أنها لا تصل إلى حد الكفر، فعند ذلك يجب معالجة هذا الشر.

ولا يسوغ هذا الخروج على ولاة الأمور؛ فتلزم طاعتهم؛ جمعًا للكلمة، ولئلا يزيد الشر، وتزيد الفتنة فتنة، فبقاء ولاة الأمور -وإن كانوا على غير المطلوب من كل جهة- ما لم يصلوا إلى حد الكفر، فبقاؤهم خير للناس، وممارساتهم عليهم هم، وبقاؤهم خير للأمة؛ يدرؤون بهم الشر ويلتفون حولهم، فهذا من فقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»؛ يعني: فيه خلط، ليس خيرًا خالصًا، بل فيه خلط من الشر -كما ذكرنا-؛ قوم يستنون بغير سنة الرسول، ويهتدون بغير هديه، ويكون عندهم شهوات، ويكون عندهم بعض الأفكار؛ مثلما حدث من المأمون، ومثلما حدث من غيره، مثلما يحدث من بني العباس، فيه خير وفيه شر.

وفي هذا -كما سبق- أن الإنسان يلزم السمع والطاعة؛ لزوم الجماعة، ويصبر على ما يكون من النقص؛ لأنه عند الاختيار النقص أو العدم؟ النقص خير من العدم المحض.

فهذا المنهج الذي أوصانا به رسول الله ﷺ مع البيان ومع النصح؛ لا يسكت الإنسان، ولا العلماء يسكتون؛ بل يبينون، ويناصحون الولاة، هذا واجب، ولا يسكتون على ذلك، ويقولون: نرضى بهذا. لا، مع المناصحة والمعالجة.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟»؛ يعني: هذا الخير الذي فيه دخن هل بعده شر؟

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ: نَعَمْ»، فهنا تأتي المصيبة: «دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»؛ «دُعَاةٌ» يدعون إلى النار؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ [البقرة:٢٢١]، والشيطان ﴿يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

كما أن هناك دعاة للخير هناك دعاة للشر، والناس أقرب إلى دعاة الشر منهم إلى دعاة الخير؛ لأن النفوس تميل إلى الفتن، وتميل إلى الشبهات، إلا من رحم الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال ﷺ: «دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»؛ من اتبعهم يؤول أمره إلى جهنم؛ لأنهم يضلونه، ويغيرون دينه وعقيدته وأخلاقه؛ فيعمل بأعمال أهل النار؛ فيكون من أهل النار بسبب دعاة الضلال، دعاة الفتنة، دعاة الشهوات، وما أكثرهم الآن! يدعون إلى جهنم في كتبهم، في قنواتهم، في فضائياتهم يدعون إلى جهنم، يشككون في الدين، يسبون أهل الخير، يسبون الصحابة

ومن بعدهم، يسبون السلف الصالح، ويزهدون فيهم -كما لا يخفاكم-، فهم على أبواب جهنم.

قال ﷺ: «**مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا**»؛ من أطاعهم، قذفوه فيها؛ في النار.

«**مَنْ أَطَاعَهُمْ**»، هذا يدل على أنه تجب معصيتهم، ولا تجوز طاعتهم، ويجب الحذر منهم.

قال رضي الله عنه: «**فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟**»، انظر إلى الفقه، إذا وجد الشر، ما تأمرني أن أعمل؛ حتى أنجو من هذا الشر؟

«**قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»؛ طالما أنه لا يزال للمسلمين جماعة وإمام وولي أمر -على ما كان منه من تساهل، من نقص-، الإمامة لاتبطل في الإسلام بسبب ممارسات بعض الأئمة، ما داموا لم يكفروا، فإنه تلزم طاعتهم، ولزوم الجماعة معهم؛ لأن هذا عصمة ونجاة من الشرور، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما معلوم.

فوجود الخير -ولو كان فيه نقص- خير من الشر المحض، فتلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وإن كان هناك أشياء غير مرغوبة في المجتمع وفي الولاة، لكن مع هذا تلزم جماعة المسلمين وإمامهم؛ لما في ذلك من النجاة والسلامة من الفتن.

فهذا يدل على أنه لابد من لزوم الجماعة ولزوم الإمام في كل الأحوال؛ في حالة الخير، وفي حالة وجود الشر، لابد من لزوم الجماعة؛ لما في ذلك من الخير والصلاح ودفع العدو، تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

لا زال حذيفة عنده أسئلة -أيضًا-، قال: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟»؛ يأتي حالة، ينحل الأمر، ولا يكون هناك جماعة للمسلمين، ولايكون هناك إمام لهم؛ لأنه معلوم أنه إذا لم يوجد إمام، لن توجد جماعة أبدًا، لا توجد جماعة بدون إمام، لا جماعة إلا بإمام، ولا إمام إلا بسمع وطاعة، لكن قد يكون ينحل -والعياذ بالله- الأمر في آخر الزمان، ولايكون هناك إمام ولا جماعة، فماذا يعمل المسلم؟ هل يستسلم مع الناس؟

«قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا»: لا تدخل معهم، اعتزل الفتن وأهل الفتن، ابقَ على حدة، والزم الحق ولو بنفسك، ولو أنت وحدك، الزم طريق الحق.

ولابد إذا بلغ هذه الحالة، وبقي واحد على الحق، والبقية كلهم على خلافه، يجب أن يناله شيء من المشاق والمكاره؛ لأن مخالفة الناس والانفراد عنهم صعب، لكن هذا لابد منه، إذا كان الناس على باطل، فلاتكن معهم، ولو بقيت وحدك، إذا بقيت وحدك، ينالك ضرر، اصبر على هذا.

«وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»؛ يعني: على دينك، متمسكًا بدينك، معتزلًا للفتن وللدعاة الذين على أبواب جهنم، يدركك الموت وأنت كذلك، فتموت على الإسلام.

هذا حديث عظيم رواه البخاري وغيره، وفيه منهج واضح للمسلم عند وجود الفتن، عند وجود دعاة جهنم ماذا يعمل؟ هذا يرسم لك الطريق الصحيح الذي تنجو به من الفتن والشرور.



(٢٠) وَفِي رِوَايَةٍ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[1].

وهذا -أيضًا- حديث عظيم، أنه سيكون هناك أئمة عندهم انحرافات؛ تغيرات وأفكار، لكن طالما لم يبلغوا إلى حد الكفر، ويقيمون الصلاة فإنه يُصبر على ما عندهم، حتى ولو كان فيهم ظلم: **«وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ»**، اصبر عليه، ولو ضرب ظهرك بالعصي، وأخذ مالك؛ لأن الدين لا يعوض، أما الضرب، وأما المال، فيعوض، لكن الدين لا يعوض، اصبر على دينك، واصبر على طاعة ولي الأمر، ولو ظلمكن ولو كان الولاة ظلمة.

ليس من اللازم أن يكون الوالي عادلًا مثل عمر ومثل الخلفاء الراشدين، ليس بلازم هذا، والدنيا تتغير، والعلم يضعف، والدين يضعف في آخر الزمان، ولابد أن تلزم جماعة المسلمين على ما فيهم، تلزم إمام المسلمين على ما فيه من ظلم للناس أو فسق في دينه، دون الكفر.

حَنَانَيْكَ! بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[2]

---

(١) أخرجها مسلم (٥٢) (١٨٤٧).

(٢) عجز بيت للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد، وصدره (أبا منذرٍ! أفنَيْتَ فاستبْقِ بعضَنا). انظر: ديوان طرفة بن العبد (١/ ٥٣)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٢٢).

فتلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وإن ظلمك الوالي، أو ظلم غيرك، فالذين يثورون على الحكام الآن، ويقولون: ظلمة، أكلوا المال، فعلوا! ليس هذا هدي الإسلام، هدي الإسلام: الصبر مع السعي بالإصلاح ما استطاعوا، والصبر على ما يكون من المشاق، الصبر على ذلك.

ولا تنسوا قاعدة ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، ودرء المفاسد، هذه قاعدة -أيضًا-: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فهذه قاعدة عظيمة في الإسلام.

الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام أهل السنة ماذا عُمِلَ معه ليقول بخلق القرآن؟ ضُرِبَ، وسُجِنَ، وعُذِبَ، ووصل الأمر إلى التهديد بقتله، فحُمِلَ إلى المأمون ليقتله، ولكن صبر، ولم يخرج على ولي الأمر.

لاحظ! لم يخرج على ولي الأمر؛ صبر على التعذيب، صبر على الفتنة، ولم يخرج، حاولوا معه أنه يخرج، فأبى، يقول: (الدماء، الدماء)[١]، فيحذرهم من ذلك؛ من فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشفقته على الأمة، فهذا مثال.

شيخ الإسلام ابن تيمية ماذا جرى عليه من ولاة عصره وعلماء عصره؟

العلماء صاروا ضده، والولاة ضده، وسُجِنَ، ومات في السجن، ومع هذا صبر، وهو له أتباع لو يريد كانوا خرجوا على ولي الأمر. لكن ليس هذا

(١) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣/ ٤٧)، والسنة للخلال (١/ ١٣٢).

هدي الإسلام، هدي الإسلام الصبر على ولي الأمر المسلم، ولو كان ظالمًا، ولو كان فاسقًا؛ لأن ذلك أخف من ضياع الكلمة وتفريق الجماعة.

فهذه قواعد عظيمة تعطيكم دفعة قوية في مثل هذه الفتن والشرور، وتعطيكم مضادًا ضد دعاة الضلال الآن، الذين تعلمون مكايدهم وشرهم على المسلمين، ولا يرد كيدهم إلا الصبر على الجماعة ولزوم الطاعة، هذا يرد كيدهم، وهذا هو الذي أوصانا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(٢١) وَلِمُسْلِمٍ: «إِنْ كَانَ لِلهِ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ، فَضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ لِلهِ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ»؛ يعني: ولي الأمر، خليفة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

المراد بالخليفة: الذي يخلف من قبله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥]، فالمراد بالخليفة: الذي يخلف من قبله، وليس الخليفة خليفة الله، هذا لا يجوز أن يقال: «خليفة الله»؛ الله ليس له خليفة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الخليفة إنما يكون عن المخلوق، الذي ينوب عنه، من ينوب في تصريف الأمور، يخلفه بعده، فالخليفة تكون بين الخلق بعضهم مع بعض، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فليس له خليفة؛ بل الله هو الخليفة -سبحانه-؛ كما يقول المسافر عندما يركب: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»[٢]، الله هو الخليفة على أهلك؛ يتولاهم، ويحفظهم لك في غيابك؛ فالله هو الخليفة.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ

---

(١) لم أجده عند مسلم، وقد أخرجه أبو داود (٤٢٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[(١)]؛ يعني: أن الله يحفظ كل مسلم وقت ظهور الدجال، يكون خليفة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا يقال: «خليفة الله»؛ هذا غلط، وإنما الخليفة معناه: من يخلف من قبله من السلاطين ومن الولاة، فإذا كان في الأرض خليفة، يسره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ لله خَلِيفَةٌ»؛ يعني: أن الله جعل خليفة في الأرض على ما كان من حاله -كما سبق-، فاسمع، وأطع، وإن أخذ مالك؛ سلب مالك، وضرب ظهرك، ما دام أنه خليفة للمسلمين ولي أمر، فعليك السمع والطاعة، ولا تقل: إن أعطاني شيئًا، وأعطاني مالًا، أو إن كف الظلم عني، وإلا سأخرج عليه. لا يجوز، هذا ليس من هدي الإسلام: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨]؛ هؤلاء المنافقون.

فالإنسان لا يطيع الخليفة أو ولي الأمر من أجل الطمع؛ هذه طريقة المنافقين، أما المؤمن، فهو يصبر، ويسمع، ويطيع، ولو كان الخليفة يأخذ منه، ولا يعطيه، ولو كان الخليفة يضرب ظهره، ويسجنه، يصبر على ذلك.

إذا كان لله خليفة في الأرض، أوصى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يسمع له، ويطاع، وإن كان ظالمًا للناس؛ لأن ظلمه أخف من الخروج عليه وشق عصا الطاعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكونه يصبر على ضرر جزئي -يقع عليه- أخف من الضرر الكلي، الذي يكون على الأمة في الخروج على ولي الأمر.

فهذا أمر عظيم، ومبدأ عظيم، وأصل عظيم، وهو الانضمام مع جماعة المسلمين، ولزوم طاعة ولي أمرهم، مهما كان الحال من المشقة؛ لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة، ودفع الشر، ودفع العدو الأكبر.

الكفار يشجعون على شق عصا الطاعة، ويقولون: «الحرية والديمقراطية»، يشجعون على هذا، قصدهم من هذا حل جماعة المسلمين، هذا قصدهم من الديمقراطية ومن كذا، وما الديمقراطية عندهم؟ الحرية البهيمية، يتركون الإنسان على هواه، هذه الديمقراطية، حرية بهيمية تقتل العقيدة والأخلاق، يصبح الإنسان مثل الحيوان، هذه الديمقراطية عندهم.

أما الإسلام، فلا؛ الحرية شرعية، ليست حرية ديمقراطية، الحرية في الشريعة؛ الإنسان حر في ماله؛ يتصرف فيه، ولا يحجر عليه، إلا لسبب، الإنسان حر في تصرفاته في حدود الشرع بانضباط؛ لأن حدود الشرع هذه من مصلحته، ليست حجرًا عليه، وإنما هي لمصلحته، ومحافظة على مصالحه.

فالحرية البهيمية هذه عند الكفار، أما الحرية الشرعية، فهذه عند المسلمين هي الحرية الصحيحة.

المرأة تعطى حريتها، بمعنى: أنها لا تسأل عن عرضها، لا تسأل عن تصرفاتها، وعن تبذلها، هذه حريتها عندهم، أما الإسلام، فلا؛ المرأة حرة من الشر، حرة مما كانت عليه في الجاهلية؛ من الابتذال، ومن الإهانة، ومن....

ومن، المرأة عندنا حرة -ولله الحمد-، لكنها حرية شرعية لصالحها، فيجب أن نعرف هذه الأمور، فلا تنطلِ علينا دغدغات الكفار وشقشقات عملائهم.

الدين الإسلامي فيه كل خير، كل خير للبشرية فهو في الدين الإسلامي، وكل شر فهو في خلاف الدين الإسلامي، لا يصير عندنا شك في هذا أبدًا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ**»؛ مثلما سبق، إذا لم تجد خليفة لله في الأرض، فاعتزل، ولو أن تعض بأصل شجرة، ولو أصابك فقر وفاقة -حاجة-، اصبر؛ لأن دينك ألزم عليك من أمور الدنيا.



بَابُ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ

الفتن جمع فتنة، والمراد بها: الابتلاء والامتحان.

يفتن المرء يعني: يختبر ويبتلى؛ ليتميز المؤمن الصادق في إيمانه الثابت من المنافق، الذي يظهر الإيمان، ويبطن خلافه.

إذا جاءت الفتن، يتميز هذا من هذا، يتميز الصادق في إيمانه من الكاذب والمنافق، وأيضًا يتميز المؤمن قوي الإيمان من المؤمن ضعيف الإيمان.

الفتن يجريها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لاختبار الناس؛ مثلما يُجْرَى الاختبار على الطلبة، فيتبين المجد في طلب العلم من المتكاسل، هذا مثال، وإلا فالفتنة في الدين أشد -والعياذ بالله-.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ﴾ [العنكبوت:١]، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:١-٢]؛ يعني: يختبرون: هل هم صادقون في قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٣]، هذه سنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في عباده؛ أنه لا يترك الناس على ما هم عليه، ولكن يجري الاختبار والامتحان؛ ليتميز الصادق من غير الصادق.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٣]؛ من الأمم.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]؛ هذه الحكمة، الله يعلم كل شيء، يعلم هذا من هذا، وإن لم يحصل فتنة، ولكنه

لا يعذب حسب علمه، وإنما يعذب بحسب أعمال العباد، لذلك يجري عليهم الامتحان، فمنهم من يثبت ويصلح عمله، فينجو، ومنهم من يخفق -والعياذ بالله-، ولا يصبر.

هذا معنى قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: يعلم علم ظهور، وإلا فهو يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل ذلك، يعلم، لكنه لا يعذب، إلا على فعل العبد، أو لا ينعم إلا على فعل العبد، فالثواب والعقاب معلقان بفعل العبد، لا بعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الحاصل أن الفتن سنة من سنن الله الكونية، وحكمتها أن يميز الصادقين في إيمانهم وقولهم: «آمنا» من الكاذبين، الذين لهم غرض أو طمع دنيوي، وليس في قلوبهم إيمان صادق، هؤلاء يفترقون من أول الطريق، ولا يثبت إلا أهل الإيمان الصادق.

هذا معنى الفتن، وهذه هي الحكمة في إجرائها، وأنها سنة الله في خلقه الأولين وفي الآخرين.

والفتن تتنوع وتتجدد في كل زمان بحسبه، في زماننا هذا الفتن كثيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

والفتن فتن شبهات في العقيدة، وفتن شهوات في الدنيا وملذاتها، وفي السلوك والأخلاق؛ شهوات.

فالفتن على قسمين:

الأول: فتن الشبهات -والعياذ بالله-، وهذه أشد.

والثاني: فتن الشهوات، بعض الناس يمشي مع شهواته؛ من الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، تعرض عليه الشهوات وتروج، ييسر الحصول عليها، فيفتن فيها، بينما بعض الناس يعصمه الله، ويثبت على دينه، ويصبر على دينه، ولا يلتفت إلى الشهوات؛ لعلمه أنها زائلة، وأن عذابها باق، وأن الطاعات وإن حصل عليه مشقة -تعب مؤقت-، إلا أن عاقبتها حميدة، فيثبت على دينه وعلى أخلاقه الطيبة، وعلى الصراط المستقيم، فتكون العاقبة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ أَمَارَاتِ السَّاعِةِ).

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر أمته من الفتن، وذكر أنواعها وأوقاتها، فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك أمته في أمر مشتبه أو ملتبس، بل بين لها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبرها عما يحدث في المستقبل؛ من أجل أن تأخذ حذرها، وتثبت على دينها، وتصبر على ما ينالها في سبيل ذلك، جاء ذلك في أحاديث كثيرة مروية ومدونة؛ من أجل أن نعرفها، ونحذر منها، ومن ذلك هذا الكتاب الذي معنا الآن، الذي ألفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا من ضمن الدعوة؛ فمن أنواع الدعوة التحذير من الفتن والشرور، التي تعترض طريق المسلم.

فمن أنواع الدعوة إلى الله التحذير من الفتن؛ حتى يحذرها المسلم؛ لأنه إذا لم يعرفها، يقع فيها، لكن إذا عرفها، وبينت له، تجنبها بتوفيق الله عَزَّ وَجَلَّ، فلابد من هذا، ولهذا بينها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الأحاديث.



(٢٢) وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى(١).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ»؛ يعني: قيام الساعة؛ لأنه آخر الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يأتي بعده نبي إلى أن تقوم الساعة؛ لأن دينه كاف لجميع الناس وجميع الأوقات إلى أن تقوم الساعة.

وهذا معنى قوله: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»؛ يعني: أن وقت بعثته مقارب لقيام الساعة كتقارب الأصبعين بعضهما من بعض.

وهذا تحذير من الفتن، وإخبار عن قصر الوقت بين بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيام الساعة؛ حتى نحذر، ونستعد للقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سالمين من الفتن.

فلا يقل الإنسان: الوقت واسع، والوقت بعيد. لا؛ الساعة قريب، وساعة الإنسان موته.

الساعة عامة، وهذه لجميع الخلق، وهناك ساعة حسب الأفراد، وهي الموت والأجل، فمن مات، فقد قامت قيامته وانتهى عمله، وواجه جزاءه. فلا يقل واحد أو أحد الناس: الوقت واسع، والساعة بعيدة، إلى آخره. بل الساعة قريبة، الساعة الخاصة والساعة العامة قريبة، وكل ما هو آت قريب.



---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (١٣٥) (٢٩٥١).

(٢٣) وَلِلْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ -يَعْنِي آمَنُوا- أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»(١).

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وفيه أنواع من الفتن مخيفة جدًّا، قد يكون بعضها قد وقع، وبعضها يقع؛ لأنه لابد من وقوع ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنأخذها واحدة واحدة:

أولًا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ»؛ من الفتن حدوث الشقاق بين فئتين من المسلمين؛ فيقتتلان مقتلة

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٧) (١٥٧)، واللفظ للبخاري.

عظيمة، وهم مسلمون، لكن يقتتلان على اختلاف بينهم على شيء، كل منهم يريد هذا الشيء؛ إما ملك، وإما مال، وإما...، فيحصل القتال بين المسلمين، وهذه مصيبة عظيمة، إذا اقتتل المسلمون بينهم، تسلط عليهم العدو، واستغل خلافهم وانشغالهم بأنفسهم، استغل ذلك، فهجم عليهم، وأخذ بلادهم، وغيَّر دينهم.

هذا فيه التحذير من الاختلاف بين المسلمين والنزاع بين المسلمين، وأنه يجب عليهم إذا حصل بينهم اختلاف أن يصلحوا ذات بينهم، ولا يتركوا فرصة للعدو يتدخل لمصالحه هو، لا لمصالحهم، تكون الثمرة للعدو الكافر، وهم لا يحصلون على ثمرة، بل يضيع دينهم ودنياهم.

ففيه التحذير من الاختلاف بين المسلمين والقتال، لا يحل لمسلم أن يقتل أخاه المسلم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا﴾ [النساء:٩٢]، فلا يجوز أن يتطور الخلاف بين المسلمين إلى قتال.

الخلاف يحصل، ولكن عليهم أن يصلحوا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات:٩]؛ كفًّا لشرها، وإطفاء للفتنة، فلابد من التدخل إذا حصل بين المسلمين شيء من الاختلاف، تدخل بالإصلاح بين الجهتين، فإن أبت إحداهما قبول الصلح، فإنها تُقَاتَلُ؛ حتى يخمد شأن الفتنة، ولا تنتشر بين الناس، هذه واحدة.

ثانيًا: ولا تقوم الساعة -أيضًا- **«حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ»**؛ يدَّعون النبوة، مع أنه لا نبي بعد محمد

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو خاتم النبيين؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، آخر النبيين هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِي بَعْدِي**»(١)، لكن مع هذا يظهر من يدعي النبوة؛ من باب الابتلاء والامتحان للناس، ويتبعه أتباع مع أنه كذاب، يتبعه أتباع من الناس؛ إما رغبة، وإما رهبة.

وقد ظهر ما أخبر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وظهر الكذابون الذين ادعوا النبوة، أولهم مسيلمة الكذاب، والثاني الأسود العنسي.

مسيلمة هذا في اليمامة -في بلاد نجد-، قاتله أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى قُتِلَ، والأسود العنسي في اليمن قتله المسلمون الذين حوله، استراح المسلمون من شر هذين الكذابين، اللذين ظهرا في آخر حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم توالى ظهور المتنبئين الكذبة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ**»(٢)؛ ثلاثون، والعدد هنا ليس للحصر، يظهر أكثر منهم، ولكن الذين يكون لهم شأن هم بهذا العدد، وإلا فهم أكثر من هذا، ولكن لا يشتهر أمرهم مثل هؤلاء الثلاثين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٦) من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وأصل حديث ثوبان رواه مسلم (٢٨٨٩)، وليس فيه الشاهد. وأخرجه البخاري (٤٤١٦) بلفظ: «ليس نَبِيٌّ بَعْدِي»، ومسلم (٢٤٠٤) بلفظ: «وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٦) من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بذلك من أجل أن نأخذ حذرنا من الفتن -ظهور الكذابين-؛ لأن بعض الناس يطيعهم، وينقاد معهم، ويقاتل معهم، وقد حصل هذا.

فهذا فيه ظهور المتنبئين، وفيه أنه يجب على المسلمين ألا يصدقوهم، وأن يقاتلوهم هم وأتباعهم؛ حتى يستريح الناس من شرهم، ويظهر كذبهم، وقد حصل -ولله الحمد- أنهم قوتل رؤوسهم، وأبطل الله شرهم.

ثالثًا: «يُقْبَضَ العِلْمُ»؛ من الفتن قبض العلم، هل: يقبض بأخذه من الكتب ومن صدور الناس؟

لا، بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف يقبض العلم، قال: **«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**[(١)]، يقبض العلم بقبض العلماء؛ لأنه طالما العلماء موجودون، فالعلم باق، فوجودهم علامة خير، في قبضهم علامة شر وفتنة؛ لأنه بفقدهم يفقد العلم؛ لأنهم هم حملة العلم، وماذا تغني الكتب الكثيرة مع فقد العلماء؟!

وجود الكتب لا يكفي، هلك بنو إسرائيل وعندهم التوراة والإنجيل، لما لم يكن عندهم علماء يقومون بالحق، هلكوا.

فوجود الكتب بيننا وانتشار الكتب وتنوعها هذا لا شك أنه خير، لكن لا يكفي؛ لأنه يأتي من يقرأ هذه الكتب على غير بصيرة ويضل الناس ويظن

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أنه عالم. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**؛ ضلوا هم، وأضلوا غيرهم.

وهذا فيه التحذير من التعالم والمتعالمين، الذين يأخذون العلم عن الكتب وعن الأشرطة، ولا يحضرون عند العلماء، ولا يتعلمون على أيدي العلماء؛ لأن العلم بالتلقي، ليس بالقراءة فقط، العلم بالتلقي عن أهل العلم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالا»**؛ لأن العلماء فقدوا، الناس يحتاجون إلى من يفتيهم، إلى من يرجعون إليه، لم يجدوا إلا هؤلاء المتعالمين رءوس الجهال، فحصل الخطر العظيم.

فهذا فيه الحث على طلب العلم، ما دام العلماء موجودين، فنستدرك الأمر، ونطلب العلم على أيدي العلماء، ولا نقتصر على الكتب، أو على المتعالمين والقراء، وحتى لو حفظ الإنسان القرآن، وحفظ المتون، وحفظ الأحاديث والصحاح، وليس عنده فقه وفهم لهذا، وإنما يعتمد على الحفظ فقط، وهو لا يفهم المعاني، فليس فيه فائدة؛ هذا ضرره أكثر من نفعه -إن كان فيه نفع.

رابعًا من الفتن: «تَكْثُر الزَّلَازِلُ»؛ جمع زلزال -والعياذ بالله-، وهو حركة الأرض.

الأرض جعلها الله قرارًا وثابتة، وأرساها بالجبال؛ ليعيش الناس على ظهرها، ففي آخر الزمان يكثر اضطراب الأرض والزلازل؛ فيتدمر كثير من البلاد؛ كما هو الواقع الآن، وكما تسمعون عن هذه الزلازل، التي يتدمر فيها خلقٌ كثير وبلاد كثيرة.

وهذه عقوبات يجريها الله على العباد، إذا فسدوا في آخر الزمان، يجري الله عليهم العقوبات، فهي من ناحية عقوبة، ومن ناحية تذكرة لأهل الإيمان؛ أن يستيقظوا، ويتوبوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ولا يقال: «إن هذه ظواهر طبيعية»؛ كما يقوله المتحذلقون والجهال؛ ظواهر طبيعية لا تدل على شيء، إنما هي ظواهر طبيعية تجري، لا، ليست ظواهر طبيعية، لماذا لم تكن ظواهر طبيعية في الأزمنة السابقة؟! لصلاح الناس واستقامتهم، إنما حدث هذا في آخر الزمان؛ نذير، تحذير للناس؛ حتى يعتبروا بها.

خامسًا من الفتن: «يَتَقَارَب الزَّمَانُ»؛ يمضي بسرعة، يمضي الزمان بسرعة، والناس غافلون في دنياهم، وهذا ظاهر؛ يعني: مرور السنين والشهور والأيام بسرعة، حتى لا يكون مع الإنسان فرصة للعمل بسرعة؛ لسرعة الزمان.

تتقارب -أيضًا- البلاد بواسطة وسائل الإعلام، تتقارب البلاد -كما هو معلوم-، حتى يكون العالم كأنه بلد واحد، وهذه ليست علامة خير، هذه علامة ابتلاء وامتحان.

سادسًا: «تَظْهَر الفِتَنُ»، كانت في الأول الفتن خفية عند بعض الناس أو بعض البلاد، لكن في آخر الزمان تكثر الفتن، وتنتشر بين الناس.

والفتن كثيرة؛ منها فتن الشبهات في العقيدة، ومنها فتن الشهوات في ما يشتهيه الناس من المعاصي، ومنها فتن الأمراض الفتاكة، ومنها فتن الأموال والأولاد.

فتن كثيرة تظهر أكثر في آخر الزمان، ينشغل الناس بها عن دينهم وعما ينفعهم أو يشغلهم؛ إما أنهم هم ينشغلون بها، وإما أنها هي تشغلهم وتلهيهم عما سواها.

سابعًا: «يَكْثُر الهَـرْجُ»؛ الهرج هو القتل، من غير سبب الآن ترون يتقاتلون، وليس هناك سبب ظاهر، إنما موجة قتل، قد يقتل الأخ أخاه، والوالد ابنه، والقريب قريبه، من غير سبب؛ لأن القتل إذا اشتعل بين الناس، انتشر، وصعب إطفاؤه، ولاسيما إذا تيسرت آلات القتل والدمار.

كان بالأول القتل بالسلاح؛ بالسيف بالبندقية، لكن الآن -والعياذ بالله- وسائل مدمرة للقتل؛ آلات فتاكة: نسف بالصواريخ، بالدبابات، بالقنابل -والعياذ بالله-، يموت فيها خلق.

«يَكْثُرالهَرْجُ»؛ يعني: القتل، هذه من علامات الساعة، وهذا كما تعلمون الآن شيئًا منه.

ثامنًا: «وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ»، وهذا من الفتن، فالمال فتنة: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن:١٥]، فكثرة المال ليست علامة خير، هي علامة فتنة؛ لأن الناس ينصرفون عن دينهم، وينشغلون بالمال، الناس يتقاتلون على المال والطمع، الناس يتحاسدون على المال... إلى آخره، فالمال فتنة من وجوه كثيرة، إلا من وفقه الله.

أيضًا المال فتنة في اكتسابه؛ يكون من ربا، من رشوة، من غش، من قمار،... إلى آخره.

ويكون -أيضًا- فتنة في تصريفه وإنفاقه؛ ينفقه في الملاهي، في اللعب، في الشهوات المحرمة، وأعظم ذلك ينفقه في الصد عن سبيل الله، وقتل المسلمين، وغير ذلك.

فإذا كثر المال، كثر الأغنياء، وقل الفقراء؛ فصاحب الزكاة لا يجد من يقبلها في آخر الزمان؛ لكثرة المال وفيض المال، حتى يرد المدفوع إليه المال زكاةً، يرد هذا، يقول: «لا رغبة لي فيه».

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ**»، وهذه من علامات الساعة؛ ينشغل الناس بالمباني والتطاول فيها؛ أربعين دورًا، خمسين دورًا، مائة دورٍ،... إلى آخره.

ما رغبتك في البنيان هذا؟ ما حاجتك في البنيان هذا؟

لكنه تباهٍ؛ من باب المباهاة: «أنا أرفع من منك بناء، وأنا أرفع منك أدوارًا»، والثاني يقول: «لا، أنا أرتفع أكثر»، وهكذا: «**أَنْ تَجِد الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»[1].

كانت البادية بيوت الشعر متنقلة، في آخر الزمان يثري البدو بالأموال، ويتحولون من البادية إلى الحاضرة، ويتطاولون فيما بينهم، وهم كانوا يسكنون في بيوت الشعر، وفي آخر الزمان يسكنون في القصور، وفي الأدوار المرتفعة، هذا من علامات الساعة، وقد وقع الآن؛ كما ترون.

قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ**»، هذه أشـد؛ أنه من شـدة الفتنة وشـدة ما يلقى أنـه يتمنى الموت، مع

---

(١) حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي تخريجه إن شاء الله.

أنكم تفرون من الموت، في آخر الزمان يتمنى الإنسان الموت، لماذا؟ ليستريح من هذه الفتن، ليستريح من هذا الشر، وليس من أجل الدين، وإنما من أجل أن يستريح من الفتن، فيمر بالقبر، ويقول: يا ليتني مكانك.

بعض الروايات: يتمرغ على القبر، ويقول: ليتني مكان هذا القبر، وليس به الدين، ليس به إلا الفتن، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ -يَعْنِي آمَنُوا- أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**»؛ طلوع الشمس من مغربها هذا من علامات الساعة الكبار، الشمس تطلع من المشرق، وتغرب في المغرب، لكن عند قيام الساعة وقبيل قيام الساعة يتغير مجرى الشمس؛ فتخرج من المغرب، تطلع من مغربها، هذا من علامات الساعة الكبار.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

إذا طلعت الشمس من مغربها، لا يقبل الإيمان من أحد، لا يقبل من أحد، إلا إن كان مؤمنًا من قبل: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا﴾ [الأنعام:١٥٨]؛ يعني: كسبت «أو» بمعنى الواو: وكسبت في إيمانها ﴿خَيْرًا﴾.

أما الإيمان الذي يحدث بعد قيام الساعة، فهذا لا يقبل، ولا ينفع، أما من كان على الإيمان قبل قيام الساعة، واستمر، وثبت عليه، فهذا يثبته الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بعدها لا يقبل الإيمان ولا التوبة.

قال ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[١]، فيبقى الكافر على كفره، والمؤمن على إيمانه، ولاأحد يؤمن في هذا الوقت، ولا يقبل منه الإيمان؛ لأن الإيمان قبل هذا، أما بعدما تظهر علامة الساعة، انتهى وقت الإيمان، كلٌّ يؤمن، لكن لايقبل إيمانه. ذلك هو تفسير هذه الآية: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨]، هذا عند طلوع الشمس من مغربها.

قوله ﷺ: «**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ**»؛ يعني: يذهلون عن ذلك، هم يتبايعون، ويشترون، ومعهم القماش على العادة، إذا قامت الساعة، ذهلوا، وتركوا ما معهم من القماش؛ لا يطويانه، ولا يبيعانه، ينشغل الإنسان.

قوله ﷺ: «**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فَلَا يَطْعَمُهُ**»؛ يحلب الناقة -على العادة- ليشربه، إذا قامت الساعة ومعه اللبن، انذهل، ولا يطعمه، ولا يشربه.

قوله ﷺ: «**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ**»، عادة الأعراب أنهم يجعلون أحواضًا للإبل؛ يصبون فيها الماء للإبل، وقبل أن يصب الماء في الحوض يلوطه؛ يعني: يصلح الحوض، ويهيئ الحوض للماء،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في الكبرى (٨٦٥٨).

يلوطه لكن لايكمل، لا يسقي به الإبل؛ لأنه انشغل، وانتهى الأجل؛ يعني: بغتة: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ [محمد:١٨]، الساعة تأتي بغتة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ، وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا**»، وهذا أشد، تقوم الساعة والإنسان قد رفع اللقمة إلى فيه؛ يأكل، وهو يأكل، قامت الساعة وهو يأكل، رفع اللقمة إلى فيه، قامت الساعة، لا يطعم اللقمة هذه.



(٢٤) وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ». وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ[١].

ومن الفتن التي تحدث في آخر الزمان عودة الشرك والوثنية إلى بلاد العرب، بعد أن طهرها الله ببعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتصاره على المشركين، وتكسيره للأصنام وإزالة الأصنام، إلا أنه في آخر الزمان يتغير الأمر؛ شياطين الإنس والجن يزينون للناس العودة إلى الجاهلية باسم إحياء الآثار.

الآثار أنتم تظنون أنها مجرد آثار فقط، لا، وراءها شيء؛ لأن من الآثار الأصنام، كل شيء تفعله الجاهلية يسمى بالآثار، ومنها الأصنام، يسمونها آثارًا، فيبحثون عنها، ويعيدونها على أنها آثار، ولكن قصد الشياطين من هذا عودة الشرك؛ لأنه إذا عادت الآثار المندرسة والمنسية المطمورة، إذا عادت، ألقى الشيطان في قلوب الجهال والعوام أن فيها بركة، وأنها تنفع، وأنهم كانوا يتبركون بها؛ فتعود الوثنية.

ومن ذلك: ذي الخلصة، الخلصة هذا صنم جنوب الطائف لقبيلة دوس، لما جاء الإسلام، قضى عليه من جملة الأصنام، لكن لا تزال شياطين الإنس والجن تتحين الفرص، ولما جاءت قضية إحياء الآثار، استغلوها في عودة الوثنية، ومن ذلك هذا الصنم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٥١) (٢٩٠٦).

قوله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ**»؛ لأن النساء أقرب إلى الفتنة من الرجال، فيضطربن أو يتزاحمن على صنم ذي الخلصة؛ لأنه يعاد باسم الآثار، فتعود عبادته من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فتزدحم النساء عليه للتبرك به.

النبي ﷺ أخبر عن ذلك للتحذير، ليس مجرد خبر، إنما للتحذير؛ خذوا حذركم! عندما تحدث هذه الفتنة، فليكن لكم موقف بصدها عن المسلمين والبيان والمناصحة لولاة الأمور عن هذا الأمر.

وإلا إذا سكت العلماء، وسكت المسلمون، فإن أهل الشر يزيد شرهم، ولا يقفون عند حد، يريدون للبشرية الدمار، ويريدون لهذا الدين أن يندرس وأن يذهب، ولكن يأبى الله، إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون.



(٢٦) وَلَهُمَا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى»(١).

وهذا حصل، فظهرت نار في الحرة قرب المدينة، ورآها الناس، وبقيت أيامًا تضيء لها أعناق الإبل في بصرى -يعني: في الشام-، يصير لها لهب، ولها ضوء يمتد، أكبر شيء من الحيوانات- الإبل- المعروفة، وإلا هناك حيوانات أكبر، لكن المعروفة في بلاد العرب الإبل كونها مرتفعة، ولها أعناق ممتدة، تلوح في هذا الضوء من شدة النار هذه، من شدة ضوئها، وهذا حصل، ذكره المؤرخون كابن كثير وغيره، هذه النار من علامات الساعة(٢).



---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٤٢) (٢٩٠٢).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ خَرَجَتْ فِي زَمَانِنَا نَارٌ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَكَانَتْ نَارًا عَظِيمَةً جِدًّا مِنْ جَنْبِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيِّ وَرَاءَ الْحَرَّةِ تَوَاتَرَ الْعِلْمُ بِهَا عِنْدَ جَمِيعِ الشَّامِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ). انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٨)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٨٤- ٢٨٥)، والتذكرة للقرطبي (١/ ١٢٣٦)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٧٩).

٢٧ وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ القِيَامَةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ». قال: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ[1].

وهذا -أيضًا- في خروج نار أخرى، وهي الأخيرة، تخرج من قعر عدن، وهي نار عظيمة، تسوق الناس إلى المحشر في أرض الشام، تسوقهم، تبيت معهم إذا باتوا، وتروح معهم إذا راحوا، تسوقهم إلى أرض المحشر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»، الشام في آخر الزمان يكون هو موئل المسلمين، يجتمعون فيه.



---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٧)، ولفظه: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**».

(٢٨) وَلِلتِّرْمِذِيِّ -وَحَسَّنَهُ- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ، وَيَرِثَ دُنْيَاكُمْ شِرَارُكُمْ»[١].

وهذا من علامات الساعة -أيضًا-: الفتنة، الاقتتال بين المسلمين؛ يقتلون إمامهم، وهذا حصل أول ما حصل بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد، ثم انفتح باب الفتنة على المسلمين من ذاك الوقت، صاروا يتقاتلون بينهم، يتقاتلون على السلطة، يتقاتلون على الدنيا.

ويستمر هذا، ويشتد، في آخر الزمان يشتد، يقتلون ولاة أمورهم، وهذا يكون باسم الثورة، الذين يسمون الثورة، وكذا وكذا، والحرية، والديمقراطية إلى آخره، ولا يحترمون ولاة الأمور، ولا يحترمون إمامهم، فتحصل الفتن عند ذلك؛ لأن المسلمين إذا لم يكن لهم إمام، ضاعت الأمور، وحصلت الفتنة، ولا أحد يمنع هذا.

الإمام يدفع الله به الفتنة؛ فهو ظل الله في أرضه، لكن إذا قُتِلَ الإمام ماذا يبقى؟! فهذا من علامات الساعة.

الكلام في الأئمة؛ الشيء يبدأ أول ما يبدأ كلام: طعن في ولاة الأمور، انتقاص ولاة الأمور، ثم يتطور إلى قتل، فهذا من الفتن التي تكون في آخر الزمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

بعد ذلك يتنافسون في الدنيا، ويقتل بعضهم بعضًا على الدنيا، كلٌّ يريد أن يستأثر بها عن الآخر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٧٠)، وقال: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو).

(٢٩) وَلَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ». وَقَالَ: صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ القَاسِمِ بْنِ الفَضْلِ، وَهُوَ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ[(١)].

وهذا -أيضًا- فيه ذكر شيء من علامات الساعة وقرب وقوعها، وهو أن الأشياء التي لم تكن تنطق من قبل تنطق: تنطق عذبة السوط؛ سوط العصا الذي مع الإنسان، وفخذه تكلمه. وهذا -والله أعلم- سيكون في آخر الزمان عند قرب قيام الساعة، يحدث أن هذه الأشياء تنطق، وتخبر بما يحصل، تخبر الرجل بما يحصل عند أهله، والله على كل شيء قدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ينطق هذه الأشياء، السباع -أيضًا- تتكلم، تخاطب الناس.

لا تستغربوا شيئًا في هذا، طالما أنه صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب الإيمان به، أما كيفية وقوعه وكيف يحدث، فالله أعلم، الله جَلَّ وَعَلَا يحدث ما لا نعلم: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٨].



---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨١) وقال: (وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ القَاسِمِ بْنِ الفَضْلِ، وَالقَاسِمُ بْنُ الفَضْلِ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ وَثَّقَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ القَطَّانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ).

(٣٠) وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، وَحَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»(١).

هذه -أيضًا- من علامات الساعة:

الأولى: كثرة المال؛ المال فتنة، كثرته ليست علامة خير، بل علامة شر: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، يبتلي الله بها الناس؛ فيحصل الحسد، ويحصل التقاطع على الدنيا، ويحصل القتل على الدنيا، وتحصل شرور.

يفيض المال في آخر الزمان، وهذا ليس علامة خير: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ - ٧]، والغنى يطغي؛ فيحصل بذلك شرور من فيضان المال، ومن كثرة المال يصير عند الناس كلهم، لا يصير فيهم فقراء؛ بحيث أن الرجل يخرج زكاته، ولا يجد من يستحقها أو يأخذها؛ من فيض المال في أيدي الناس، هذه واحدة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَحَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ»، أرض العرب كانت قاحلة، إلا مواضع منها، في آخر الزمان تعود مروجًا؛ يعني: بساتين من الأشجار، وتعود أنهارًا تجري، تتفجر الأنهار.

وكونها تعود يدل على أنها كانت من قبل كذلك، ثم زالت هذه المروج، والمياه شحت، لكن في آخر الزمان تعود، تتفجر الأنهار.

والله أعلم تكثر الأمطار -أيضًا-، تتوفر المياه، ويتغير الوضع، فهذا من علامات الساعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٠) (١٥٧).

(٣١) وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ التَسْلِيمَ عَلَى الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَفُشُوَّ الْقَلَمِ، وَظُهُورَ شَهَادَةِ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ»[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ التَسْلِيمَ عَلَى الْخَاصَّةِ»**؛ يعني: اقتصار السلام على الخواص من الناس، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»**[٢]؛ يسلم على الصغير والكبير، والحر والعبد، والغني والفقير، السلام حق للمسلم على المسلم، فإذا تُرِكَ

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤١٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/ ٢٦٣)، والحاكم (٤/ ٤٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٩) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ، جُلُوسًا، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: قَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ. فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، رَأَيْنَا النَّاسَ رُكُوعًا، فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ، فَكَبَّرَ وَرَكَعَ، وَرَكَعْنَا ثُمَّ مَشَيْنَا، وَصَنَعْنَا مِثْلَ الَّذِي صَنَعَ، فَمَرَّ رَجُلٌ يُسْرِعُ، فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا وَرَجَعْنَا، دَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، جَلَسْنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَمَا سَمِعْتُمْ رَدَّهُ عَلَى الرَّجُلِ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَتْ رُسُلُهُ، أَيُّكُمْ يَسْأَلُهُ؟ فَقَالَ طَارِقٌ: أَنَا أَسْأَلُهُ، فَسَأَلَهُ حِينَ خَرَجَ، فَذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ».

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا وصار لا يُسلَّم إلا على كبار الناس وعلى الخاصة، هذا من علامات الساعة، هذه واحدة.

قوله ﷺ: «فُشُوَّ التِّجَارَةِ»؛ كما سبق يشتغل الناس بالتجارة -البيع والشراء-، تنفتح عليهم التجارة، وينشغلون بها عن الدين، ويطغون بها على العباد.

قوله ﷺ: «حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ»، حتى المرأة لم يكن من عادتها أنها تشتغل بالتجارة، الذي يشتغل بالتجارة هم الرجال، والمرأة تقوم بأمور البيت، تربية الأولاد، ولا تشتغل بالتجارة.

في آخر الزمان تشتغل بالتجارة مع زوجها، تشارك زوجها، أو تنفرد هي؛ كما ترون الآن النساء والأموال بأيديهن، تتاجرن مثل الرجال أو أكثر، هذا شيء لم يجر في الزمان السابق، هذا من علامات الساعة.

الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، فما أخبر به لابد أن يقع، وهو يخبر بذلك للتحذير؛ تحذير المسلم إذا أدرك هذا الشيء أن يأخذ حذره.

قوله ﷺ: «وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ»؛ قطيعة الأرحام في آخر الزمان، يقاطعون عند الدنيا، وأيضًا ينشغلون؛ ينشغل بعضهم عن بعض، لايفكر بأقاربه يزورهم ويزورونه، لا، مشغول، مشغول بدنياه، مشغول ليلًا أو نهارًا، من الممكن إذا حصل له شيء من الفراغ، ينام، يرتاح، وإذا استيقظ، يسرع إلى أعماله، ولا يفرغ إلى أقاربه يزورونه أو يزورهم، لا يفرغ لهذا وهو في الدنيا.

قوله ﷺ: «وَفُشُوَّ الْقَلَمِ»؛ يعني: كثرة التعليم؛ الأول لم يكن يتعلم إلا أفراد من الناس يتعلمون العلم الشرعي، وبعضهم يتعلم الكتابة؛ ليكتبوا نادرًا، تجد البلد ليس فيها إلا كاتب واحد.

والآن فتحت المدارس، وأقبل الناس، الحاضرة والبادية كلهم تعلموا الآن، كلهم يكتبون؛ الرجال والنساء والأطفال والكبار كلهم يكتبون، ليس هناك أحد لا يكتب.

والدول تتسابق إلى ما يسمونه محو الأمية، لا يبقون أحدًا لم يتعلم، لا يبقى أحد أميًّا لا يكتب، ولا يقرأ، هذا من علامات الساعة.

قوله ﷺ: «وَظُهُورَ شَهَادَةِ الزُّورِ»؛ من التنافس في الدنيا يحصل شهادة الزور.

شهادة الزور هي: الشهادة الكاذبة؛ من أجل أن يحصل الشاهد على طمع، أو من أجل أن يضر من لا يحبه يشهد عليه؛ ليضره، ويكيد له، أو يأخذ في مقابل هذا مالًا وغير ذلك.

والله جَلَّ وَعَلَا أمر بالشهادة عن علم وعن معرفة: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

شهادة الزور من أكبر الكبائر: «لَنْ تَزُولَ قَدَمُ شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللهُ لَهُ النَّارَ»(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٧٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

شهادة الزور خطيرة جدًّا، تكثر في آخر الزمان؛ لأنه يخف الدين، تظهر الأهواء والأطماع، ينهض لنجدة من يحب أو من يريد، يؤيده بالشهادة، ولو احتاج أن يكذب، يشهد له، والذي لا يشهد عندهم هذا ليس فيه خير، ولا إعانة للآخر، يذمونه، ويقولون: هذا ليس فيه خير؛ يبخل بالشهادة. لو لم يكن عنده خبر يشهد، يشهد من باب المجاملة، من باب الطمع، من باب الحقد على المشهود عليه،... إلى آخره.

الشهادة أمرها خطير جدًّا، لابد أن الإنسان لا يشهد إلا عند الحاجة، ولابد أن يشهد بما يعلم، وما لا يعلم يقول: لا، لا أدري.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ»؛ يشهدون بالزور والكذب، وأما الحق، الذي عنده شهادة حق فهذا يكتمها، كتمان الشهادة نهى الله عنه: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣].

لأن الشهادة تبين الحق، ويحتاج الناس إليها -شهادة الحق-، الشهادة عن علم وعن صدق يحتاجها الناس.

«الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي»[(١)]، والبينة هي الشهود، من أين يجد الشهود؟!

(١) أخرجه الترمذي (١٣٤٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالعَمَلُ على هذا عِنْدَ أَهْلِ العِلمِ من أَصْحَابِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ البَيِّنَةَ على المُدَّعِي وَاليَمِينَ على المُدَّعَى عليه. كما أخرجه البيهقي (٨/ ١٢٣)، وابن عساكر (٧/ ٢٦)، والدارقطني (٣/ ١١١) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، بلفظ: «البَيِّنَةُ عَلى مَنِ ادَّعَى، وَاليَمِينُ عَلى مَنْ أَنْكَرَ إِلَّا فِي القَسَامَةِ». وأخرج بعضه البخاري (٢٥١٤، ٢٦٦٨، ٤٥٥٢)، ومسلم (١٧١١).

إذا كتمت الشهادة بالحق، شهد الناس بالزور؛ لأنه لابد من الشهادة، صاحب الحق والذي عنده خبر وعلم وكتم الشهادة، عند ذلك تحصل شهادة الزور.

فالحقيقة أن شهادة الزور خطر على المسلمين؛ ضياع للحقوق، تسلط للظلمة على أهل الحق، صاحب الحق لا يجد شاهدًا، تكتم الشهادة، يكتمها إما خوفًا أو طمعًا، يقال له: لا تشهد، ونعطيك كذا وكذا.

وإما عدم مبالاة، أو يكون في نفسه شيء، ولا يشهد بالحق، يكتم الشهادة.

الشهادة لابد منها؛ لأداء الحقوق، لكن تكون بحق، وعند الطلب، ويجب على من تحمل شهادة أن يؤديها عند الطلب، يجب عليه ذلك: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ الشَّهَٰدَةَ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، في آخر الزمان تكتم الشهادة، شهادة الحق تكتم، شهادة الزور تكثر.



(٣٢) وَلِابْنِ المُبَارَكِ عَنِ ابْنِ فَضَالَةَ، عَنِ الحَسَنِ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَفِيضَ المَالُ؛ ويظْهَرَ الْقَلَمُ، وتَكْثُرَ التّجارةُ».

قَالَ الحَسَنُ: «لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمانٌ، إِنَّمَا يُقَالُ: تاجرُ بَنِي فُلَانٍ، وكَاتِبُ بَنِي فُلانٍ. ما يكونُ في الحَيِّ إِلّا التّاجِرُ الوَاحِدُ، أَوِ الكاتِبُ الْوَاحِدُ»[1].

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى يُرْفَعَ الْعِلْمُ»؛ يرفع العلم، يكثر الجهل، يقل العلماء في آخر الزمان، القراء كثيرون، والمتعالمون كثيرون يدعون العلم، لكن الفقهاء قليلون، أو يعدمون.

في آخر الزمان يكثر القراء؛ كما في الحديث: «يَكْثُرُ الْقُرَّاءُ، وَيَقِلُّ الْفُقَهَاءُ»[2]، والقراء ليس فيهم فائدة، وإن كانوا يحفظون ويقرؤون ويطالعون، هذا ليس هو العلم.

---

(١) أخرجه النسائي (٤٤٥٦): عَنْ يُونُسَ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ المَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ، وَيَظْهَرَ الْعِلْمُ، وَيَبِيعَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولَ: لَا حَتَّى أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بَنِي فُلَانٍ، وَيُلْتَمَسَ فِي الحَيِّ الْعَظِيمِ الْكَاتِبُ فَلَا يُوجَدُ».

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣١٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٠٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ، يَكْثُرُ الْقُرَّاءُ، وَيَقِلُّ الْفُقَهَاءُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ رِجَالٌ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ يُجَادِلُ المُنَافِقُ المُشْرِكُ المُؤْمِنَ».

العلم: هو الفقه والفهم في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء، هذا يقل في آخر الزمان؛ «**يَكْثُرُ الْقُرَّاءُ، وَيَقِلُّ الْفُقَهَاءُ**»؛ يرفع العلم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَفِيضَ الْمَالُ**»؛ هذا -والله أعلم- مثل ما سبق؛ أنه يكثر المال.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويظْهَرَ الْقَلَمُ**»؛ مثل ما سبق، يفشو.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وتَكْثُرَ التِّجارةُ**»؛ مثل ما سبق.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمانٌ، إِنَّمَا يُقَالُ: تاجرُ بَنِي فُلَانٍ، وكَاتِبُ بَنِي فُلانٍ. ما يكونُ في الْحَيِّ إِلَّا التَّاجِرُ الوَاحِدُ، أَوِ الكاتِبُ الْوَاحِدُ»؛ كان في الأول يقل التجار، يقل المال، لا يصير إلا في أيد يسيرة من الناس، وهذا خير للناس؛ لا ينشغلون بالدَّينِ عن الدِّينِ.

لكن لا يعدم، التجارة لا تعدم؛ الناس بحاجة إليها، لكن لا تكون إلا بأيدي قلة من الناس على قدر الحاجة.

وكذلك الكتابة لا تعدم، الناس بحاجة إلى الكتابة، لا تعدم، لكن الكتاب قليلون، وهذا شيء أدركناه، بعض البلدان ليس فيها كاتب إلا واحد فقط، يأتي إليه الناس من بعيد، يكتب لهم رسائل ووثائق.

والآن -كما سبق- فشا التعليم، تعلم للدنيا، فشا التعليم والكتابة، صار الآن كلٌّ يكتب، نادرًا ما تجد أحدًا لا يكتب الآن، كلٌّ يكتب الآن؛ الرجال والنساء، الكبار والصغار كلٌّ يكتب ويقرأ، هذا من علامات الساعة.

(٣٣) وَلِلْبُخَارِيِّ عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ»(١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ»، والأشراط: العلامات: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]؛ أي: علاماتها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ»، هو -الحمد لله- لا يعدم، لكن يقل، بدل ما كان العلم الشرعي كثيرًا في المسلمين، عليه إقبال، الذين يتعلمون الآن كثيرون، والجامعات مفتوحة، والذين يتخرجون كثيرون، لكن ليس فيهم علماء، معه أرفع الشهادات، ولو تسأله عن أسهل المسائل، لا يستطيع أن يجيب جوابًا صحيحًا.

فهناك فرق بين فشو التعليم والعلم الشرعي؛ لا يقبل الناس على تعلم العلوم الشرعية وهذا من علامات الساعة، ولذلك تجد الآن الفقهاء قليلين، المتعلمون والذين معهم شهادات مرتفعة كثيرون، ولكن ليس عندهم فقه، الفقه نادر الآن، ويقل في آخر الزمان، لا نقول: ينقطع، لكن يقل جدًّا، هذه واحدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ».

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَظْهَرَ الجَهْلُ**»؛ إذا قل العلم، كثر الجهل، وإذا كثر العلم، قل الجهل.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَظْهَرَ الزِّنَا**»، هذه المصيبة «**يَظْهَر الزِّنَا**»، ما سبب الزنا؟ الزنا كلٌّ يعرف أنه حرام، لكن ما سبب ظهوره وكثرته؟ سببه انفلات النساء، وإعطاؤهن الحرية، وإعطاؤهن الأعمال مع الرجال -كما ينادى به الآن-، هذا مدعاة لكثرة الزنا؛ لأن الشهوة موجودة في الناس رجالًا ونساءً، لم تذهب الشهوة، فإذا تبرجت النساء، وتعطرت، وخرجت للأسواق، وللمكاتب، وللكاشيرات، والبيع والشراء، واستلمت الأعمال، واختلطت بالرجال، الشهوة موجودة، والشيطان موجود، يحصل التحرش، تحصل الفتنة.

أما إذا ضبطت النساء، وانضبطت، أمنت الفتنة، لكن إذا أطلقت النساء، ونادى من ينادي من الأشرار بحرية المرأة -كما يقولون-، وهي ليست حرية، هذه أشد العبودية، هذه عبودية للشهوات -والعياذ بالله-، الحرية في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والتحرر من المعاصي.

فالمرأة إذا أطلقت في آخر الزمان، حصل كثرة الزنا؛ لأنها وسيلة زنا، لاسيما إذا تبرجت المرأة بالزينة، واختلطت بالرجال، وأعطيت الحرية التامة في التجول، وصار مفتاح السيارة بيدها، تريد أن تقود السيارة، وتذهب إلى حيث تريد، وصارت الاتصالات تأتي إليها، وهي في قعر بيتها يتصل بها الأشرار، تأتيها الصور، تنظر إلى كل شيء في الإنترنت، أو أشياء أنا لا أعرفها، لكن حصلت، وكثرت، والمرأة في قعر بيتها، هذه مصيبة جدًّا مع

الخروج والحرية في التنقل، حتى ولو كانت في بيتها، فهي يأتيها الشر بواسطة هذه الوسائل، فعند ذلك يكثر الزنا -والعياذ بالله-.

الله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء:٣٢].

لا تقربوا، لم يقل: «لا تزنوا فقط»؛ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ﴾، ومعنى هذا: النهي عن الوسائل التي توصل إلى الزنا؛ من الاختلاط، من التبرج، من إعطاء المرأة الحرية كيف تشاء، هذه وسائل، «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[1].

يقولون: لماذا ليست محل ثقة؟ لماذا لا تثقون بالمرأة، وتتهمونها، وتقولون: تحتاج إلى محرم، هي بها ثقة، وبها حرية تسافر بدون محرم؟ يريدون أن يأتوا بكل الوسائل التي تفضي إلى الزنا يطلقونها، وينادون بأن قاعدة سد الذرائع هذه ليس لها أصل، ولا تصلح، هذه كبت للحريات، ليس هناك قاعدة لسد الذرائع -التي أجمع عليها العلماء، ودل عليها الكتاب والسنة-، يقولون: لا، أطلقوا الوسائل، اتركوا الوسائل مطلقة للزنا؛ تعطى المرأة كل شيء.

عند ذلك يحصل الزنا -والعياذ بالله-؛ لأنه إذا وفرت وسائل الزنا، وقع الزنا بلا شك.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ**»: هذا من علامات الساعة، وهذا -والله أعلم- لأن الرجال يتعرضون للأخطار والحروب،

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تأكلهم الحروب، أما النساء، فلا تقاتل، ولا تشارك في المعارك، لا تقدر، ولا تستطيع، فيقتل الرجال بكثرة، والنساء لا تقتل؛ فتكثر عند ذلك.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْـرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ**»، حتى يكون خمسون امرأة ليس لهن إلا رجل واحد يقوم عليهن؛ من قلة الرجال وكثرة النساء.

إما -والله أعلم- لأن نمو النساء يكون أكثر، والولادة للنساء تكون أكثر، وإما لأن الرجال يتعرضون للأخطار، وهم أكثر تعرضًا للأخطار من النساء، ويقتلون في الحوادث، وفي المصانع، هم أكثر من يتعرض للخطر والحروب والأسفار؛ فهم أكثر تعرضًا للخطر من النساء، هذا من علامات الساعة؛ كثرة النساء وقلة الرجال.



(٣٤) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»(١).

وهذا الحديث مثل الأحاديث السابقة فيه مسألتان:

الأولى: كثرة المال، فيض المال في آخر الزمان، بحيث إن الرجل يخرج زكاته من الذهب، ولا يجد من يأخذها؛ لأن المال فاض على الناس، وليست هناك حاجة إلى أخذ الزكاة.

والمال فتنة: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، فكثرته من الفتن التي تحصل في آخر الزمان.

والمسألة الثانية -كما سبق-: كثرة النساء وقلة الرجال، وهذه -أيضًا- فتنة.

والسبب في قلة الرجال -والله أعلم- أن الرجال يتعرضون لقتل، لمجازر؛ أنهم يواجهون الحروب، وكذلك يتعرضون للأسفار، فالقتل فيهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٤)، ومسلم (٥٩) (١٠١٢) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً، يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ».

أكثر، ولذلك يقل عددهم، تكثر النساء؛ لأن النساء في الغالب لاتتعرض لخطر؛ لا تسافر، ولا تقاتل، ولا تحترف، إنما هي في بيوت مقفولة.

لكن يأتي وقت يقل الرجال، وتكثر النساء، وتحتاج النساء إلى من يعولها؛ لأن المرأة تحتاج إلى من يعولها، لا تستقل بنفسها استقلالًا تامًّا، فيكون العدد من النساء يلذن برجل واحد؛ يقوم بكفالتهن، وتولي شؤونهن.



(٣٥) وَلِلْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»[1].

كذلك من الفتن في آخر الزمان قبض العلم، وقبض العلم ليس برفع العلم نفسه، ولكن بقبض العلماء؛ يقبضون بعلمهم، حتى يقلوا، أو لا يوجد منهم أحد.

والناس بحاجة إلى من يفتيهم، أين يذهبون؟ يذهبون إلى جهال، وإن كانوا يحفظون ومتعالمين ويقرؤون، هذا لا يكفي؛ ليس عندهم فقه وفهم وتأصيل للعلم، لم يأخذوه عن العلماء، أخذوه من القراءة ومن الكتب، وهم لا يفهمون المقصود به، يفهمون خطأ؛ فيفتون بغير علم.

ما الذي يترتب على هذا؟ أنهم يضلون هم في أنفسهم، يضيعون، ويضلون غيرهم، يضيعون الناس، يفتون بجهل؛ الفتوى يشترط لها العلم، ويشترط لها التقوى والورع، هذا يفقد في آخر الزمان، أو يقل، وهذا ظاهر، هذا شيء ظاهر، الآن العلماء الفقهاء فيهم ندرة، وأما القراء، فهم كثيرون، والمثقفون كثيرون، وما يسمونهم بالمفكرين كثيرون، لكن ليس عندهم فقه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٧).

في دين الله، فالفقه: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية[1]، ليس عندهم الاستعداد هذا.



(١) الفِقْهُ: العِلمُ في الدِّين، يقال: فَقِهَ الرجل يَفْقَهُ فهو فَقِيهٌ، وأَفْقَهْتُه أَنَا؛ أي: بيَّنْتُ له تعلُّمَ الفقه. انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٢٦٣)، ولسان العرب (١٣/ ٥٢٣). وانظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ١٩١)، واللمع في أصول الفقه (١/ ٦)، والورقات (١/ ٧).

(٣٦) وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةَ بِنْتِ الْحُرِّ، أُخْتِ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ الْفَزَارِيِّ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَدَافَعَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ لا يَجِدُونَ إِمَامًا يُصَلِّي بِهِمْ»[١].

وهذا -أيضًا- من فروع قلة العلم، حتى إن المصلين في المسجد لا يجدون من يؤمهم؛ لقلة القراء الذين يتقنون القراءة، يقلون -أيضًا- في آخر الزمان، فهذه فتنة وشر.

ولكن -الحمد لله- الآن تحفيظ القرآن متوفر، والقراء متوفرون -ولله الحمد-، وهذه علامة خير، لكن يأتي وقت يفقدون، ولا توجد عناية بتدريس القرآن وحفظ القرآن.



---

(١) أخرجه أبو داود (٥٨١)، وأحمد (٤٥/ ١١٢).

(٣٧) وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ قُدَامَةَ عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[1].

كذلك يأتي زمان خداع، يخون فيه الأمين، ويؤتمن فيه الخائن، وذلك لغلبة الهوى وقلة الدين، فالأمين الذي يقول الحق يخون، ويقال: إنه لا يصلح له؛ هذا لا يصلح، ولا يحسن، يكذب. إلى غير ذلك.

الآن ترون ماذا يقول الصحفيون في أهل العلم، حتى تناولوا العلماء الأموات، يتكلمون فيهم، يتهمونهم، ويعظمون من شأن الجهال، وأنهم مفكرون، وأنهم هم الذين يدركون الأمور، وأما هؤلاء، فمغفلون، ولايدركون الأمور، ولا يفهمون فقه الواقع -هذه ظهرت الآن-، فقه الواقع لا يفهمونه، العلماء لا يفهمون فقه الواقع، إنما يفهمه المفكرون والكتاب والقراء، هم الذين يفهمون فقه الواقع، هذه ظاهرة الآن لاتخفى.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»؛ الرويبضة: تصغير رابضة؛ مثل: الرابضة من الغنم.

سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»، الأمور العامة تسند إلى أهل العلم وأهل الإدراك: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (١٣/ ٢٩١).

أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [النساء:٨٣]، أولو الأمر هم العلماء، وكذلك الولاة.

العلماء يتولون أمور العلم، والولاة يتولون أمور السياسة والتدبير، هؤلاء الذين يسند إليهم الأمر: العلماء والأمراء؛ العلماء يسند إليهم أمر العلم والفتوى، والأمراء والساسة يسند إليهم أمور السياسة؛ لأنهم أدرى بها وأعرف.

يأتي ناس ليس معهم شيء -لا من العلماء، ولا من ولاة الأمور، وليسوا معروفين- يتكلمون في قضايا الناس العامة؛ إذا حدثت نازلة، تبادروا في تحليلها وبيان حكمها، وهم ليسوا بشيء، هذا واضح الآن.

الآن واضح الذين يتولون الكلام في الأمور العامة والقضايا النازلة، يتولى الكلام فيها من ليس من أهل العلم، تضيع الأمور بهذه الطريقة.

الأمور العامة والقضايا العامة هذه تسند إلى الجهات المختصة، من أهل العلم وأهل السياسة، ولا يتولاها أفراد الناس يتكلمون فيها.

هذا شيء ظاهر؛ الآن من الرويبضات كثير، يتكلمون في أمور عظيمة، وأمور لو حدثت في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجمع المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لها، الآن فورًا أي واحد يبت فيها، ويتكلم فيها، ويفتي فيها، هذا ضياع، ولا حول ولا قوة إلا بالله!



(٣٨) وَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا معروف مشهور عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ»؛ يعني: مظهر جميل.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ»: لأنه ثيابه بيض، المسافر يصير رث الثياب.

---

(١) أخرجه مسلم (٨) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»: العادة أن أهل البلد يعرفون، هذا ليس من أهل البلد، من أين جاء؟ لو كان من أهل البلد، لعرفوه، ولو كان جاء من سفر، لظهر عليه أثر السفر، غريب هذا!!

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ»، هذا من آداب طالب العلم أمام المعلم والمسؤول؛ أنه يتأدب في الجلوس إليه، وهو يعلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بهذه الطريقة، يعلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كيف يجلسون مع المعلم.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»؛ أركان الإسلام عدها.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ: صَدَقْت . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!»، وهذه عجيبة، هذه عجيبة ثانية أو ثالثة؛ كيف أنه يسأل، ثم يقول: (صدقت). العادة أن الذي يسأل يكون جاهلًا، هذا عنده علم، يقول: (صدقت).

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْت.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»؛ يعني: يكون عندك يقين بالله عَزَّ وَجَلَّ، ومعرفة بالله.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»، مع أن الله لا يرى في الدنيا، لكن بموجب ما بلغك من العلم والنصوص من القرآن والسنة تيقنت كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنك تعبده على أنه يراك، إذا لم تصل إلى هذه المرتبة؛ مرتبة أنك ترى الله؛ من قوة الإيمان تعلم أنه يراك، تخاف منه، وتراقبه.

ثم سأله، فقال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ**»، هذه مشكلة؛ الساعة لايعلمها إلا الله، لا يعرفها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ**»؛ أنا وأنت سواء، لاالملائكة ولا الرسل يعلمون متى تقوم الساعة؛ هذا من علم الغيب، الذي لا يعلمه إلا الله.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا الْمَسْئُولُ**»، وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ**»، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»؛ العلامات التي تدل على وقوعها؛ أشراط الساعة.

ذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمران:

الأمر الأول: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»؛ سيدتها، يعني: مالكتها، هل البنت تملك الأم؟! هذا يحدث في آخر الزمان، وما معناه؟

قيل: معناه: أنه يكثر العقوق، حتى تكون البنت كأنها سيدة للأم؛ من العقوق والتكبر عليها، والآن واضح العقوق والتكبر؛ الولد على والده؛ كأنه سيد له يملكه.

وقيل: إنه على حقيقته؛ أن الأمة -التي هي مملوكة- تلد ربتها، فتملك المولودةُ أُمَّها؛ «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»؛ أن يكثر التسري في آخر الزمان، فتلد السبيئة بنتًا من السيد، البنت حرة؛ لأن الحرية تتبع الأب، والأم رقيقة مملوكة، فهذا معنى «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا».

فلما انتهى، قام، وخرج، قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطلبوه! خرجوا يلتمسونه، فلم يجدوا أحدًا، وهذه الغريبة العجيبة -أيضًا- في هذا الرجل، خرج من عندهم، أين ذهب؟ لم يجدوا أحدًا.

قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»؛ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والملائكة تتصور بصور الآدميين، لا تأتي بصورها الحقيقة؛ لأنه لا يطيق البشر النظر إليها، لو جاء ملك في صورته الحقيقة، يرتعب البشر، لا يستطيع أن ينظر إليه، فيأتي بصورة رجل، لا يستغربه الناس، يكلمهم ويكلمونه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام:٩]، لا يستطيع البشر أن يخاطبوا الملائكة، ولا أن يجلسوا معهم، حتى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ير جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا مرتين على خلقته، رآه مرتين:

المرة الأولى: في بطحاء مكة، لما اشتد الأمر، خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة لا يدري أين يتجه، سمع صوتًا من فوق، فرفع رأسه، فإذا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد سد الأفق، ملأ الأفق بأجنحته وخلقته، فخاطبه، وقال: يا محمد! هذا ملك الجبال -يعني: معه الملك الموكل بالجبال-؛ يستأذنك أن يطبق

عليهم الأخشبين على أهل مكة -الجبلين العظيمين المحيطين بمكة-. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا، بَلِ اسْتَأْنِ بِهِمْ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ**»، هذا حلم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه مرة[1].

المرة الثانية: رآه عنده سدرة المنتهى ليلة المعراج: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٣].

الأولى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير:٢٣]، هذه الأولى.

الثانية: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:١٣-١٤]، لما عُرِجَ بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحبه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورآه على خلقته[2].

فهذا الحديث يدل على مسائل عظيمة:

المسألة الأولى: التعليم بطريقة السؤال والجواب، هذه طريقة عجيبة مفيدة؛ يلقي السؤال على الطالب؛ فلا يستطيع أن يجيب، فيجيبه المعلم؛ حتى يستقر الجواب عنده، ويكون مهيأ للقبول، طريقة السؤال والجواب؛ كما حصل من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ٩٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٢٠)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٥٠). وأخرج قصة ذهابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٢٨٧) (١٧٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولفظه: «﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير:٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٣] فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**».

قال: «يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، كيف يعلمهم؟ عن طريقة السؤال والجواب.

المسألة الثانية: فيه أن الدين ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الإسلام، هذه أوسع، ثم بعدها الإيمان، ثم بعدها الإحسان، وهذه أعلى مرتبة، أعلى مرتبة الإحسان.

المسألة الثالثة: أن المسؤول إذا كان ليس عنده علم، لا يتخرص، بل يقول: الله ورسوله أعلم، أو الله أعلم. ولا يدخل في شيء، وهو لايعرفه، بل يتوقف.

الآن لا، إذا سئل الواحد، من فوره يجيب، سواء كان صحيحًا أو غير صحيح، لا يتورع أو يخاف أن يقول: لا أدري.

الشاهد منه: أنه ذكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علامات الساعة هاتين العلامتين:

«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»؛ عرفناها.

«وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، البدو يعني، البدو الأعراب الذين ينتقلون، وبيوتهم من الشعر، في آخر الزمان يتمدنون، يسكنون المدن، ويتركون البادية، يصير لهم أموال، ويبنون عمارات.

«يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، هذا بنى عشرين دورًا، وثلاثين دورًا، وأكثر، هذا من علامات الساعة، وهذا وقع الآن؛ كما ترون.



(٣٩) وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا البَلَاءُ»، فَقِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَ المَغْنَمُ دُوَلًا، وَالأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فِي المَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ القَوْمِ أَرْذَلَهُم، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتِ الخُمُورُ، وَلُبِسَ الحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا».

وَقَالَ: غَرِيبٌ وَفِي إِسْنَادِهِ الفَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ، ضُعِّفَ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أيضًا-، وَقَالَ: غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ المَغْنَمُ دُوَلًا**»؛ المغنم الذي هو بيت المال يعني.

«**دُوَلًا**»؛ يعني: يتنازعونه، ويأكلونه، ويأخذونه بدون استحقاق، وبدون إذن ولي الأمر، يأخذونه بالخيانة والسرقة والحيل، ولا يخافون الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

والآن يتسابقون إلى النهب من المال العام، هذا ليس بحلال لك، لا يحل لك إلا مقابل عملك -إن كنت موظفًا-، أو الذي يعطيك إياه ولي الأمر، ولي

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٠).

الأمر إذا أعطاك شيئًا، صح أن تأخذه، وحل لك، أما أنت تخون، وتختلس، وتحتال، هذا لا يجوز.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالأَمَانَةُ مَغْنَمًا»؛ الإنسان إذا تولى العمل، لا يتولاه ليؤدي العمل، يؤديه لأجل أن يأكل من ورائه، يحتال من ورائه، مع أن الوظيفة أمانة، لابد أن تقوم بها على الوجه المطلوب، ولا تتخذها لاستنزاف الأموال، لا يحل لك، إلا مرتبك المخصص.

لكن بعض الناس يفرح إذا توظف؛ من أجل أن ينهب من أموال الناس ومن أموال الدولة.

أو إذا أودع شيئًا أمانة وديعة، يفرح بها من أجل أن يستغلها، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون:٨]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]، فالأمانة والوديعة هذه لا شك أنها تحميل مسؤولية، ليست طمعًا، لا تأخذها طمعًا، بل تأخذها لتحفظها، ولتردها على صاحبها إذا طلبها، أما أنك تأخذها، وتمولها مثل مالك، وتتساهل فيها، فهذا لا يجوز.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا»، الزكاة قربة وطاعة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي زكاة بمعنى أنها تطهر المال، وتطهر المزكي: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣]؛ فهي طهرة للمال، وطهرة للمزكي، وتؤديها على أنها عبادة؛ تتقرب إلى الله، هي ركن من أركان الإسلام، هي الركن الثالث وقرينة الصلاة.

فالمؤمن يؤديها بهذه الشروط: على أنها عبادة وطاعة، يقصد بها وجه الله، ويقصد بها ما يحصل من آثار الزكاة من الخير.

أما المنافق، فهو يؤديها على أنها ضريبة، على أنها مغرم: ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التوبة:٩٨]، هذا المنافق، نسأل الله العافية!

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ**»، وهذه المشكلة: أطاع زوجته، وعق أمه، العكس هو الواجب؛ أن يطيع أمه، وأن يعق زوجته، إذا اختلفت مع أمه، لا يقدم زوجته على أمه، يرضي زوجته، ويغضب أمه، لا يجوز هذا! هذا يكثر في آخر الزمان؛ أنهم يطيعون زوجاتهم، ويعصون أمهاتهم.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ**»، أو بر صديقه -رفيقه-، وجفا أباه، تجده لا يستريح، ولا ينبسط إلا مع صديقه، وأما إذا جاء عند أبيه، عبس، وقتر، وتكلم بالكلام القاسي مع أبيه، لكن مع صديقه ينبسط، ويفرح،... إلى آخره.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فِي المَسَاجِدِ**»، وارتفعت الأصوات في المساجد، المساجد يجب أن تحترم؛ لأنها بنيت لذكر الله، تصان عن إساءة الأدب فيها، رفع الأصوات ما معناه؟ الله أعلم، لكن الذي يظهر لي - والله أعلم- أنه الميكروفونات التي تشوش على الناس، تشوش على المساجد الأخرى، على البيوت؛ يعني: يرفع الميكروفون، والمفروض أنك تُسْمِع الجماعة التي وراءك فقط، المفروض تسمع من هو في المسجد فقط، أما

أنك ترفعه خارج المسجد، هذا أذى للناس، أذى للمساجد، أذى للنائمين في البيوت والمرضى، ليس له داع، هذا الذي يظهر لي -والله أعلم-.

فهذا حصل، في الأول لم يكن موجودًا، لم ترفع الأصوات، ولا يسمع الإمام إلا من هم في المسجد.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ**»، «**أرذلهم**» خبر كان منصوب؛ لأن كان ترفع المبتدأ، وتنصب الخبر.

تَرْفَعُ كَانَ الْمُبْتَدَا اسْمًا وَالْخَبَرْ تَنْصِبُهُ كَكَانَ سَيِّدًا عُمَرْ[1]

يقول ابن مالك: كان سيدًا عمر، «سيدًا» هذا خبرها، عمر هذا اسمها.

فالأصل عمر سيد: مبتدأ وخبر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ**»، هذا إعراب الكلمة، أما معناها: العادة أن زعيم القوم يكون أكرمهم وأرفعهم رأيًا ونسبًا، تكون السيادة في الكرام في الرجال، الذين عندهم شهامة وشجاعة ورأي، هذا الأصل، في آخر الزمان تنعكس الأمور؛ مثلما سبق يتكلم الرويبضة، هذا الرويبضة يصير سيد القوم، وهو أرذل القوم، وهذه علامة شر؛ لأنه لا يأتي إلا بالشر، الرذل لا يأتي إلا بالرذالة؛ فلا يصلح للسيادة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ**»، يصير الإنسان يتكلم، ويسب، ويغتاب، فيخافه الناس، ويكرمونه؛ من أجل أن يسكت، ولا يتكلم فيهم ويغتابهم ويسبهم.

---

(١) هذا البيت من ألفية ابن مالك. انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ٢٦١).

هذا لا يجوز؛ أن الإنسان يصير سبابًا، يصير مغتابًا، يصير نمامًا، لا يجوز هذا، لكن إذا حدث ووُجِدَ، الناس ماذا يفعلون؟ يكفون شره؛ يعطونه من المال ما يسكته، هذا من علامات الساعة.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَشُرِبَتِ الخُمُورُ**»؛ المسكرات، وأعظم منها المخدرات -والعياذ بالله-، هذا من علامات الساعة؛ وجود هذه المنكرات.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلُبِسَ الحَرِيرُ**»، الحرير لبسه الرجال، الحرير حرام على الرجال، يباح للنساء، في آخر الزمان يلبسه الرجال -وقد حُرِّمَ عليهم- بسبب ظهور الترف.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاتُّخِذَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ**»، هذه مصيبة، كان في الأول الذي يتخذ مغنية من فتياته اللاتي يملكها؛ تصير مغنية عنده، وهذا لا يجوز.

لكن الآن لا تحتاج إلى أن تشتري مغنية، ضع عندك راديو، أو ضع عندك تلفازًا، وفيه المغنيات، وفيه المطربون، وفيه كل هذا الشر.

في آخر الزمان يظهر الغناء والطرب والمزامير وآلات اللهو، وهذه الآن متوفرة؛ مسجلات، راديو، تلفزيونات، في الفضائيات متوفرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا**»، لا يحترمون السلف الصالح من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباعهم.

الآن يقولون: «هم رجال، ونحن رجال»، يتكلمون في السابقين، ويجهِّلونهم، ويخطِّئونهم، حتى الصحابة ليس لهم قيمة عند الناس من الصحفيين وغيرهم.

وأما الشيعة، فهذا شيء معروف عدواتهم للصحابة، بل عدواتهم للرسول ﷺ، هذا شيء معروف عن الشيعة؛ يسبون الصحابة رضي الله عنهم، ويلعنونهم، يلعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويسمونهما صنمي قريش، ما السبب؟ السبب: بغض الصحابة رضي الله عنهم، وبغض هذا الدين، وإلا الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا لهم شيئًا، ولم يأخذوا منهم شيئًا، ولم يعاصروهم، لكن هؤلاء لا يريدون هذا الدين، والدين إنما ظهر على يد الصحابة رضي الله عنهم؛ المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، الذين جاهدوا، وغزوا، وفتحوا الفتوح، نشروا الإسلام، هم لا يريدون الإسلام، لذلك عادوا الصحابة رضي الله عنهم؛ لأجل هذا، الصحابة رضي الله عنهم لم يأخذوا منهم شيئًا، ولم يظلموهم، ولم يعاصروهم.

وكذلك بعض الرعاع من المثقفين الذين يجهِّلون السلف، وينكرون، حتى ينكروا السلف، يقولون: «السلف إنما هم مثل الطوائف الأخرى؛ فرقة مثل الفرق، ليس لها مزية، وليس لها قدر».

صحابة رسول الله ﷺ والتابعين والقرون المفضلة ليس لهم قيمة، يقولون: «هم فرقة من الفرق»، أما أنهم الأصل، وهم القدوة، يقولون: «لا».

وإن لم يكونوا من الشيعة، يكونوا من الصحفيين والكتاب والمعلقين، والذين يدعون أنهم من المفكرين والمثقفين، يتنقصون السلف الصالح والعلماء والأئمة الأربعة، هذه ظاهرة سيئة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا**»، إذا حصلت هذه الأمور، تأتي العقوبة: الريح الحمراء، والريح تأتي بالعذاب، وتأتي بالرحمة -أيضًا-، لكن تأتي بالعذاب؛ مثلما حصل لقوم عاد: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦] -والعياذ بالله-.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات:٤١]، هذه واحدة ريح، أنتم ترون الآن، وتسمعون الأعاصير، أليس كذلك؟

الأعاصير المدمرة أليست ريحًا هذه؟! هذه نوع من الريح -نسأل الله العافية!-، تهدم المباني، وتقتلع الأشجار، وتنسف السيارات، ويحصل فيها ضرر عظيم، وهو عاصف واحد، فكيف إذا جاءت ريح -والعياذ بالله-؟! فليتنظروا عند ذلك ريحًا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَسْفًا**»، الخسف هو انقطاع الأرض، وغور الأرض بأهلها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَسْخًا**»، المسخ للطباع، وليس المسخ للصور؛ يعني: لايتحول الإنسان -والله أعلم- إلى قرد، إنما تمسخ طبيعته، فيصبح طبيعة حيوان، وطبيعة قرود، كلاب.

وقد يمسخ في صور -أيضًا-؛ كما حصل لبني إسرائيل: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف:١٦٦].

فالمسخ يكون بأمرين: إما بتحويل الصورة إلى صورة قرد أو خنزير، وإما بمسخ الطبيعة.

(وقال: غَرِيبٌ وفي إسناده فَرَجِ بْنِ فَضَالَةَ ضُعِّفَ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وأخرجه مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا، وَقَالَ: غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ)؛ يعني: من جهة سنده، لكن وإن كان الحديث ضعيفًا، ففيه تخويف، وبعضه يشهد له الواقع، وإن كان ضعيفًا في سنده. فالأحاديث الضعيفة يستأنس بها في الترغيب والترهيب، والوعظ والإرشاد، ولكن لايبنى عليها حكم تحليل أو تحريم، لا، إنها يكون هذا في الأحاديث الصحيحة، أما الضعيفة، فلا يبنى عليها تحليل أو تحريم، لكن يستأنس بها في التذكير، والترغيب، والترهيب، والتخويف.

وأيضًا: من وجه ثان قالوا: إنه غريب.

والغريب: هو ما تفرد بروايته واحد من أصل السند[1].

وقد يكون صحيحًا، ليس غريبًا؛ مثل حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا لم يروه إلا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو غريب، لكنه صحيح، رواه مسلم -كما سبق-.



(١) انظر تعريف الغريب في: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (١/ ٥٥)، والموقظة في علم مصطلح الحديث للذهبي (ص ٤٣)، ومشيخة القزويني (١/ ١٠٥)، والباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص ١٦٦).

(٤٠) وَلِابْنِ مَاجَه عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْقَيْنَاتِ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»[١].

هذا خبر من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعناه التحذير مما يقع.

الخمر حرام بالكتاب والسنة والإجماع؛ من استحلها، كفر، ومن شربها، ولم يستحلها، فإنه لا يكفر، ولكن يكون فاسقًا؛ فاعلًا لكبيرة من كبائر الذنوب، يقام عليه الحد بأن يجلد ثمانين جلدة؛ ليتوب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا الحديث فيه أنه يأتي في آخر الزمان -ومن علامات الساعة- أناس يستحلون الخمر، ويشربونها، ويسمونها بغير اسمها؛ يسمونها شرابًا روحيًّا، يسمونها عرقًا، يسمونها بأسماء: الويسكي، أو ما أشبه ذلك.

هذا لا يخرجها عن كونها خمرًا؛ لأن الخمر: ما أسكر، ما أسكر، فهو خمر، ولو سمي بغير اسمه، الأسماء لا تغير الحقائق، وإنما هذه حيلة منهم؛ ليقول: أنا لم أشرب خمرًا، أنا شربت شرابًا روحيًّا، شربت شيئًا ينعش، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يبرر لهم شرب الخمر.

الخمر حرام، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠)، وفيه: «وَالْمُغَنِّيَاتِ»، بدلًا من (وَالْقَيْنَاتِ).

ﭐلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، يجب الانتهاء عن الخمر.

كانوا في أول الإسلام يشربونها؛ لأنها لم تحرم، فلما حرمت ونزلت الآية بتحريمها، قاموا على دِنان الخمر، وشقوها، وجعلوها تسيل في الطرقات، بادروا إلى إتلافها وإلى الامتناع عنها، وهكذا المؤمن إذا قضى الله ورسوله أمرًا، يجب عليه أن يمتثل، ولا يتردد في هذا.

فهؤلاء في آخر الزمان يأتون ويشربون الخمر، ويسمونها بغير اسمها؛ يظنون أنهم إذا غيروا اسمها، أنه يختلف الحكم، الحكم لا يختلف، وهذا حيلة كحيلة اليهود.

اليهود حرم الله عليهم أشياء، فاحتالوا:

- حرم عليهم الشحوم، فجملوها -يعني: أذابوها-، فباعوه وأكلوا ثمنه[1]، يقولون: نحن لم نستعمل الشحوم، استعملنا دهنًا. هذا لا يغير الحكم، لذلك لعنهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الحيلة.

- وغيروا يوم السبت صيد الحيتان، فغير الله صورهم، ومسخهم قردة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ فِي مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ؟ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ. وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ. فَقَالَ: «لا. هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا. جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ». قَالَ: «جَمَلُوهُ» أَذَابُوهُ».

كذلك هؤلاء في آخر الزمان؛ إذا احتالوا على الخمر، وسموها بغير اسمها، وشربوها، فإن الله يجعل منهم قردة وخنازير؛ عقوبة لهم.

والأمر الثاني: أنهم يستعملون الأغاني، والملاهي، والقينات، والضرب على رؤوسهم بالمعازف، وهذا محرم -أيضًا- ينضاف إلى شرب الخمر.

فلذلك يغضب الله عليهم، ويعاقبهم، ويمسخهم قردة وخنازير؛ كما غيروا حكم الله، غير الله صورهم؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

وهذا من أدلة تحريم الأغاني وتحريم المعازف بجميع أنواعها وآلات اللهو، وإن كان هناك من المحتالين من المنتسبين إلى طلب العلم من يبيح الأغاني، خصوصًا الصوفية، يدعون أنهم يتقربون بها إلى الله، يجعلونها من العبادة، وهذا أشد.

هذا الحديث وأمثاله من أدلة تحريم الأغاني وتحريم آلات اللهو من معازف وغيرها.



(٤١) وَلِلْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي عَامِرٍ بْنِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[١].

وهذا مثل الحديث الذي قبله؛ أن قومًا يخرجون -مثلًا- إلى نزهة، «**وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ**»؛ يعني: إلى جنب جبل.

«**يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ**»؛ يعني: معهم أغنام، أو معهم مواشٍ أو إبل، ينزلون بأي مكان.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**»، الحِرَ يعني: الزنا؛ الحِرَ: الفرج.

الحرير: الحرير حرام لبسه على الرجال[٢]، يستحلون هذه المحرمات: الخمر، والحِرَ -يعني: الزنا-، والحرير، والمعازف.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَسْتَحِلُّونَ**» هذا دليل على أن المعازف حرام، وأن الغناء حرام، وأما الخمر، فهذا مجمع على تحريمه، ليس هناك خلاف بين العلماء أن الخمر حرام.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٥٧)، وابن ماجه (٣٥٩٥)، واللفظ له، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زُرَيْرٍ الْغَافِقِيِّ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرِيرًا بِشِمَالِهِ، وَذَهَبًا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ رَفَعَ بِهِمَا يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ**».

إنما المعازف والأغاني بعض المنتسبين لطلب العلم يحلونها، وهذا خطأ؛ الأدلة تدل على تحريمه، هذا خطأ.

مثل ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبيح الغناء، وهذا غلط منه[١].

كذلك المعازف وآلات اللهو هذا الحديث يدل على تحريمها لأمرين:

أولًا: أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَسْتَحِلُّونَ**»، والاستحلال لا يكون إلا من شيء محرم، فدل على أن الأغاني والمعازف حرام؛ مثل الخمر.

والأمر الثاني: أنه قرنها مع محرمات مجمع على تحريمها، الخمر مجمع على تحريمها، الحِرَ مجمع على تحريمه، الحرير على الرجال -أيضًا- يكاد يكون إجماع على تحريمه، إلا للضرورة.

فهؤلاء يستحلونها في آخر الزمان، وتعزف عليهم القينات على رؤوسهم، ماذا يحصل لهم؟ يأتي لهم من يريد منهم حاجة، يقولون: تأتينا غدًا. يظنون أنهم سيستمرون، ويبقون في هذا المكان، فإذا جاء الليل، بيتهم الله؛ خسف الأرض بهم، ووضع العلم -يعني: الجبل انخسف، والعياذ بالله-، إذا جاء الذي واعدهم، لا يجدهم، يمسخهم الله قردة وخنازير إلى يوم القيامة.

هذا وعيد شديد، ونهي أكيد، تحذير من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من استحلال هذه الأمور، ومنها: القينات المغنيات، والمعازف، وآلات اللهو.



(١) انظر: المحلى لابن حزم (٧/ ٥٥٩- ٥٧١).

(٤٢) وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «تَكُونُ فِي أُمَّتي فَزْعَةٌ، فَيَصِير النَّاسُ إِلَى عُلَمَائِهِمْ، فَإِذَا هُمْ قِرَدَةٌ وَخَنَازِيرَ»(١).

يصيب الناس خوف وفزع في آخر الزمان، فيذهبون إلى علمائهم؛ لأن الناس يذهبون إلى العلماء عند الحاجة، فإذا ذهبوا إليهم، وجدوهم قد مسخوا، العلماء مسخوا قردة وخنازير، بسبب ماذا؟ بسبب أنهم استحلوا محارم الله، وأفتوا بجوازها.

هذا خطر عظيم، وتحذير لأهل العلم أن يخافوا الله، وألا يفتحوا لأنفسهم وللناس أبواب التحايل على محارم الله، والفتاوى الخاطئة، والتماس الرخص الخاطئة.

على العلماء أن يحذروا، وأن يأخذوا الأمة لطريق النجاة، ولايعينوها على الشر بالفتاوى الخاطئة، واتباع الرخص الخاطئة؛ فالعلماء مسؤولياتهم عظيمة وأمانة؛ لأن الله ائتمنهم على العلم وعلى بيان الحلال والحرام، فلايجوز لهم أن يفتحوا لأنفسهم وللناس أبواب الحيل، وأبواب الرخص، والفتاوى المخالفة للدليل، وما أكثر هذا الآن! ممن يفتون بغير علم، ويؤولون النصوص، ويلوون أعناقها؛ من أجل أن تصبح على هواهم، يفتحون للناس أبوابًا، ويقال: إن هؤلاء هم العلماء. الذي يتمسك بالحلال والحرام هذا يقال: متشدد. وأما الذي يفتح للناس أبواب الرخص، فهذا الذي يقال: هو العالم، وهو الفقيه، وهو..، وهو.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٩٦).

هؤلاء هددهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن الله يمسخهم قردة وخنازير، إذا جاء الناس إليهم وقت الفزع يلتمسون عندهم الفرج، وجدوهم قردة وخنازير، ولو كانوا علماء.

العالم إذا ضلَّ، فإن الله يعاقبه، ويغير صورته؛ لأنه أشد إثمًا من العامي والجاهل، العامي جاهل، قد يعفى عنه، لكن العالم الذي يتحايل على محارم الله، ويغير الأحكام، ويتأول النصوص، هذا أتى عن علم وعن معرفة، ومتعمد لهذا الشيء، فتكون عقوبته أشد.



(٤٣) وَعَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا، قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ؛ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا أَظْرَفَهُ! وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا، رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا، رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا». أَخْرَجَاهُ[1].

هذا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان حريصًا على أن يسأل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفتنة؛ مخافة أن تدركه؛ ليأخذ حذره منها.

في هذا الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حدثهم أن الأمانة نزلت في قلوب المؤمنين؛ لأن المؤمن يكون أمينًا، والإيمان من الائتمان، وهو الأمن، المؤمن يكون أمينًا بموجب إيمانه، وتكون الأمانة في قلبه مع الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (٢٣٠) (١٤٣).

ثم نزل القرآن الكريم، وأكد هذا الأمر، أكد الأمانة، وثبتها، ورسخها في قلوب المؤمنين، فكان الإنسان لا يخاف من الغش والخيانة في التعامل معهم في ذاك الوقت؛ لأنهم أمناء، لا يغشون، ولا يخدعون.

هكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يمشون مع الأمانة في تعاملهم وفي أمورهم؛ لأن الإيمان عودهم ذلك، والأمانة ترسخت في قلوبهم.

ثم إنه يتغير الوضع، على طول الزمان يتغير الوضع؛ فترفع الأمانة من قلوب الرجال، ويبقى أثرها بعد نزعها في القلب مثل الجمرة، التي تدحرجت على الرجل، فنفطت -يعني: انتفخ مكانها، وتعبأ بالماء-، ثم يزول هذا.

كذلك الأمانة تزول أولًا، ثم يزول أثرها، ثم لا يبقى في الناس أمانة إلا أفراد، أفراد من الناس تبقى فيهم أمانة، والكثرة ليس فيهم أمانة، دينهم دنياهم؛ لها يرضون، ولها يسخطون، ولها يعملون، وليس فيهم أمانة، ويستبيحون تحصيل المال بأي وسيلة -بالربا، بالغش، بالخديعة، بالمكر-، ويسمون هذا مهارة في التعامل، يسمون الغش والخديعة واللعب على الناس يسمونه من المهارة والحذق من المعاملات، لا يسمونه الغش والخيانة، لا، بل يسمونه من الكياسة والتنبؤ للمعاملات، فيسمونها بغير اسمها.

إلا أفراد من الناس. يقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ»؛ في الأول لا أبالي من أتعامل معه؛ إن كانت الأمانة موجودة، لا أبالي من أتعامل معه، ولا أخاف من الغش، لكن لما تأخر الزمان، وجاء

أناس غير الأناس الأولين، والأمانة قلت إلا في رجال قليلين يتعامل معهم، وأما أكثر الناس، فلا يأمنهم.

هذا في وقت حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكيف إذا تأخر الزمان؟! إذا تأخر الزمان أكثر خطورة، وأكثر رفعًا للأمانة؛ حتى أنهم يمدحون الخائن، الذي لا أمانة له، الذي يغش الناس، ويخدعهم، ويأكل أموالهم بالحيل، يمدحونه في هذا -ما أبركه! ما أعقله! ما كذا!-، وليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ومع هذا يمدحونه في تعامله، وفي حيله، وفي مكره، في غشه وخيانته، يمدحون الخائن، ويخونون الأمين، ويأتمنون الخائن، هذا في آخر الزمان.



(٤٤) وَقَالَ ابْنُ مَاجَه: أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الجَعْدِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَقَالَ: «ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟»[1].

وهذا الحديث مثل الحديث الأول فيه التحذير من علماء الضلال، والذين يلتمسون المخارج من الأحكام الشرعية في أنفسهم، ويفتون الناس بذلك، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذرنا من هؤلاء، وأخبر أنه سيرفع العلم والفقه، ويقل العلماء والفقهاء، ويكثر القراء والمتعالمون في آخر الزمان، يسألهم الناس، فيفتون بغير علم؛ فيضلون، ويضلون؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

فقال الراوي وهو زياد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟»؛ يعني: فهذا ضمانة لبقاء العلم، طالما أن القرآن موجود، فالعلم موجود.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٨).

(٢) كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي سبق تخريجه (ص١٠٠): «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن له أن وجود القرآن ووجود الأحاديث الصحيحة في الناس لا يكفي هذا، ولا يكفي حفظ القرآن وحفظ الأحاديث الصحيحة، هذا لا يكفي؛ العلم ليس بالحفظ، ولا ببقاء القرآن، ولا ببقاء الأحاديث، هذا ليس هو العلم، بل العلم هو الفقه في دين الله، والفهم لدين الله، والورع، والخوف من الله، والتقوى، هذا هو العلم.

ثم ضرب مثلًا: قال: «**أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟**»؛ اليهود والنصارى عندهم التوراة والإنجيل موجودة، ومع هذا ضلوا، وأضلوا، ولعنهم الله عَزَّوَجَلَّ، والتوراة والإنجيل عندهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة:٥].

ليس الكلام على وجود القرآن ووجود الأحاديث الصحيحة، الكلام على من يحمل هذه النصوص وهذا القرآن وهذه السنة حملًا صحيحًا، ويعمل بها، ويفقه معانيها على الوجه الصحيح، هذا هو المطلوب.



(٤٥) وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ»، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا، وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ، فَوَاللهِ لَنَقْرَأَنَّهُ، وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟» قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، قُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ، فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا»، وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

وهذا مثل الحديث الذي قبله؛ أنه يرفع العلم -الذي هو الفقه والفهم لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مع أن القرآن والأحاديث موجودة، لكن قل من يفقهها، ويفهمها، كثير من يحفظها، ويقرؤها، يمكن يقرأ القرآن بالقراءات العشر، ويتقن التلاوة والتجويد، لكن لا يفقه من القرآن ولو حرفًا واحدًا، مجرد آلة، هو مثل المسجل؛ المسجل تفتحه، ويقرأ عليك القرآن، فهذا يصير مثل المسجل، مجرد آلة تحفظ القرآن.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٣).

أما أنه يفقه القرآن، الإنسان الذي يوفقه الله للفقه في دين الله والعمل، وحتى لو لم يحفظ القرآن، الفقه يؤتيه الله من يشاء؛ «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١].

فليس العبرة أنك تحفظ النصوص، بل العبرة بأن تفهم معناها كما أراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، تفهم معناها، وتعمل بها، هذا هو الفقه، وهو المطلوب.

أما أنك تحفظ القرآن، أو تحفظ البخاري، ومسلم، والسنن الأربع، والمسانيد، تحفظها عن ظهر قلب من غير فقه، هذا لا يكفي، لو جعلتها بالكتاب كان أفضل، ليس هناك فائدة من أنك تحفظ بدون فهم.

فليست العبرة بالحفظ، العبرة بالفقه والفهم، وليست العبرة -أيضًا- بالفقه والفهم فقط، بل العمل -أيضًا-، لابد من هذا؛ من علم وعمل، هذا هو المطلوب.

وإلا فأهل الكتاب ضلوا، ولعنهم الله، ومسخ منهم القردة والخنازير، وهم عندهم التوراة والإنجيل: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [المائدة:٤٣].

لو حكموا التوراة، لاتبعوا الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لو حكموا الإنجيل، لاتبعوا محمدًا صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنه أمرهم باتباع محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهم

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٠) (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

لم يحكموه، وهم يحفظونه ويحملونه، لكن لم يفقهوه، ولم يعملوا به، فماذا يغني عنهم؟!

فهذا فيه الحث على التفقه في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يكفي حمل العلم، بل لابد من فهمه، ولابد من العمل به، تنبهوا لهذا.

بعض الشباب -وفقهم الله- يعتنون بالحفظ، يقول: أنا أحفظ البخاري، أنا احفظ مسلم. لكن لو تسأله مسألة واحدة من مسائل الفقه، لم يستطع أن يجيبك؛ لأنه لم يتفقه فيها، ولم يفهم معانيها، ولم يأخذها عن العلماء الذين يشرحونها، ويبينوها له.



(٤٦) وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَه مِنْ مُسْنَدِ زِيَادٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ؛ كَمَا تَقَدَّمَ.

وقال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا». فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا»[(١)].

هذا مثل الأحاديث السابقة في أن العبرة ليست ببقاء القرآن وبقاء السنة من غير حَمَلَةٍ، حملة، وليس بحفظة، حملة يفقهونها، ويفهمون معناها، هذا هو المقصود.

فهذا فيه الحث على التفقه في دين الله، وتلقي هذا عن العلماء، لا عن الكتب، ولا عن الأشرطة، وإنما عن العلماء مباشرة، العلماء الثقات مباشرة، يشرحونها لك، ويبينونها لك، ويحفظونك معانيها، ويفهمونك مدلولاتها، هذا هو المطلوب.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩).

أما أن «لا إله إلا الله» تنجيهم من النار؟ نعم. لا إله إلا الله تنجي من النار من عمل بها، من فهم معناها، وعمل بها.

لكن هؤلاء الذين في آخر الزمان تنجيهم وإن لم يعملوا بها، لماذا؟ لأنهم لا يتمكنون من العمل، معذورون، ليس عندهم أحد يبين لهم العمل، فهم معذورون بجهلهم هذا، بعدم من يبين لهم، ويفقههم، «يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا»؛ يقولونها، هذه استطاعتهم، استطاعتهم هكذا، وأما العمل، فهم لايستطيعونه، ولا يعرفونه؛ لأنهم ليس عندهم أحد يعلمهم، هذا عذر لهم، تنفعهم لا إله إلا الله.

أما الذي يترك العمل، وهو يقدر عليه، ويقدر على أن يسأل أهل العلم، فهذا لا يعذر، هذا لا يعذر بالجهل.

فأولًا: يرفع العلم والفقه، يرفع أول شيء العلم والفقه من الناس.

ثانيًا: يرفع القرآن من القلوب، يؤخذ من القلوب، ومن الحفظ، ومن المصاحف، يرفع، ولا يبقى شيء، لا يبقى شيء من القرآن في آخر الزمان.



مِنْ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ

(٤٧) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»[١].

(٤٨) قَالَ: «وَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي، أَمْ تَنَاسَوْا؟ وَاللهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ، إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا، يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا، إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ»[٢].

هذا الحديث فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب أمته يومًا كاملًا؛ يخطب، ثم إذا حانت الصلاة، نزل، وصلى، ثم عاد يخطب، إلى أن يكمل اليوم.

وذكر فيه في هذه الخطبة أمورًا كثيرة، يحتاجها الناس، وهذا من بلاغه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه بلغ أمته كل ما أمره الله به، ولم يترك شيئًا، إلا وقد نقله وبلغه لهم.

ولكن الناس يختلفون في هذا، الحاضرون يختلفون؛ منهم من يستوعب كل ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحفظه، ويرويه، ومنهم من يفوت عليه بعض الشيء، ولكن إذا وُجِدَ من يحفظ -ولو كانوا قليلين-، ينفع الله بهم الأمة، فهذا ما حصل من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا اليوم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٣) (٢٨٩١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٤٣).

٤٩ وَلَهُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ-: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ؛ مِنْهَا صِغَارٌ، وَمِنْهَا كِبَارٌ»[1].

هذا الحديث أيضًا فيه ذكر الفتن، وأنها تختلف؛ منها ما هو شديد، ومنها ما هو خفيف.

والقصد أن الناس يأخذون حذرهم من هذه الفتن؛ يعرفون وقت نزولها، ويعرفون أنها ستأتي؛ فيستعدون لها، ويثبتون على دينهم، ولاتضرهم بإذن الله؛ من تمسك على دينه، وثبت على دينه، لا تضره الفتن، لكن يحتاج إلى أن يعرف دينه أولًا؛ حتى لا ينجرف مع الفتن إذا جاءت؛ لأنه عرف أنها ستحدث، فيأخذ حذره منها.



(١) أخرجه مسلم (٢٢) (٢٨٩١).

(٥٠) وَلِأَبِي دَاوُدَ عن ابْنِ عُمَرَ، يَقُولُ: «كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَاتَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ؛ فُسْطَاطِ إِيمَانٍ، لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ، لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ، فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ»[١].

وهذا من جملة الأحاديث التي ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها ما يحدث من الفتن، والمهم في هذا أن بعضها قد يحدث على رجل يزعم أنه من بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ليس منه.

ثم لو ثبت أنه من البيت، وهو لا يتمسك بسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلاينفعه كونه أنه من أهل البيت، ولا يكون من أولياء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا من سار على نهجه، وتمسك بسنته، فليست العبرة بالقرابة فقط، وإنما العبرة بالقرابة مع الاستقامة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٤٢).

فمن استقام على دين الله -ولو لم يكن من أهل البيت-، فهو على خير، وينتفع به، ومن انحرف عن دين الله، فلا ينفعه كونه من أهل البيت، ويجب الحذر منه غاية الحذر، هذه مهمة جدًّا.

وآل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحقيقة هم أتباعه، ولو لم يكونوا من أهل بيته، وأما من لم يكن من أتباعه، فليس بقدوة، فهذا يجب التفطن له ومعرفته؛ أنه ليست العبرة بأنه من أهل البيت، العبرة باستقامته وتمسكه بالدين.

المسألة الثانية: أن الدجال قريب، الدجال من علامات الساعة الكبرى، وهو فتنة عظيمة -كما يأتي-.

وهو أول شيء يخرج المهدي من آل بيت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من آل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويقيم العدل، ويحكم بالشريعة، وفي آخر أيامه يظهر الدجال، في آخر أيام المهدي يظهر الدجال، ويحصل بسببه فتنة عظيمة، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يقتل الدجال، ويحكم المسلمين بشريعة الإسلام -شريعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيكون تابعًا للرسول، ومجددًا لدين الله؛ لدين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم في آخر أيام المسيح بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ تظهر يأجوج ومأجوج، ويحصل شدة على المسلمين.



(٥١) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ، فَلَوْ بَثَثْتُهُ، قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحفظ من الأحاديث ما لا يحفظه غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنه آتاه الله حفظًا وذاكرة قوية، وتفرغ لرواية الحديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحفظ ما لم يحفظه أكثر من غيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويخبر أنه حفظ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاءين من الأحاديث؛ وعاءين مملوئين بالأحاديث: واحد نشره في الناس، ذكره للناس، وواحد لم يذكره؛ لأنه عليه خطر لو ذكره، وهو أحاديث الفتن، وذكر الولاة المنحرفين، فهذا لم يذكره، فهذا دليل على أنه يجوز كتمان العلم للمصلحة، أو لدفع الضرر الأكبر.



(١) أخرجه البخاري (١٢٠).

(٥٢) وَلَهُ عَنْهُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ: «هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، فَقَالَ مَرْوَانُ: لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً! فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: بَنِي فُلَانٍ، وَبَنِي فُلَانٍ، لَفَعَلْتُ. فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي إِلَى بَنِي مَرْوَانَ حِينَ مُلِّكُوا بِالشَّأْمِ، فَإِذَا رَآهُمْ غِلْمَانًا أَحْدَاثًا، قَالَ لَنَا: عَسَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟ قُلْنَا: أَنْتَ أَعْلَمُ»، وَجَدُّهُ الرَّاوِي عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1].

حذر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مما يحدث على يدي أغليمة -تصغير غلمان، من باب التحقير، تصغير تحقير- من قريش، ولعله يقصد أنهم من بني أمية.

وبنو أمية فيهم الخير الكثير، وفيهم شر، ليس كلهم أشرار، فيهم خير كثير، وفيهم ناس صغار السن وسفهاء الأحلام، حصل منهم ما يحصل.

بنو أمية منهم رجال، منهم عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الخليفة الثالث، منهم معاوية بن أبي سفيان الصحابي الجليل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذي ساد الأمة، وقمع الفتنة في وقته، واجتمع المسلمون عليه بعد الفتنة والفرقة، وفيهم عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ الخليفة الراشد، فيهم عبد الملك بن مروان فيه خير كثير.

وجاء بعدهم مَن دون ذلك؛ فلا يذمون على الإطلاق، ولا يمدحون على الإطلاق، بل يقال: فيهم وفيهم. لأن بعض الناس -خصوصًا الشيعة- يسبون الأمويين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٨).

الأمويون فيهم خير كثير؛ فتحوا الفتوح، فتحوا الأمصار، ونشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بعد الخلفاء الراشدين؛ فلهم فضل، ليس هناك شك، لكن يكون فيهم -أيضًا- من هو دون ذلك.

فيجب أن نعرف هذا عن بني أمية، لا نذمهم على الإطلاق، ولا نمدحهم على الإطلاق، بل نقول: فيهم وفيهم؛ كغيرهم.



بَابُ النَّهْيِ عن السَّعْيِ فِي الْفِتْنَةِ

(٥٣) وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»**[1].

(النَّهْي عن السَّعْيِ فِي الْفِتْنَةِ)، وأن الإنسان المسلم عند حدوث الفتن يمسك، ولا يسعى في نشرها ونصرتها، بل يمسك، ويبتعد عنها، هذا هو الواجب على المسلم؛ أن يبتعد عن الفتن، ولا يشارك فيها، ولايدخل فيها، حتى تنقضي، وتذهب.

هذا الحديث جاء من روايات: أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»**[2]، ليست سهلة؛ كقطع الليل المظلم، من شدتها ومن خطرها أن الإنسان يتحول عن دينه، هذا أخطر ما فيها، يتحول عن دينه، تصيبه هذه الفتن -إما طمع، وإما خوف-، فيتحول عن دينه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، وَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا»**: يتحول في اليوم الواحد، في اليوم الواحد أو الليلة الواحدة

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٦٢).

(٢) سبق تخريجه (ص ١١).

يتحول عن دينه بسبب الفتن، إذا دخل فيها، وشارك فيها، فإنها تخرجه من دينه؛ إما رغبة، وإما رهبة.

أما إذا ابتعد عنها، ولم يدخل فيها، ولزم السنة، وصبر على ما يناله، فإنه ينجو منها بإذن الله، ولكن هذا يحتاج إلى إيمان، وعلم، وصبر، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من هذه الفتن، وأمر أن يكون الرجل حلس بيته؛ يعني: ملازمًا لبيته، إذا كان خروجه إلى الشارع فيه خطر على دينه، فإنه يبقى في بيته، حتى تزول هذه الفتن.



(٥٤) وَلِابْنِ مَاجَه: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا، فَاضْرِبْهُ، حَتَّى يَنْقَطِعَ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ». فَقَدْ وَقَعَتْ، وَفَعَلْتُ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[1].

هذا كما سبق أنه تأتي فتن عظيمة، تحول الإنسان من دينه، يبيع دينه بعرض من الدنيا -طمع-، يترك دينه من أجل الطمع والمال والجاه.

فإذا جاءت هذه الفتن، فاعتزلها، احضر سيفك، وحطمه، واكسره؛ فما يكون معك تقتل به أو تفتك به في الآخرين.

هذا معناه: أنك لا تستعمل السلاح، ليس من اللازم أن تكسره بالفعل وتعدمه، لا؛ يعني: لا تقاتل به، ولا تدخل في الفتنة.

والأمر الثاني: تجلس في بيتك، ولا تشارك، حتى تأتيك يد ظالمة، يدخل عليك يريد قتلك، لا تدافع في هذه الحالة؛ لأنك إذا دافعت، تكثر الفتنة، فقلل منها بعدم المدافعة عن نفسك، حتى ولو قتلك؛ لأن هذا في الفتنة.

أما في غير الفتنة، إذا دخل عليك أحد -لص، أو من يريد الفساد في بيتك-، فاقتله، دافعه، ولو بالقتل؛ كما ورد في الأحاديث[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٢).

(٢) من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

أما إذا كان هذا وقت الفتنة، حتى ولو دخل عليك أحد، فلا تدفعه بالقتل، لا تقتله حتى ولو قتلك؛ كما حصل مع عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لما دخلوا عليه، لم يقاتل؛ تقليلًا للفتنة وعدم المشاركة فيها، لم يقاتل، وأمر حراسه أن يكفوا، وألا يقاتلوا، حتى قُتِلَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شهيدًا، هذا في الفتنة.

أما في غير الفتنة، لا تسمح لأحد أن يدخل في بيتك، دافعه، ولو بالقتل، فإن قتلته، فهو في النار، وإن قتلك، فأنت شهيد؛ كما في الحديث[1].

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ»؛ أو يأتيك الموت، إن لم يدخل عدو، يأتيك الموت، والموت لابد أن يأتي، فكونك تموت وأنت لم تشارك في الفتنة خيرًا لك.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٤٠): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ».

٥٥ وَلَهُ: عُدَيْسَةُ بِنْتُ أُهْبَانَ، قَالَتْ: «لَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هَاهُنَا الْبَصْرَةَ، دَخَلَ عَلَى أَبِي، فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ أَلَا تُعِينُنِي عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَدَعَا جَارِيَةً لَهُ، فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ أَخْرِجِي سَيْفِي، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي وَابْنَ عَمِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَهِدَ إِلَيَّ إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، وَلَا فِي سَيْفِكَ»[1].

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته -الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، في وقته حصلت الفتنة الشديدة بسبب مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى الخلافة، ولكن لم يتم له الأمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الفتنة شديدة، والناس مختلفون، فقمع الله به الخوارج شرار الخلق، وقتل منهم مقتلة عظيمة في النهروان، فأخمد شرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولكن لم تهدأ الفتنة؛ في النهاية تآمروا عليه، وقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو يريد إخماد الفتنة، وأن تستتب الخلافة على ما كانت في زمن إخوانه من الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأدى ما عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاهد في الله، إلى أن استشهد في سبيل الله، ولحق بإخوانه من الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فهذا موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هذه الفتنة؛ أنه قاومها، وحاول إخمادها، وحصل على يده خير كثير بقمع الفتنة، ثم قُتِلَ شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راضيًا مرضيًّا عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٠).

فموقف المسلم من الفتنة أنه إن أمكن أن يعتزلها، وجب عليه ذلك، وإذا لم يمكنه -كأن له قوة، وينفع الله به-، فإنه يقاوم الفتنة؛ مثلما حصل من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقاوم بقدر ما أعطاه الله من السلطة ومن القوة والتمكين، يقاوم الفتنة: إما أن يقضي عليها، وإما أن يخففها، ويهيئ الأمر لمن يأتي بعده من المصلحين، هذا موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ أَخْرِجِي سَيْفِي، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي وَابْنَ عَمِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَهِدَ إِلَيَّ إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ وَلَا فِي سَيْفِكَ»؛ أراد أن يُريَ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه معتزلٌ الفتنة، وأنه اتخذ سيفًا من خشب لا يعمل شيئًا، فتركه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما رآه لا يرغب المشاركة، تركه.

«فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ»، ليس بسيف؛ ليري عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه معتزل الفتنة.

«فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ»؛ سيفًا من خشب لا يقطع؛ يعني: لا يشارك في الفتنة.

قال له: «فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ»؛ لأنه أمير المؤمنين، وإن شئت أن تتركني على اعتزالي: إن أراد أن يخرج، عليه السمع والطاعة، وإن سمح له ولا يخرج، فهذا أحب إليه، فأمير المؤمنين سمح له بذلك، تركه واعتزاله الفتنة.



(٥٦) وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ -يَعْنِي- عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»[1].

هذا -كما سبق- أنه تحدث فتن عظيمة، وأن المسلم يتقاصر عنها مهما أمكنه، ولا يتقدم إليها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي**»؛ كلما تقاصر الإنسان عن الفتنة وابتعد عنها، فهو أفضل، وأحفظ لدينه، وأسلم من المشاركة في سفك الدماء؛ لأن الإسلام حريص على حفظ دماء المسلمين -مهما أمكن-، ولا يشارك فيها؛ لأنها بين المسلمين، إن قتل، قتل مسلمًا؛ فالسلامة خير.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنْ دُخِلَ -يَعْنِي- عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ**»؛ يجلس في بيته، ولا يخرج، إن دُخِلَ عليه وهو لا يذهب إلى الفتنة، لكن لو دخلت عليه -دخل عليه أحد يريد قتله-، فليستسلم، ولا يدافع؛ لأنه إذا دافع، زاد الفتنة، وإذا كف، سلم منها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٩).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَي آدَمَ»: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ [المائدة:٢٧]؛ اللذين حسد أحدهما الآخر، و﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، هو حسده لما تقبل الله قربانه، ولم يتقبل من الآخر، حسده على ذلك؛ ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فعدم القبول هذا من الله جَلَّ وَعَلَا، الله إنما يتقبل من المتقين، فكيف تحسدني على شيء من الله عَزَّ وَجَلَّ، أكرمني به؟!

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ﴾، هذا محل الشاهد، ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٧-٢٨]، فدل على أنه لا يجوز قتل المسلم في الفتنة، مهما أمكن أنك تكف يدك، لا تقتل: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٢٨-٢٩].

لم تنفع فيه الموعظة -والعياذ بالله-، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠]؛ أصبح من الخاسرين بسبب قتل أخيه المسلم، وأيضًا هو أخوه في النسب.

فالآية فيها أن المسلم إذا ابتلي بأحد يريد أن يقتله، لا يدفعه، ويستسلم، وهذا الذي حصل من أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد.



(٥٧) وَلَهُ عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»، وَتَلَا يَزِيدُ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ [المائدة] الْآيَةَ»[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»؛ الذين ذكر الله قصتهم لنا؛ لنعتبر بها عند الفتن.

فهذا فيه الجمع بين أن المسلم يدفع الصائل، إذا صال عليه؛ كما في الأدلة، وأنه أحيانًا لا يدفع الصائل، ويستسلم، متى هذا؟ هذا في الفتنة بين المسلمين، لا يدفعه في الفتنة بين المسلمين، أما إذا لم يكن هناك فتنة، ودخل متلصص، فإنك تدافعه، لا تستسلم له.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٧).

(٥٨) وَلَهُ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ -أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ- يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»[(١)].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً»**؛ يعني: يستعمل فيه الغربال، الذي يستعمل في تصفية الحبوب؛ توضع في الغربال، الذي يخرج من خلاله الحب، ويبقى التبن والخلط، يبقى ولا يخرج مع خلل الغربال.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ»**، كذلك الفتن مثل الغربال؛ تصفي الحب الطيب من الأخلاط الرديئة.

قوله: (**وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»**)، هذا ما يجب على المسلم عند الفتن؛ أنه يأخذ ما يعرف مما يوافق الدين ويقوم عليه الدليل، يأخذ به، وما اشتبه عليه، يتركه، ولا يدخل فيه؛ فلا يدخل في الفتن.

وكذلك تلزم الخاصة من العلماء والصلحاء، الذين تجنبوا الفتنة، تلزمهم، وامش معهم، ولا تكن مع الأشرار؛ مع الهمج مع الرعاع.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٢).

وهذا -والله أعلم- ينطبق على الثورات، والمظاهرات، والغوغاء، لا تدخل فيها، لا تدخل في الغوغاء، والمظاهرات، والأوباش، والجهال، وحدثاء الأسنان، لا تدخل معهم، ابقَ مع الصلحاء، مع العقلاء، مع أهل العلم والبصيرة، الزمهم، وكن معهم، لا تنحَزْ إلى الأشرار وإلى الغوغاء والفتنة.



٥٩ وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوهُ وَقَالَ: «فَقُلْتُ: كَيفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ».

وَأَوَّلُهُ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ[١].

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَيفَ أَصْنَعُ؟»؛ يعني: إذا حدثت الفتن.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْزَمْ بَيْتَكَ**»، هذه واحدة: الزم بيتك، لا تكثر سواد أهل الشر والغوغاء، ابقَ في بيتك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ**»، وهذه الثانية: لا تتكلم، لاتشجع الأشرار ولاتشجع الغوغاء، أمسك عليك لسانك، لا تتكلم بكلام يزيد الفتنة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ**»: خذ ما تعرف من أمر الدين الذي عليه المسلمون، ودع ما لا تعرف؛ من الفتنة، ومن الغوغاء، ومن عادات الكفار وأنظمة الكفار.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ**»: انج أنت أولًا، ولا تقل: إنك ستنهي الفتنة، وستقاتل حتى ينتصر الإسلام، لا.

---

(١) أخرجه أبو دواد (٤٣٤٣).

الفتنة لا تدخل فيها، إلا إذا كان جهادًا في سبيل الله تحت راية مسلمة، أما غوغاء واختلاط، أو أحزاب مختلفة، أو فرق فلا تدخل فيها، مما يسمى الآن بالجهاد، وهو ليس جهادًا، وإنما هو فتنة؛ يتجمع ناس، ويتزعمهم واحد، ويتجمع آخرون، وهكذا، وحصل القتال بينهم لا لشيء، وليس هناك نتيجة إلا سفك الدماء، لا تدخل معهم، الزم العافية، والزم الاعتزال، إلى أن يأتي الله بالفرج، وإلا أقل الأحوال أنك لا تشارك في الفتن، فلا تسفك دمًا حرامًا.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»؛ دع عنك أمر العامة والغوغاء الذي لا فائدة فيه، ولا ينتهي إلا إلى ضرر.

(وَأَوَّلُهُ)؛ أول الحديث يعني.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ»، إذا رأيت الناس مرجت عهودهم، وحصل فيهم الفوضى، وليس هناك رأي موحد -راية إسلامية موحدة-، إنما هي أحزاب وجماعات وفئات، لا تدخل في هذه كلها.



(٦٠) وَلِلتِّرْمِذِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا»، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ[(١)].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ»؛** يعني: إنكم في زمان سلامة وزمان خير، ولا يجوز للإنسان أن يفرط بشيء من أمور دينه، ولو كان عُشرًا، ولو كان قليلًا، لا تفرط بشيء من أمور الدين.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا»،** على العكس: يأتي زمان شر، من عمل فيه بعشر ما يعرف، نجا، ولو كان قليلًا، بسبب كثرة الشر، فتمسك بدينك مهما أمكن -ولو كان قليلًا-؛ ففيه الخير، فيه النجاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَسَنٌ غَرِيبٌ)، الحسن: ما دون الصحيح[(٢)]، والغريب: ما رواه شخص واحد[(٣)].



---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٦٧).

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٣٠)، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص ٣٥)، ومشيخة القزويني (ص ٩٦).

(٣) سبق التعريف به (ص١٤٨).

(٦١) وَلِابْنِ مَاجَه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتُنْتَقَوُنَّ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ، وَلَيَبْقَيَنَّ شِرَارُكُمْ، فَمُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ»[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَتُنْتَقَوُنَّ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ**»، هذا معنى «**لَتُنْتَقَوُنَّ**»، معناه: يذهب بالخيار؛ أن النَّخْوَةَ والطيبين يموتون، ويأتي أشرار.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَيَبْقَيَنَّ شِرَارُكُمْ، فَمُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**»؛ يعني: الزموا دينكم، والزموا الاعتزال إن استطعتم مهما أمكنكم ذلك.



(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٨).

(٦٢) وَلِلْبُخَارِيِّ: عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِمْ»[٢].

فيه: أنه كلما تأخر الزمان، يقل الأخيار، ويكثر الأشرار، والغرض من هذا: أن تأخذ حذرك، إن تأخر بك الزمان، تأخذ حذرك، وتلزم ما عليه الأخيار، وتترك ما عليه الأشرار؛ تأخذ ما عليه الأخيار -وإن كانوا قد ماتوا-، تتبعهم، تتمسك بطريقهم، وتترك ما عليه الأشرار -وإن كانوا كثيرين-، لا تدخل معهم، وهذا يحتاج إلى صبر؛ لأن اعتزال الناس يحتاج إلى صبر وثبات، لكن ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

المهم أن هذه الأحاديث فيها: الحث على اعتزال الفتن، وعدم المشاركة فيها، ولزوم جماعة المسلمين، والسير على ما كان عليه سلف هذه الأمة، والتمسك بذلك، هذا طريق النجاة لمن وفقه الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٤).

(٢) أخرجها البخاري (٤١٥٦)، ولفظها: «يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِمْ شَيْئًا».

ولا تغتروا بالغوغاء، ولا تنخدعوا بوعود الكفار وحصول الحرية -كما يقولون- والديمقراطية، هذا كلها كذب، وعود كاذبة، لا يحصل الخير إلا بالإسلام مهما قالوا.

الخير لا يحصل إلا بالإسلام والسير على منهج الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والسلف الصالح، لا يحصل الخير إلا بهذا.

وأما الفوضى، والوعود الكاذبة، وما يحصل من وعود الكفار، وتزيين الكفار، فهذا ارفضوه رفضًا تامًّا، ولا تلتفتوا إليه؛ لأنه شر وفتنة وضلال.



بَابُ التَّعَرُّبِ فِي الْفِتْنَةِ

(٦٣) وَلَهُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»[1].

والفتن: جمع فتنة وهي الابتلاء والامتحان، أو ما يسمى الآن بالاختبار. يمتحن الإنسان ويختبر على حسب دينه، فإما أن يثبت على دينه، ويصبر على الفتن، وإما أن ينحرف مع الفتن، ويترك الدين، ولذلك فالفتن خطيرة جدًّا.

الفتنة قد تكون بالأقوال والمذاهب والأفكار، فينجرف الإنسان مع أي مذهب، أو أي فكرة، أو أي قول يوافق هواه، ويترك السنة؛ فينحرف.

تكون الفتن -أيضًا- بالأموال: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن:١٥]، قد يبتلى الإنسان بالمال، ويحب المال حبًا جمًا، قد يأخذه من غير وجهه: يأخذه من الحرام، من الربا، من الغش، من الميسر والقمار؛ لأنه يحب المال، ولا يبالي بأنه حرام، حب المال يجذبه؛ فتأخذه الفتنة -والعياذ بالله-؛ فتنة المال.

أو يعطى طمعًا، يعطى طمعًا على أن يذهب كذا، ويقول كذا؛ مخالفًا للدين، ومخالفًا للسنة من أجل المال؛ يعني: يستأجر -والعياذ بالله-، فيتكلم بغير حق من أجل أن يحصل على هذا المال.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩).

فلذلك الأموال فتنة، إذا أخذها من وجه الحلال، وصرفها في الحلال، فهي خير ومعينة على الدين، وإن صرفها في غير وجهها، فإنها تكون مسؤولية عليه؛ لأنه يُسأل يوم القيامة عن «مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ»[1]؛ يُسأل أولًا: من أين جاءك المال هذا؟ ما الطريقة التي حصلت؟ ثم إذا صح السؤال الأول، وسلم منه، السؤال الثاني: أين أنفقت هذا المال؟ في الحلال أو في الحرام؟ استعنت به على طاعة الله أو على معصية الله؟ يحاسب عن هذا يوم القيامة، ولذلك المال مسؤولية، خطره عظيم.

قد يترك دينه من أجل يحصل على وظيفة، لكن لا يوظف فيها، إلا من ترك دينه أو سنة النبي ﷺ، فيقع في الفتنة: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة:٤٩]؛ ابتلاء وامتحان.

الأولاد فتنة: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥].

أنت تحب أولادك، ليس هناك شك، وهذا شيء جعله الله، لكن هل تربيهم على طاعة الله؟ هل تصبر عليهم؟ هل تأمرهم بالصلاة لسبع؟ هل تعلمهم أمور دينهم إذا ميزوا؟ هل تصبر عليهم وتلزمهم بالصلاة؟ أو تتساهل معهم، تقول: «والله أنا أحبهم، ولست أنا بشاق عليهم، ولامكلف عليهم، ولا مبعدهم من وقتهم؟ تكون سقطت في الفتنة، الأولاد فتنة من حيث تربيتهم، من حيث ضبطهم، من حيث مراقبتهم؛ دخولًا وخروجًا في البيت، وفي الشارع، وفي المدرسة، أنت مسؤول عنهم؛ فهم فتنة: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]، والفتن كثيرة.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٨).

كذلك الفتنة تكون -أيضًا- بتسلط الكفار على المسلمين؛ هل تطيعهم، وتنقاد معهم، أو تتمسك بدينك، وتصبر على ما ينالك وما يجري عليك؟ هذه فتنة عظيمة، فالفتن كثيرة.

وصلنا إلى باب التغرب في الفتنة.

التغرب ما معناه؟ معناه: أن تكون غريبًا؛ تكون غريبًا من بين الناس؛ تتمسك بدينك، ولو ضل أكثر الناس، ولو أصبحت غريبًا بين الناس، اصبر على هذا، ما دام أنك على الحق، لا يهمك أن ترضي فلانًا، أو تغضب فلانًا، لا عليك.

عليك هذا الدين، هذا يحتاج إلى صبر؛ لأن الناس يتكلمون عنك، أو ربما يضربونك، ربما يسجنونك على دينك، لكن اصبر على الدين، اصبر: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [لقمان:١٧].

كذلك من التغرب: أنك تبعد عن الفتنة، تعتزل الفتنة، ولو أن تعيش وحدك، ولا تدخل في الفتنة؛ لأنك إذا دخلت فيها، لا تسلم -إلا ما شاء الله-، لكن إذا ابتعدت عنها، اتقيت شرها، لكن هذا يحتاج إلى صبر.

ولو أنك ترعى غنمًا -كما يأتي في الحديث-، لو ترعى غنمًا، وتبعد عن الفتن، أو تعيش على رأس جبل بمفردك، وتسلم على دينك، أفضل لك من أنك تعيش مع الناس في الفتنة، اعتزال الفتن والبعد عنها هذا هو طريق السلامة، وهذا يحتاج صبر من المسلم.

هذا التغرب في الفتنة؛ تصبح غريبًا بين الناس، تخرج من منزلك وبلدك إلى جبل، أو إلى بر -صحراء-، ترعى غنمًا، وتصبر على دينك، هذا خير لك من أنك تصير موظفًا صغيرًا، أو وزيرًا، أو ملكًا، خير لك في آخر الزمان؛ لأن رأس مالك هو دينك، هو الذي تخرج به من هذه الدنيا، هو رأس مالك، أما الوظائف والجاه، فهذا يذهب، لا يبقى لك إلا دينك، تمسك به، واصبر على ما ينالك.

عرفنا معنى التغرب في الفتنة؛ يعني: إذا جاءت الفتنة، فتغرب عنها يعني؛ ابعد عنها بأي طريقة، ابعد عنها، تسلم من شرها.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -لما سأله إذا أدرك الفتن ماذا يعمل؟- قال: «**اعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[1]، هذ تغرب، تغرب بين الناس، تغرب في المكان والمسكن، تمسك بدينك؛ هو المهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»، هذا من التغرب؛ أنك تخرج من البلد الذي فيه الفتن، وتأخذ معك أغنامًا أو ماشية، ترعاها في شعف الجبال -رؤوس الجبال-، أو مواقع القطر، وتتمسك بدينك، تتغرب عن البلد لأجل التمسك بالدين؛ لأن بقاءك في البلد فيه فتن وشر، هذا نوع من أنواع التغرب.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٥٥).

(٦٤) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ، فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ، فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ»، هذا إخبار من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم الغيب؟ لا، لكن الله علمه، أطلعه على ذلك، هو لا يعلم الغيب، إلا ما علمه الله، وأطلعه الله، هذه معجزة من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه يخبر عن أشياء مستقبلة، فتقع كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، وهذا من مصلحتنا؛ أنه يخبرنا عما يحصل؛ لكي نأخذ حذرنا، ومن نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشفقته

---

(١) أخرجه مسلم (١٣) (٢٨٨٧).

علينا يخبرنا عما سيحصل، ويوصينا بما ينجينا مما يحصل من الشرور والفتن؛ لأنه لم يترك شيئًا، إلا بينه لأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ**»، هذا إخبار عن المستقبل، معناه التحذير، إخبار معناه التحذير.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ**»؛ «**سَتَكُونُ**» يعني: في المستقبل.

«**فِتَنٌ**» جمع فتنة، وهي الابتلاء والامتحان، وهي كثيرة ومنوعة، الفتن ليست نوعًا واحدًا، ولا عشرة، ولا مائة، كثيرة.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا**»، الذي يقتصر عنها ويبتعد عنها هذا يسلم، وأما الذي يدخل فيها، فهذا قد يسلم، وقد لايسلم، ولكن سلامته قليلة، وهو على خطر، لذلك قال: «**الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا**»؛ لأن القاعد لم يذهب لها، جلس، والذي يمشي، يمكن تتعرض له، يمكن تأتيه في الطريق، فكونه يبقى ولا يمشي أفضل له.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا**»، والماشي خير من الساعي الذي يركب؛ يعني: المشي على مهله أسلم له من الركوب؛ لأنه إذا ركب، يسرع، وقد تصيبه الفتن، فهو يتأخر عنها بأي وسيلة: بالقعود، بالمشي غير السريع، أما الذي يسرع، ربما أنه يتقدم لها، فلا تقدم عليها.

«**أَلَا**»، هذا تنبيه منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**أَلَا**» أداة تنبيه؛ انتبهوا.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ**»، إذا نزلت الفتن. المعنى واحد، (أو) شك من الراوي، والمعنى واحد، لكن هذا من دقتهم في الرواية رَحِمَهُمُ اللهُ؛ دقة في الرواية والضبط.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ**»، من كان له إبل ترعى في البر، وهو ساكن في البلد، والفتن في البلد، فليذهب إلى الإبل، ويعيش مع الإبل في البر، ويسلم من الفتن ومواقع الفتن، هذا خير له.

يترك القصر أو كل منمقة، ويصير مع الإبل راعيًا أفضل من كونه يبقى في البلد، ولو في مسكن راقٍ ومرفه، مع الإبل يعيش عيشةً يسيرة في لفح الشمس والهواء خير له من التنعم في البلد، ويتمسك بدينه، وينجو من الفتن.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**»، الناس بعضهم أهل إبل، وبعضهم أهل غنم، فكل على حسب الذي له؛ صاحب الإبل يصير مع الإبل، والذي له الغنم يصير مع الغنم، والغنم أفضل من الإبل؛ فيها الهدوء، وفيها السكينة.

وما من نبي إلا رعى الغنم، ومنهم نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رعى الغنم في شبابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل مكة على قراريط يأخذها[1]، فالغنم فيها سكينة، وفيها طمأنينة، وفيها هدوء.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**»، ومن كانت له أرض -مزرعة، استراحة بعيدة عن البلد-، يلحق بها، ويترك البلد التي فيها الفتن.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٢٦٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**».

قوله: «قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟»، انتبهوا للسؤال هذا! إن كان له إبل، يذهب للإبل، إن كان له غنم، يذهب للغنم، إن كان له أرض، يذهب للأرض، سأله سائل: «إذا لم يكن له إبل، ولا غنم، ولا أرض، أين يذهب؟» «قَالَ: **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ**»، السلاح الذي عنده يحطمه، ويخربه، البندقية يكسرها، السيف يكسره، لماذا؟ لئلا يدخل في الفتن، لئلا يحمل السلاح، ويدخل في الفتن، السلاح الذي يوقع في الفتن تخلص منه، الذي يوقعه في الفتن ويتسبب له في دخول الفتن يتخلص منه.

قوله ﷺ: «**ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ**»؛ لينج من الفتن، ويبعد عنها بأي وسيلة -إن استطاع-، إذا لم يستطع، فإنه يصبر، ويتمسك بدينه، ويصبر على ما يصيبه.

قوله ﷺ: «**اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، هكذا الرسول ﷺ يشهد الله علينا أنه بلغنا، ويكرر هذا ﷺ.

قوله: «قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ»؛ يعني: في القتال، إذا صار قتال بين المسلمين، هذه فتنة، هذا من الفتن أن يكون هناك قتال بين المسلمين، يقول الرسول ﷺ: ابتعد عنها، ولو أن تكسر سيفك وسلاحك، ابتعد عنها مهما أمكن.

سأله رجل: «إذا ما أمكنني، إذا أجبرت على الدخول في الصف، ماذا أعمل؟».

انظر للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لحرصهم على دينهم يسألون عن الأحوال؛ ماذا يفعلون في الأحوال؟

قوله: «حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ»، يقول: أنا لن أذهب، أنا إذا استطعت أعتزل، لكن إذا أكرهت، أجبرت على أني أدخل في القتال بين المسلمين، بين فئتين من المسلمين.

قوله: «فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟قَالَ: يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، إذا أجبرت على الدخول في الفتنة، وقتلت؛ لأن الذي يدخل في الفتنة ويخوض القتال يصيبه ما يصيبه، قد يموت، ماذا يكون مصيره عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

يقول: «إذا أجبرت وأكرهت، فأنت ليس عليك ذنب، أنت مكره؛ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[(١)].

فالمكره معذور -والحمد لله-، فإذا قتله أحد من الفئتين، فالإثم على القاتل، وأما المقتول، فيكون شهيدًا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢٩-٣٠]، الإثم على القاتل على المكرِه، وأما المُكْرَه فهو معذور.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٠٢)، والطبراني في الكبير (١١٢٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٦)، والدارقطني في سننه (٤/ ١٧٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَعَاطِي السَّيْفِ الْمَسْلُولِ

(٦٥) وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمٍ يَتَعَاطَوْنَ سَيْفًا مَسْلُولًا، فَقَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، أَوَ لَيْسَ قَدْ نَهَيْتُ عَنْ هَذَا؟»، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا سَلَّ أَحَدُكُمْ سَيْفَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُنَاوِلَهُ أَخَاهُ، فَلْيُغْمِدْهُ، ثُمَّ يُنَاوِلْهُ إِيَّاهُ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ النَّهي عَن تَعَاطِي السَّيْفِ المَسْلُولِ)؛ يعني: السلاح يوثق؛ لئلا يصيب أحدًا، فإذا أردت أن تدخل سوقًا، أو تدخل محل اجتماع، فعليك أن توثق سلاحك؛ لئلا يحصل منه إصابات؛ السيف تغمده في غمده، والبندقية توثقها؛ لئلا تضرب، الرشاش، أنواع السلاح لا تجعلها مفتوحة، فيحصل منها إصابة؛ فتكون متسببًا في قتل مسلم، فلايتساهل في أمر السلاح.

الذين يحتفلون الآن بمناسبات، ويحضرون معهم بنادق، هذا خطر، وهم مخطئون، وكما حصل من الإصابات والقتل، وهم لم يقصدوه، ولكنهم مهملون، أهملوا هذا.

أولًا: لا يدخل اجتماع الناس بالسلاح.

ثانيًا: إذا دخل، واقتضى الأمر دخوله بالسلاح، يوثق السلاح؛ بحيث لا ينفلت منه شيء؛ فيقتل مسلمًا بريئًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤/ ٧٤)، وابن حبان (١٣/ ٢٧٢)، والحاكم (٤/ ٣٢٣).

قوله ﷺ: «**سَيْفًا مَسْلُولا**»، لا يجوز هذا؛ يعني: تمدون السيف وهو مسلول؟! لا يجوز هذا؛ لأنه مهيَّأٌ للضرب والإصابة، ولو لم يقصد هو، لكنه مهيأ، السيف له غمد، أدخله في الغمد، وثقه.

قوله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا**»، من دخل الاجتماع بالسيف المسلول لعنه الرسول ﷺ؛ لأن هذا خطر، ولا يجوز أن يترك السيف مسلولًا، وهو في مجتمع، أو يمشي مع ناس، أو بحضرة أحد؛ يمكن يسقط السيف، يمكن يأخذه واحد، يضرب به.

قوله ﷺ: «**أَوَ لَيْسَ قَدْ نَهَيْتُ عَنْ هَذَا؟**»؛ يعني: عن أن يسل السيف بحضرة مسلم أو مسلمين؛ لئلا يصيب أحدًا.

قوله ﷺ: «**إِذَا سَلَّ أَحَدُكُمْ سَيْفَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُنَاوِلَهُ أَخَاهُ، فَلْيُغْمِدْهُ، ثُمَّ يُنَاوِلْهُ إِيَّاهُ**»، إذا أردت أن تعطيه السيف، أنت سللته من غمده؛ لتنظر فيه فقط، لم تقصد سوءًا، إذا أردت أن تناوله غيره، فلا تعطه إياه مسلولًا، اغمده في غمده، ثم أعطه إياه، ومثله البندقية، ومثله كل سلاح.



بَابُ بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا

(٦٦) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا»[1].

هذا حديث معروف، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا»، بدأ في أول بدايته وأول الدعوة غريبًا، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا واحد، ليس معه أحد، ثم انضم إليه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أبو بكر الصديق انضم إليه بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولما سئل: «فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ»[2].

هذا أول ما بدأ الإسلام، أولًا: الرسول وحده، ثم انضم إليه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الرجال يعني، وإلا هناك نساء أسلمن، وهناك صبيان أسلموا، لكن من الرجال أول من أسلم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا إلى الله، فأسلم على يديه جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكثروا، كان الأول غريبًا، يتكون من اثنين فقط، ثم كثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى تكونت الأمة الإسلامية، التي وصفها الله بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢) (١٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤) (٨٣١) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل.

مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾ [الفتح:٢٩]؛ يعني: صفتهم، صفة هذه الأمة في التوراة التي نزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه صفتها.

ثم ذكر صفتهم في الإنجيل الذي أنزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح:٢٩]، أولًا: هم كانوا نباتًا ضعيفًا؛ قصبة واحدة، القصبة هذه أنتجت، وصار لها فروع، الفروع هذه قويت، وصلبت، الزرع تكون، صار حينئذ مزرعة كاملة، ثم سنبل الزرع، صار له سنابل، واستوى على سوقه وعلى قصبه، ترى السنابل مجموعات، كل واحدة على قصبة، هذه صفة هذه الأمة؛ تكون في الأول نباتًا ضعيفًا، ثم صار له فراخ، ثم نما، حتى استوى على سوقه؛ ليعجب الزراع من حسنه، هكذا هذه الأمة.

بدأ الإسلام غريبًا على هذه الصفة، ثم تكون، ونما، وانتشر في الأرض، ثم في آخر الزمان إذا كثرت الفتن، يعود الإسلام غريبًا، ولايتمسك به إلا أفراد من الناس، الذين يتسَمَّون بالإسلام كثير، ولكن الذين يتمسكون بالإسلام الصحيح قليل غرباء، ينظر إليهم الناس نظر استغراب، يقولون: هؤلاء متشددون، هؤلاء فيهم، هؤلاء تكفيريون، هؤلاء...، إلى آخره.

ينظرون لهم نظرة استغراب، لكن لا يضرهم إذا تمسكوا بدينهم، نعم، لا تَصِرْ مخربًا، ولا تصر -أيضًا- إرهابيًّا تقتل بغير حق، ليس الإسلام أنك تخرب، أنك تكون إرهابيًّا، هذا ليس من الإسلام، أنك تكفيري، تكفر الناس بغير حق، لا، هذا ليس الإسلام.

الإسلام دين صحيح له أصول، له قواعد، لابد من تعلمها وأن تعرفها، لا تأخذ الإسلام بالتقليد، أو قول فلان، أو قول فلان، بل تأخذه من الكتاب والسنة، وذلك بالتعلم، وليس بالقراءة؛ أنك تقرأ على نفسك، لا، تَعَلَّمْ على العلماء؛ حتى تعرف الإسلام صحيحًا.

المتدينون كثيرون، ولكن الذين يتمسكون بالدين الصحيح قليل، انتبهوا لهذا!

بدأ غريبًا من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم انضم إليه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم، ثم، ثم، حتى جاء المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، حتى قاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الألوف في الغزوات: في غزوة بدر، في غزوة الفتح، فتح مكة.

خرج منها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقط اثنان؛ ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠]، وبعد ست سنين أو سبع عادا إليها بجيش يتكون من عشرة آلاف مدججين بالسلاح، وفتح الله مكة له، وأزال الأصنام التي على الكعبة والتي على الصفا والمروة، وهدم اللات والعزى ومناة، وأرسل إلى الأصنام، فكسرت وحطمت لما فتح الله مكة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١]؛ يعني: فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:٢]، جاءت الوفود من القبائل تبايع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد فتح مكة.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٢-٣]؛ يعني: وصل أجلك، الأجل وصل؛ فعليك بالاستعداد للموت.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر:٣]، توفي الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والإسلام عزيز، وأهله كثير، ثم تناموا، وانتشر في الأرض على يد المجاهدين من أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، حتى عم الأرض كلها، وبلغ مبلغ الليل والنهار، ليس هناك مكان إلا ودخله الإسلام، ودخلت الممالك الكبيرة تحت حكم المسلمين؛ لأن هذا الدين من عند الله عَزَّوَجَلَّ، والله ناصر دينه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣]، صدق الله وعده، فانتشر هذا الدين، وعم المشارق والمغارب، ظهر دين الله على سائر الأديان؛ كما وعد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا»، في آخر الزمان يعود الإسلام غريبًا؛ يعني: لا يتمسك به إلا القليل -الإسلام الصحيح-، وإلا الإسلام المدعى هذا كثير، لا يبقى على الإسلام الصحيح إلا القليل من الناس.



٦٧ **وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي آخِرِهِ: «فَطُوبَى للغُرَبَاءِ»، آخره: «قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»[1].**

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طُوبَى**»، طوبى يعني: الجنة، طوبى قيل: الجنة، وقيل شجرة في الجنة[2].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِلْغُرَبَاءِ**»؛ في آخر الزمان؛ يعني: يصبرون على دينهم، ويتمسكون به؛ فلهم الجنة.

قوله: «**قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»[3]، لا ينظرون للناس، ينظرون لهذا الدين، ويتمسكون به، ولو أصابهم ما أصابهم.

وفي رواية: «**طُوبَى للغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي**»[4]؛ يعني: يجمعون بين الوصفين؛ يَصلحون ويُصلحون، هؤلاء الغرباء.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٢٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «**النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ**»، وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٧٦).

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده (٢٤/ ٢٣٧) من حديث عبد الرحمن بن سَنَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة. قال الحافظ: (هو واهٍ)، وقال البخاري: (حديثه ليس بقائم). انظر: تعجيل المنفعة (١/ ٨٠٠)، ومجمع الزوائد (٧/ ٢٨٧).

وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٨٦٧) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

دعاة الشر كثير، بل باسم الإسلام، يدعون باسم الإسلام، وهم يدعون إلى الشر، «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا»[١]، لكن من يدعو إلى الإسلام الصحيح قليل، ولكنه هو الخير، وهو الغريب بين الناس، يصبر على هذا.

قوله ﷺ: «طُوبَى للغُرَبَاءِ»، هذا معناه أنه يحصل عليه ضغط من المجتمع ومن الناس، لكن طالما هو على الحق، يصبر، أما إذا كان على غير حق، فإنه يرجع للحق، ولا يبقى على ما هو عليه.

الغرباء الذين هم على الدين الصحيح، وليس الدين المدعى، أو الذي عليه الناس، أو الذي يقوله فلان وفلان، لا، الذي قاله الله ورسوله ﷺ، الدين الصحيح ما قاله الله وقاله الرسول ﷺ[٢]:

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أُولُو الْعِرْفَانِ

هذا الدين الصحيح: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ، قَالَ الصَّحَابَة، الصحابة رضي الله عنهم هم أولو العرفان؛ صحابة الرسول ﷺ.

مَا الْعِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

الرسول ﷺ يقول كذا، وفلان يقول كذا، وفلان رجل، وداعية، وعالم، وعليه أبهة، لكنه ضال -والعياذ بالله-، ليس له قيمة عند الله.

مَا الْعِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

---

(١) سبق تخريجه (ص ٧٦).

(٢) البيتان الآتيان من نونية ابن القيم. انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٧٩).

خذ النصوص، واترك آراء الناس، لكن ستصبح غريبًا بين الناس، اصبر، اصبر على دينك وقولِ الحق، ولو حصل عليك ما حصل، لاتعتدِ على الناس، ولكن الزم الطريق الصحيح.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ**»؛ يعني: الأفراد، يعني: القبيلة كلها ليس بها إلا فرد واحد متمسك بدينه، هذا غريب بين القبائل.

النُّزَّاعُ: أفراد قليلون يعرفون الحق، ويعملون به، ويصبرون عليه.



(٦٨) وَرَوَاهُ الْآجُرِّيُّ، وَعِنْدَهُ: قِيلَ: «مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»(١).

الآجري: رواي الحديث.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»، ولا ينظرون للناس، ويقول أحدهم: كل الناس على هذا، وأنا وحدي؟! ابقَ وحدك، إذا كنت على حق، لا يضرك، هذا عزٌّ لك. تقول: أنا -والله- أعيش مع الناس، ولن أذهب أنازع الناس. أصلح نفسك، ولو فسد الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة:١٠٥].



---

(١) سبق تخريجه (ص٢٠٥).

(٦٩) وَلِأَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ، إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»(١).

طوبى الغرباء متى؟ إذا فسد الناس، انظر! الناس كلهم، ليس الكفار، الكفار معروفون، لكن فسد المسلمون، فسدوا؛ دخلهم ما دخلهم من الأفكار، والآراء، والأهواء، والفرق، والمناهج، والجماعات المختلفة.

أنت تلزم طريق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو أصبحت غريبًا بينهم، اصبر على الغربة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩]، هؤلاء هم رفاقك في هذا الطريق، لا تستوحش؛ معك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأتباعهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾، كيف تستوحش وهؤلاء معك؟! لاتستوحش وهؤلاء معك في الطريق، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾؛ يرافقونك على هذا الطريق.

كونك مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو كونك مع فلان وعلان من أهل الضلال، ولو كانوا يدعون الإسلام، وهم على ضلال؟ لا تذهب معهم، ابْقَ على الطريق الصحيح، اصبر عليه، اثبت عليه؛ حتى تصل إلى الجنة.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٧).

(٧٠) **وَلَهُ: عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»**[(١)].

لاحظ! من هم الغرباء؟ بيّنهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُنَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ»**، هؤلاء هم الغرباء.

أنت يهمك الصلاح؛ أن تكون مع الصالحين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، يهمك الصلاح والصالحون، ولا تنظر إلى الكثرة المخالفة، إذا كانوا على غير حق، ابق مع الصالحين، ولو كانوا قليلين.

وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»**[(٢)]، أنت الجماعة طالما أنك على حق، فأنت الجماعة، وما عداك، فليسوا جماعة، وإن كانوا كثيرين.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُنَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ»**، هذه صفة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧/ ٢٣٧)، وابن المبارك في الزهد (٧٧٥)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢١)، وقَالَ نعيم بْن حَمَّاد: (يَعْنِي: إِذَا فَسدتْ الْجَمَاعَة، فَعَلَيْك بِمَا كَانَت عَلَيْهِ الْجَمَاعَة قبل أَن تفْسد، وَإِن كنت وَحدك، فَإِنَّك أَنْت الْجَمَاعَة حِينَئِذٍ). انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٢)، وإعلام الموقعين (٣/ ٣٠٨)، و إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١/ ٢٦٥).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»: الذين يعصونك أكثر ممن يطيعونك، ولو كان الذين يطيعونك قليلين، اصبر، اترك المخالفين، ولو كانوا كثيرين، لا تذهب معهم وتغتر بهم، تقول: هؤلاء سيعاونك؟ لا، طالما هم على ضلال، اتركهم، لا خير فيهم.



(٧١) وَفِي الزُّهْدِ عَنْهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْغُرَبَاءُ، قَالَ: الْفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قال: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ هُرْمُزَ، عَنْهُ[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي الزُّهْدِ عَنْهُ)؛ كتاب للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كتاب الزهد معروف مطبوع.

الغرباء من هم؟ «الْفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ»: الذين يفرون بدينهم من الفتن، يهاجرون إلى بلد الصلاح، إذا فسد البلد، يخرجون إلى البر، يسكنون في البر، يرعون الغنم، يرعون الإبل في الجبال، يتمسكون بدينهم خيرًا لهم من العيش في المدن والقصور.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**»، عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل في آخر الزمان، ويقتل الدجال، ويتولى أمر المسلمين، ويحكمهم بالإسلام بدين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيحشرهم الله معه يوم القيامة؛ لأنهم تبعوه على دين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص٦٦، برقم ٤٠٤).

(٧٢) وَلِأَحْمَدَ: عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَزِيدُونَ إِذَا نَقَصَ النَّاسُ»(١).

ما زال الحديث في الغرباء في آخر الزمان.

والغريب: هو الذي يعيش مع غير جنسه، والصالحون في آخر الزمان يعيشون مع غير جنسهم؛ لذلك صاروا غرباء.

جاء في تفسيرهم -كما سبق-: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، هؤلاء غرباء.

وجاء هم «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ».

وجاء في هذا الحديث: «الَّذِينَ يَزِيدُونَ إِذَا نَقَصَ النَّاسُ»؛ يعني: يتمسكون بالدين، إذا الناس نقصوا من الدين، هم لا ينقصون دينهم، يتمسكون به، وكل الروايات لا تختلف؛ الغرباء يجمعون هذه الأوصاف.



---

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين عن أحمد (٢/ ١٨٥)، وكذلك الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٢٣).

(٧٣) وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»[١].

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ: (أَمَا إِنَّهُ مَا يَذْهَبُ الْإِسْلامُ، وَلَكِنْ يَذْهَبُ أَهْلُ السُّنَّةِ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي الْبَلَدِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ)[٢].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ سُنَّتِي»، هذا فيه تفسير ما أفسد الناس من ماذا؟ من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهم يبينون السنة، إذا جهلها الناس، أو تساهلوا فيها، يبينونها للناس؛ يعني: يحتفظون بالسنة.

الأوزاعي أحد الأئمة الكبار من أهل الشام رَحِمَهُ اللَّهُ يفسر هذه الحديث، فيقول: الغرباء هم الذين يتمسكون بالسنة، إذا تركها الناس، حتى ولو لم يكن في البلد إلا واحد، فهو أهل السنة، وهو الغريب، لايقول: أريد أن أصير مع الناس، ولست منعزلًا عنهم. لا، اصبر، تمسك بالسنة، واصبر، ولو كنت وحدك، فأنت الجماعة، وأنت أهل السنة.



(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

(٢) ذكره ابن رجب في مجموع رسائله في كشف الكربة في وصف أهل الغربة (١/ ٣١٩).

(٧٤) وَفِي الْمُسْنَدِ: عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «يُوشِكُ أَنْ تَرَى الرَّجُلَ قد قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَعَادَهُ وَأَبْدَاهُ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَنَزَلَ عِنْدَ مَنَازِلِهِ، لَا يَحُورُ فِيكُمْ إِلَّا كَمَا يَحُورُ رَأْسُ الْحِمَارِ الْمَيِّتِ»[1].

الذي يتمسك بالسنة في آخر الزمان يرخص على الناس؛ مثلما رخص عليهم رأس الحمار الميت؛ من الزهد بالسنة وأهلها.

لكن المسلم يصبر على هذا، يصبر على الدين، يصبر على السنة، ولا ينخرط مع الناس، أو ينظر لرضاهم، إنما يتمسك بالسنة النبوية، وسيلقى مشقة، ويلقى غربة، ويلقى أذى، لكن يصبر على هذا، ولو رخص على الناس، وعيروه، وسبوه، ووصفوه بالتشدد، ووصفوه بالتكفيري، ووصفوه بأي وصف، لا يهمه، ما دام أنه على السنة وعلى الحق، لا يهمه كلام الناس، يصبر.



---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٦٣).

بَابُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ

(٧٥) وَلِلْبُخَارِيِّ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

قوله: «أَتَيْنَا أَنَسَ»، أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شكوا إليه ما يجدون من ظلم الحجاج؛ الحجاج أمير من أمراء بني أمية، أمير على العراق، وهو ظالم، وشديد، وعنده قسوة، فشكوا إلى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يلقون من ظلم الحجاج وقسوته عليهم.

قوله: «فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: اصْبِرُوا»، اصبروا على ظلمه، على قسوته.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»؛ «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ**»، هذا محل الشاهد، «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**»؛ يتحول الناس شيئًا فشيئًا؛ كل أهل فترة أسوأ من الذين قبلهم، حتى يصبح الدين غريبًا في الناس في آخر الزمان.

هذا الحديث فيه أنه كلما تأخر الزمان، اشتدت الغربة لأهل الدين، فعليهم بالصبر.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

فأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمرهم بالصبر على الحجاج، وهذا فيه دليل على الصبر على ظلم الولاة -وإن جاروا، وإن ظلموا-؛ لأن في هذا جمعًا للكلمة، واستقرارًا للأمن، والخروج على ولي الأمر يسبب الشر والفتنة، يسبب سفك الدماء وضياع الأمن؛ فهو أشد من صبرهم على ظلم الراعي.

لا شك أن ظلم الراعي لا يجوز، لكنه أخف من ضياع الكلمة واختلال الأمن وسفك الدماء في الخروج عليه، الصبر على ظلمه أخف من الخروج عليه وانفلات الأمن نهائيًّا؛ هذا من ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما؛ كما هي القاعدة.



(٧٦) وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ومَاهُوَ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ»[1].

هذا في آخر الزمان، في آخر الزمان تزيد الفتن، وتشتد، ماذا نعمل؟

الصبر، اصبروا، تمسكوا بدينكم، واصبروا، هذا هو الحل، ليس لكم غير الصبر على الدين، ولأنه ورد أن القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر[2]؛ من شدة ما يلقى، بسبب تمسكه بدينه يلقى من الناس الأذى والمضايقة وغير ذلك من أنواع الأذى، فيصبر، ليس هناك حل إلا الصبر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ»؛ يعني: يتقارب الزمان، وينشغل الناس، ويمر الوقت عليهم بسرعة؛ مثلما هو مشاهد الآن، ما شاء الله أسبوع

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦١)، ومسلم (١١) (١٥٧)، ولفظ مسلم: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤): عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ: «أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، قَالَ: سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يَدَانِ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ، وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ عَلَى مِثْلِ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا، يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ».

وراء أسبوع على الفور، هذا من تقارب الزمان؛ لأن الناس مشغولون بالدنيا، ومشغولون بتجارتهم، ومشغولون بوظائفهم، ويذهب الوقت، ولا يدرون.

قوله ﷺ: «**وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ**»، هذا محل الشاهد؛ ينقص عمل الناس، العمل الصالح يعني؛ لأنه لا يجتمع العمل الصالح مع الانشغال بالدنيا، لا بد أن يقضي أحدهم على الثاني، أو يغلب عليه، فالذي ينشغل بالدنيا، يخف عليه الدين، والذي ينشغل بالدين، تخف عليه الدنيا.

قوله ﷺ: «**وَيُلْقَى الشُّحُّ**»، الشح يعني: إمساك المال، وعدم الإنفاق في سبيل الله.

قوله ﷺ: «**وَتَظْهَرُ الفِتَنُ**»، التي هي الفتن في الدين؛ يعني: فتنة المال، فتنة النساء، فتنة التساهل في أمور الدين، فتنة التشبه بالكفار، هذه فتن كلها تكثر.

قوله ﷺ: «**وَيَكْثُرُ الهَرْجُ** »، الهرج هو القتل؛ يعني: سفك الدماء -والعياذ بالله-، إذا جاءت الفتن، وتفرق الناس، بدل الجماعة تفرقوا، حصل بينهم القتال، وقتل بعضهم بعضًا -كما هو مشاهد-، فلا أمان إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، لابد من هذه الأمور.

قوله: «**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ**»، الهرج يعني: «**الْقَتْل الْقَتْل**»؛ أي: يكثر القتل، إذا كثر الخلاف، تفرق الناس، قتل بعضهم بعضًا، وهذا من مفاسد ترك الجماعة.

بَابُ تَحْرِيمِ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِ إِلَى اسْتِيْطَانِ وَطَنِهِ

(٧٧) وَلَهُ عَنْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ قَالَ لَهُ الحَجَّاجُ: ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِبَيْكَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لَنَا فِي الْبَدْوِ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ تَحْرِيْمِ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِ إِلَى اسْتِيْطَانِ وَطَنِهِ)، من هاجر من وطنه بدينه، فر بدينه من وطنه، وطنه محل شر، هجره، وسافر إلى بلد أحسن؛ ليتمسك بدينه، يبقى، ولا يرجع، ولو تحسن بلده، لايرجع إليه؛ إبقاءً للهجرة.

ولذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما هاجروا إلى المدينة فرارًا بالدين من مكة، لما فتحت مكة، ودخلت في ولاية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلم أهلها، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يرجعوا إليها من أهل الهجرة، تبقى لهم الهجرة، من ترك وطنه لله، ترك شيئًا لله، لا يرجع فيه.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لَنَا فِي الْبَدْوِ»؛ البدو يعني: بدل الحاضرة؛ يكون مع البدو -مع الأعراب-، إذا احتاج إلى هذا، مثلما سبق أنه كونه يرعى غنمًا في الجبل أفضل من أن يبقى في البلد الذي فيه شر، يفر بدينه من البلد الذي فيه شر، ولو يرعى الغنم، ولو يعيش وحده، يتمسك بدينه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٧)، ومسلم (٨٢) (١٨٦٢).

بَابُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفِهِمَا

(٧٨) وَلِلْبُخَارِيِّ عَنِ الْأَحْنَفِ أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟، قَالَ: قُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ -يَعْنِي عَلِيًّا- قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قَالَ فَقُلْتُ: أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفِهِمَا)؛ تحريم القتل بين المسلمين: لا يجوز القتل بين المسلمين، ولو اختلفوا، لا يتقاتلون؛ لأنهم إخوة، ولا يتقاتلون من أجل المال، من أجل العصبية؛ إخوة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

والأخ لا يقتل أخاه في الإسلام، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾، لا تتركوهم يتقاتلون، أصلحوا.

﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾؛ لا تقبل الصلح، تريد أن تقتل، ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾؛ قاتلوها ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ [الحجرات:٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (١٤) (٢٨٨٨).

لا يتركون يتقاتلون؛ بل نفصل بينهم، ونصلح بينهم، وإذا قبلوا، فالحمد لله، إذا لم يقبل، فالذي لا يقبل يقاتل؛ من أجل منع الفتنة بين المسلمين، هذا منهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتن.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِسَيْفَيْهِمَا**»؛ كل واحد يريد أن يقتل الآخر، مسلمان كل واحد يريد أن يقتل الآخر، حرام هذا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ، وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»؛ يعاقب على نيته.

قوله: «**أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»؛ يعني: عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما حصلت الفتنة بين أهل الشام وبين علي بن أبي طالب الخليفة الرابع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعض المسلمين انضم إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ نصرة لابن عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعضهم انضم إلى جيش الشام مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كل الفريقين مسلمون؛ أهل الشام والذين مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلهم مسلمون، فهي قتال بين المسلمين، هناك فتنة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، هذا أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقي هذا الرجل لما حصلت الحرب بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أنه الخليفة ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطلب الذين قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يريد القصاص منهم، كل واحد من الصحابيين مجتهد

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هذا على أنه خليفة، وهم خرجوا عليه، وهؤلاء على أنهم يطالبون بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يطلبون الذين قتلوه، يريدون القصاص منهم.

فخرج هذا الرجل يريد أن ينضم إلى علي الخليفة، فلقيه أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سأله: أين تذهب؟ قال: «أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، هذا غرض طيب، لكن لما كان فيه فتنة بين المسلمين، قال له: ارجع، لاتدخل في الفتنة؛ فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ، وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟»، هذا القاتل في النار؛ لأنه قتل، لكن المقتول لماذا صار في النار، وهو مقتول؟ دخل النار بنيته؛ لأنه ينوي قتل صاحبه، لو حصل له، فهذا فعل القتل، وهذا ناوٍ للقتل، وهذا دليل على أن الإنسان يؤاخذ على النية.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ**»: القتيل كان يريد قتل صاحبه، فيعاقب على نيته -والعياذ بالله.

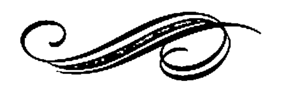
فهذا الحديث فيه أن الإنسان لا يدخل في الفتنة بين المسلمين، يعتزل الفتنة مهما أمكنه ذلك؛ إن حصل، يصلح بينهم، هذا مطلوب، إذا لم يحصل، يصلح بينهم؛ فهو يتجنب القتال، ولا يدخل مع هذا، ولا مع هذا.



٧٩ وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ»، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ**»؛ يعني: فتنة بين المسلمين؛ يتقاتلون، ولا يدري القاتل ما السبب أنه قتل هذا المسلم، والمقتول لايدري ما سبب قتله؛ يعني: فتنة ليس معها شعور؛ لأن الفتنة إذا اشتعلت، يصعب إطفاؤها، لكن قبل تشتعل من الممكن تلافيها، لكن إذا نشبت -والعياذ بالله- الفتنة، صعب إطفاء الفتنة، فيقتل وهو لا يدري من الذي أمامه، ولا من قتل.

هذا فيه شر الفتن -والعياذ بالله-، وفيه أن المسلم يتجنب الفتن، ولايدخل فيها بين المسلمين، وإنما يصلح بينهم، إذا أمكن، وإذا لم يمكن، يعتزل؛ يعتزل الفتنة، يبعد عنها.



---

(١) أخرجه مسلم (٥٦) (٢٩٠٨).

بَابُ هَلَاكِ الأُمَّةِ بَعْضِهِم بِبَعضٍ

(٨٠) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ» -قَالَ ابْنُ مَاجَه: (يَعْنِي: الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ)-، «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا»؛ هلاك الأمة بعضهم ببعض، في آخر الزمان يهلك بعضهم بعضًا بالفتن، لا لشيء، إلا للهوى والعصبية، والله أعلم بالأسباب.

قوله: «إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ»، إذا قضيت قضاء؛ قدرًا يعني: القدر.

هذا الحديث من معجزات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩) (٢٨٨٩).

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِـي الأَرْضَ»، جمع الأرض لمحمد ﷺ، جمعها له، مشارقها ومغاربها، حتى إنه ﷺ نظر إليها، نظر إلى الأرض كلها بهذه الصورة، التي زاوها الله له، الله على كل شيء قدير.

قوله ﷺ: «وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»، وقد حصل ما أخبر به ﷺ؛ أمته ملكت مشارق الأرض ومغاربها بالفتوحات والدعوة إلى الله، اتسعت مملكة المسلمين على المشارق والمغارب، هذا تحقق، وهذا من معجزات الرسول ﷺ.

قوله ﷺ: «وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَـرَ وَالأَبْيَضَ»، وأعطي الكنزين -الأبيض والأصفر-، هذا إشارة إلى فتح فارس والروم؛ لأن عندهما الكنوز؛ فالفضة هذه للفرس، والذهب للروم، وسترثهما هذه الأمة، ترث الكنزين؛ الذهب والفضة التي عند الروم وعند الفرس، ففيه إشارة إلى سقوط دولة الفرس وسقوط دولة الروم بيد المسلمين، وقد حصلت هذه -أيضًا-، سقطت دولة الفرس، وسقطت دولة الروم، وأخذ المسلمون كنوزهم وأموالهم، وأنفقوها في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله ﷺ: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ»، ثم سأل النبي ﷺ ثلاثة أسئلة، دعا ربه بثلاث دعوات، استجاب له في ثنتين، ومنعه من الثالثة:

الدعوة الأولى: «**أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**»؛ يعني: بجدب عام في الأرض، ألا يهلكها بسنة، السنة معناها: الجدب، تسمى السنة: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٠]؛ يعني: بالجدب، أجدبت الأرض عندهم.

«**بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**»؛ نعم، يحصل الجدب في بعض البلاد دون بعض، أما أن تجدب كل بلاد المسلمين، هذا استجاب الله لرسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يحصل الجدب في كل بلاد المسلمين، بل يحصل في بعضها، استجاب له في هذه ألا يهلكهم بسنة عامة؛ يعني: بجدب عام.

الدعوة الثانية: ألا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم من الكفار، لا يسلط الكفار على المسلمين يستأصلوهم جميعًا، أعطى الله رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا؛ أنه لا يسلط الكفار على المسلمين، حتى يزيلوا الإسلام والمسلمين من الأرض، لابد أن يبقى من المسلمين، لابد يبقى من الإسلام شيء، أما التسليط العام، فلا، هذا استجاب الله لرسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ألا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم.

الدعوة الثالثة: سأل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه ألا يسلط المسلمين بعضهم على بعض، فمنعه الله ذلك، منع، ولم يستجب له؛ أنه سيحصل بين المسلمين تسلط بعضهم على بعض وفتنة.

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ**

عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»، هذا محل الشاهد من الحديث؛ أنه سيحصل بين المسلمين قتال، وشر، وفتنة بينهم، هذه هي المخيفة. نعم، انتبهوا! حديث عظيم هذا.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ»، الله على كل شيء قدير، يعني: صغرها، صغر الأرض أمام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى صارت في مشهد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يشاهدها كلها.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»، هذه معجزة، هذه آية واحدة.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»، هذه المعجزة الثانية؛ أخبر أن أمته ستملك ما زوي له من الأرض من المشارق والمغارب، وقد حصل.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ» -قَالَ ابْنُ مَاجَه: (يَعْنِي: الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ)»؛ كنوز فارس والروم، الأبيض والأحمر يعني: الذهب والفضة.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ»؛ يعني: بجدب عام.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ»، هذه المسألة الثانية، والثالثة؟

قوله ﷺ: «**وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**»؛ هذه المسألة الأولى، استجاب الله.

قوله ﷺ: «**وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ**»؛ هذه الثانية، استجابها الله.

قوله ﷺ: «**يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا**»؛ من بأقطارها لا يستطيعون أن يزيلوا الإسلام مهما بلغ، الإسلام سيبقى، سيبقى الإسلام إلى أن تقوم الساعة: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»[1]، فالإسلام لا يزول نهائيًّا من الأرض، سيبقى، استجاب الله لرسوله هذه.

قوله: «**أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا**»، حتى هذه النسبة، الأخيرة هذه: إنما بعضهم يتسلط على بعض، تحصل الفتنة بينهم، الله منعها، ولم يستجب.

قوله ﷺ: «**حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»، فإذا حصلت، بعضهم يقتل بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا -المسلمين فيما بينهم-، فهذا سيحصل، وسيقع.



(١) سبق تخريجه (ص٦٦).

٨١ زَادَ أَبُو دَاوُدَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِي، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[١].

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ»، هذا ما خافه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ الأئمة المضلين من علماء الضلال، دعاة الشر، دعاة الضلال، ودعاة الفتنة -وما أكثرهم!-، يتسمون بالدعوة إلى الدين، وهم يدعون ضد الدين، يلبسون على الناس، هؤلاء -والعياذ بالله- خطر على المسلمين، هذه واحدة يخاف الرسول منها.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي»، وهذا الثانية، إذا وقعت الفتنة، فإنها تستمر فيهم، وقد وقعت بقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لما قتلوا عثمان، انفتح باب الفتنة على المسلمين، ولا يزالون إلى أن تقوم الساعة، والفتن بينهم، نسأل الله العافية!

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»، هذه المشكلة، خطيرة هذه.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٦٦).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ**»، هذه -أيضًا- مسألة عظيمة؛ الردة، يرتد كثير من المسلمين في آخر الزمان، يلحقون بعبدة الأوثان، وهذه حاصلة؛ كثيرون الذين يرتدون الآن عن الدين، ويتبعون فارس والروم، ويمدحونهم، ويتعلقون بهم، ويعظمونهم، وأنهم هم الناس، وهم الذين عندهم الحضارة، وعندهم الرقي والتقدم، ولا ينظرون إلى دينهم، بل ينظرون إلى ما معهم من الدنيا والفتنة، ويرتدون عن الدين -والعياذ بالله-، يقولون: هذا ديننا ليس به خير.

هؤلاء ليسوا على ديننا، وانظر ماذا صاروا الآن، يقولون: هذا الدين يمنعنا عن الرقي والتقدم والحضارة، ألا تسمعون هذا؟ هذا واقع الآن؛ يزهدون بالدين، ويقولون: إنه هو الذي يعوق المسلمين.

الدين لم يَعُقِ المسلمين؛ الدين يحث على طلب الرزق، يحث على الصناعة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

هذا الدين يحث، لكن المسلمين تكاسلوا، الذنب ذنب المسلمين، ليس ذنب الدين، لا، هم انقلبوا على الدين، الآن يقولون: الدين هو الذي أخرهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**»؛ تعود عبادة الأوثان في هذه الأمة، يقولون: لا، لا يمكن؛ المسلمون لا يرتدون عن الدين، لا يمكن، وعبادة الأصنام هذه ليست شركًا، هذا توسل إلى الله، يسمونه توسلًا إلى الله، يعبدون الأموات، ويستغيثون بهم، يقولون: لأنهم يقربوننا إلى الله زلفى، ويشفعون لنا عند الله، يسمونه بهذا، يسمون الشرك بهذا الاسم، هذه فتنة عظيمة.

قوله ﷺ: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ»، وهذا -أيضًا- مصيبة؛ أنه يظهر ناس يدَّعون النبوة، ولا نبوة بعد محمد ﷺ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي»؛ فهو خاتم النبيين ﷺ.

الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قوله ﷺ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، فالذي يصدق من يدعي النبوة كافر، الذي يصدق من يدعي النبوة بعد الرسول يكون كافرًا -والعياذ بالله-؛ لأن النبوة ختمت.

قوله ﷺ: «كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّه نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»؛ لا تصدقوهم، لا تصدقوا الذين يدعون النبوة.

قال ﷺ: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[1]، هذه البشرى، بعد هذه الفتن وهذه الشرور -الحمد لله-، الدين باقٍ مع الفتن ومع الشرور، الدين باقٍ.

لكن من يتمسك به؟ هذه هي المهمة؛ الذي يتمسك به يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى علم، يحتاج إلى ثبات، ولذلك يقل التمسك به.

والله! هذا حديث عظيم جدًّا.



(١) سبق تخريجه (ص ٦٦).

(٨٢) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَايَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»[1].

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ»، العالية يعني: في المدينة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا»**؛ يعني: بالجدب، بجدب العام.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا»**، هذه الثالثة التي لم يستجب الله جَلَّ وَعَلَا لرسوله، وهي ألا يحصل في الأمة فتنة؛ يقتل بعضهم بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَمَنَعَنِيهَا»**؛ أنه سيحصل فتنة بين الناس، اقتتال بين المسلمين، وقد حصل هذا.

فهذا فيه تجنب الفتن مهما أمكن، الفتن ستقع، فإذا وقعت، فأنت إما أن تسعى بالإصلاح، إن استطعت، وكف المسلمين بعضهم عن بعض،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠) (٢٨٩٠).

هذا واجب، إذا لم يكن للإصلاح مجال، أنت تجنب الفتنة، لا تدخل فيها، اعتزل الفتن، وهذا مثل الحديث السابق، مثله تمامًا، «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ**»؛ مثله تمامًا.



بَابُ كَفِّ اللِّسانِ فِي الْفِتْنَةِ

(٨٣) وَلِأَبِي دَاوُدَ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ الْعَرَبَ قَتْلَاهَا فِي النَّارِ، اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ»[1].

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ، سَمِعْت مُحَمَّدًا يَقُولُ: لَا يُعْرَفُ لِزِيَادِ بْنِ سِيمِينَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ غَيْرُ هَذَا.

انتبهوا! (كَفّ اللِّسانِ فِي الْفِتْنَةِ): إذا صار هناك فتنة، كف يدك لاتدخل فيها؛ لأنها بين مسلمين، تقتل مسلمًا؟! لا يجوز هذا، وكف لسانك -أيضًا-، لا يكفي كف اليد؛ لأن بعض الناس يكف يده، يصير جبانًا لا يريد القتال، هذا حال كثير منا، لكنه لا يكف لسانه؛ يحرض على الفتنة، ويقول: هذا جهاد.

كف لسانك عن تحريض المسلمين على الفتنة؛ لأن هذا يقلل منها، أما إذا شجعتهم على القتال، وقلت: اذهبوا قاتلوا، تقول لأولاد المسلمين: اذهبوا قاتلوا؟ لا يجوز هذا، كف لسانك، اسكت، لا تزد الشر شرًّا. هو لا يذهب، لكن يذهب أولاد الناس.

والغريب: ما تفرد بروايته واحد هذا هو الغريب، ما تفرد بروايته واحد[2].

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٦٥)، والترمذي (٢١٧٨).

(٢) سبق التعريف به (ص ١٤٨).

وهذا الحديث أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أنها ستكون فتنة، يحصل فيها قتل، ويكون «**اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ**»، انتبهوا! هذا محل الشاهد.

يكون اللسان فيها -التحريض، والمحاضرات، والخطب، وحث الناس على أن يدخلوها، ويقتل بعضهم بعضًا- أشد من السيف، السيف يمكن يقتل واحدًا أو اثنين، لكن لسانك هذا يحرض الأمة بعضها على بعض.

فعلى المسلم أن يكف لسانه؛ إما أن يقول خيرًا، وإما أن يصمت؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1]، لا تزد الشر شرًّا، اسكت، إذا لم تأتِ بخير، فكف شرك عن الناس.



(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) واللفظ له عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخر، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَو لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

(٨٤) وَلِأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، بَكْمَاءُ، عَمْيَاءُ، اللِّسَانُ فِيهَا كَوُقُوعِ السَّيْفِ»[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَمَّاءُ**»؛ يعني: لا تسمع، لا يقبل الكلام فيها، لايقبل الناس النصيحة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَكْمَاءُ**»؛ يعني: لا تنطق بخير، إنما تنطق بالشر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَمْيَاءُ**»: لا ترى الحق، وتبصر الطريق الصحيح، عمياء -والعياذ بالله- صماء، هذه فتنة شديدة.

أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها «**سَتَكُونُ**»، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى، وستكون بين المسلمين.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بهذا، لا يريد أن يخيفنا؛ بل يريد أن يحذرنا عند حصول هذه الأمور ماذا نعمل، هذا قصد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللِّسَانُ فِيهَا كَوَقْعِ السَّيْفِ**»: لسان يحرض الناس، يرغب في الجهاد، وهو في غير محله، ويحث الناس على الدخول فيها، وقتل بعضهم بعضًا، لا يقول لهم: يا مسلمين، كفوا أيديكم، يا مسلمين، انتهوا فيما بينكم؛ أنتم إخوان، لا يقول هكذا، لا، بل يقول: اقتلوا، قولوا، اذهبوا.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٦٤).

٨٥ وَلِابْنِ مَاجَه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «إِيَّاكُمْ وَالْفِتَنَ، فَإِنَّ اللِّسَانَ فِيهَا مِثْلُ وَقْعِ السَّيْفِ»[1].

مثل الذي قبله، اللسان خطير جدًّا، اللسان أشد من السيف، السيف يمكن تقتل به واحدًا اثنين، لكن اللسان تقتل به أمة.



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٨).

(٨٦) وَلَهُمَا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكِلْمَةِ، لا يُلْقِي لَها بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»[1].

الكلمة الواحدة من كلام السوء المحرم، من كلام الفتنة يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سَبْعِينَ خَرِيفًا»**: سنة؛ يعني: في قعر جهنم، وهي كلمة واحدة خبيثة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُلْقِي لَهَا بَالا»**: لا يدري ما عواقبها، ولا يدري ما الذي يترتب عليها.

الواجب على المسلم قبل أن يتكلم أن يزن كلامه، وينظر عواقبه وآثاره قبل أن يتكلم، يزن كلامه بالميزان الصحيح، إن كان كلامه يسبب الخير، يتكلم، وإن كان كلامه يسبب الشر، يمسك؛ عندك ناس عوام، عندك ناس جهال، عندك ناس متحمسون، فأنت راعي المكان والجماعة التي تتكلم فيها، كلمة واحدة يهوي بها في النار؛ قال رجل: **«وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ»**، أيس من رحمة الله، وحلف على الله أنه لا يغفر لفلان، أساء الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ؛ أنه لا يغفر لفلان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٥٠)(٢٩٨٨)، ولفظ مسلم: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»**.

قال الله جَلَّوَعَلَا: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ» يعني يحلف عليَّ . «أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[(١)] .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةِ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[(٢)]، نسأل الله العافية!

هذا فيه خطر اللسان وخطر الكلام في الفتنة، خطر الكلام في غير محله، أمسك لسانك، إلا بالحق، هذه قاعدة خذها معك: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ»[(٣)]، يسعك السكوت يا أخي.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١) عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (١٤/ ٤٧)، والبزار (١٦/ ٢٤٤)، وابن حبان (١٣/ ٢١)، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٨٤).

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٣٦).

مِنْ أَحَادِيثِ النَّهْيِ عَنِ السَّعْيِ فِي الْفِتْنَةِ

(٨٧) وَلِأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ فِيهِ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْوَصِيفِ؟» يَعْنِي الْقَبْرَ، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، -أَوْ قَالَ: مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ-، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ» -أَوْ قَالَ: تَصْبِرُ- ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قَدْ غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا يَخْتَارُ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا آخُذُ سَيْفِي وَأَضَعُهُ عَلَى عَاتِقِي؟ قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَنْ»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «تَلْزَمُ بَيْتَكَ»، قُلْتُ: فَإِنْ دُخِلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ»[1].

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يعلم الأمور المهمة، يلقيها بطريق السؤال، ثم يجيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا من وسائل التعليم والتبليغ؛ سؤال ثم جواب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَذَكَرَ الْحَدِيثَ)؛ ذكر الحديث السابق يعني.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْوَصِيفِ؟»، إذا نزل المرض، نزلت الأوبئة بالناس، وهذا يحصل، فالعلاج

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٦١).

مطلوب، إذا كان هناك علاج؛ «مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[1]، العلاج مطلوب، إذا كان العلاج لا يجدي، عليك الصبر، ولا تجزع عند حدوث هذا، عليك بالصبر، ويختار الله لك ما يشاء.

قوله: «أَوْ قَالَ: تَصْبِرُ»، هذه واحدة ذهبت، الثانية؟

قوله: «يَا أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قَدْ غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟»؛ أحجار الزيت أحجار في المدينة، أحجار على طرف المدينة، يسمونها أحجار الزيت؛ لأنه كان يباع عندها الزيت، سموها أحجار الزيت.

قوله: «قُلْتُ: مَا يَخْتَارُ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: عَلَيْكَ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ»، هذا -والله أعلم- حصل في وقعة المدينة، في وقت يزيد بن معاوية، لما خرجوا عليه، غزا المدينة؛ وقعة الحرة المشهورة، وقتل قائد يزيد من أهل المدينة مقتلة عظيمة، لعل هذا هو الذي قصده الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمر أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند هذا أنه لا يدخل في الفتنة، لا يدخل في هذه الفتنة؛ لأنها بين المسلمين.

وعمل بهذا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ جمع أولاده، وكسر سيفه، وأمرهم ألا يدخلوا في هذه الفتنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)، ومسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإذا كان قتال بين المسلمين، إما أن تصلح بينهم -إن استطعت-، وإما ألا تدخل فيها؛ حتى لا تزيد الشر شرًّا، لا تدخل فيها بالسيف أو بلسانك، لاحظوا! اللسان أشد.

يقول أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الله أعلم ماذا يكون، أو أكون كما يختار الله لي ورسوله.

قوله: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا آخُذُ سَيْفِي وَأَضَعُهُ عَلَى عَاتِقِي؟ قَالَ: شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَنْ**»، إذا أخذت سيفك، ودخلت فيها، شاركت القوم في القتل، قتل المسلمين بعضهم من بعض، لا تأخذ سيفك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذًا**»: شاركتهم في الفتنة، إذا دخلت فيها، وحملت سيفك معهم، دخلت فيها. هذا حديث عظيم.

قوله: «**قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: تَلْزَمُ بَيْتَكَ**»، تلزم بيتك، لا تخرج؛ تسلم من الناس، ويسلم منك الناس، وهذا يقلل الفتنة، إذا لم تستطع منع الفتنة، على الأقل خففها، هذه قاعدة: «إذا لم تستطع إزالة الشر، على الأقل خففه، إذا لم تستطع إزالته ولا تخفيفه، ابتعد عنه».

قوله: «**قُلْتُ: فَإِنْ دُخِلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ**»، هذه قضية الصائل إذا دخل عليك بيتك، انتبهوا!

أتقتله؟ إن كان في وقت فتنة، فلا تقتله، ولو قتلك، لا تقتله؛ لأن هذا يزيد الفتنة، أما إذا كان ليس وقت فتنة، ودخل عليك صائل، فاقتله؛ دفع الصائل: ادفعه بالكلام، بالضرب، إذا لم يندفع إلا بقتله، اقتله.

هذا في غير الفتنة، والناس آمنون، دخل عليك لص أو خائن، فهذا تدفعه بأسهل الدفع، فإذا لم يمتنع، فلا يمنع من قتله؛ دفعًا لشره، أما في الفتنة، لا، لا تقتل الداخل عليك؛ مثل من؟ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد، لما دخلوا عليه، أمسك عن القتل، وأمر من حوله أن يمسكوا، هذا الفقه في الدين؛ لأن هذا يزيد الفتنة، انتهى الأمر بقتله شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مثل ابني آدم، لما قال له أخوه: لأقتلنك، لم يقم، وأخذ السيف وقال: أنا الذي سأقتلك. لا، ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢٧-٣٠]، والعياذ بالله!

فإذا كان الوقت وقت فتنة، فلا تدافع عن نفسك؛ لأن هذا يزيد الفتنة، إذا كنت لا تدافع عن نفسك، فكيف تدخل أنت في الفتنة من باب أولى؟!

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ»؛ يعني: استسلم؛ لأن قتلك إياه لن يفيد شيئًا، ولا بكافٍ الشر، يزيد الشر شرًّا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ»، هذا كما في الآية: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

الدفاع عن النفس في الفتنة لا يجوز، إذا كان الدفاع لا يجوز، فكيف بالبداية؛ أنك تبدأ أنت؟! لا يجوز؛ لأنه يزيد الفتنة فتنة، وخذوا قصة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تمامًا.

أما إذا كان الوقت وقت أمان، ودخل عليك لص معتدٍ، فأنت تدفعه بالأسهل، فالأسهل، إذا لم يندفع إلا بقتله، فاقتله.



(٨٨) زَادَ ابْنُ مَاجَه: «كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (زَادَ ابْنُ مَاجَه)؛ زاد ابن ماجه في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواية.

إذا زادت الفتنة، وأصبحت لا تستطيع أن تذهب لتصلي في المسجد -لا حول ولا قوة إلا بالله-، أو إذا خرجت، لا تستطيع أن ترجع لبيتك من الفتنة، ماذا تفعل؟

عليك بالعفة عن الدم، تعفف عن الدم؛ فإذا قتلوك، فأنت شهيد.

هذه الأحاديث كلها في أن الفتنة إذا كانت بين المسلمين، فالمسلم يعتزلها، ولا يدخل فيها -لا بسيف، ولا بلسان-، يعتزلها؛ لا يزيد الشر شرًّا.



---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٨).

(٨٩) وَفِي حَدِيثٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَذكر الْفِتْنَةَ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ». قِيلَ: فَإِن دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَكُن مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ الثَّفَالِ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا كَرْهًا وَلَا يَمْشِي إِلَّا كَرْهًا». رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ[١].

«**الْزَمْ بَيْتَكَ**»، لا تخرج والناس في فتنة وشر، الزم بيتك؛ أسلم لك.

«**قِيلَ: فَإِن دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: فَكُن مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ الثَّفَالِ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا كَرْهًا وَلَا يَمْشِي إِلَّا كَرْهًا**» أي: كن مثل البعير الذي يبرك، ولا يطيع، يثور، وإن ثار، لا يطيع ولا يمشي، لا تقم في الفتنة، وإن قمت في الفتنة، لا تمش، وهذا كما سبق: «**الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي**»[٢]، فكلما قللت الفتنة، فهو مطلوب.

ليت قومنا يعلمون هذه الأحاديث، ويطبقونها؛ لأجل أن تخف الفتن بين المسلمين.



---

(١) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث (٥/ ٩٥)، وانظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٨١).

(٢) سبق (ص ١٧٣).

٩٠ **وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنِ الْمِقْدَادِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوعًا: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ، فَصَبَرَ، فَوَاهًا!»**[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ»**؛ يعني: تجنب الفتن مهما استطعت؛ بسلاحك، ولسانك، تجنبها، لا تزد الشر شرًا، لا تحرض المسلمين بعضهم على بعض.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ السَّعِيدَ لَمَن جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَن جُنِّبَ الْفِتَنِ»**؛ يعني: كرر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن السعيد من جنب الفتن؛ يحثنا على تجنب الدخول في الفتن بقول أو بفعل، وإنما غرضنا الإصلاح إذا أمكن، إذا لم يمكن، فلا تدخل فيها، ابتعد عنها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَمَنْ ابْتُلِيَ، فَصَبَرَ، فَوَاهًا!»**؛ من صبر على الفتنة، ولم يدخل فيها، وحبس نفسه، **«فَوَاهًا!»**؛ هذا حث من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بمعنى: هذا أفضل له.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣).

بَابُ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ

(٩١) وَلِلْبُخَارِيِّ: عَنْ عَوفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ)؛ أمارات الساعة: علامات الساعة يعني.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ»؛ من أدم: يعني من جلد، الأدم: الجلد المدبوغ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اعْدُدْ سِتًّا بَين يَدَيِ السَّاعَةِ»**؛ ست حوادث بين يدي الساعة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَوْتِي»**، هذه الأولى: موت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ»**، ثم فتح بيت المقدس، وقد فُتِحَ في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ**»، الموتان: هو الوباء -والعياذ بالله-، الذي يموت كثير فيه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطًا**»؛ ثم استفاضة المال: كثرة الثروة، هذه فتنة، وهي من علامات الساعة، كثرة الأموال بأيدي الناس هذه من علامات الساعة. لا يكفيه المبلغ القليل، المائة دينار في ذاك الوقت كانت ثروة، يقول: يعطى إياها، ولا يرضى، يريد أكثر، لا يقنع.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ**»، هذه المشكلة: فتنة عامة تدخل البيوت، والله أعلم إنها وسائل الإعلام الآن، وسائل الإعلام، وهذه الوسائل -الإنترنت-، ولا أدري ماذا تنقل هذه الشرور، تدخلها على الناس في بيوتهم، أنت لم تذهب إليها، لكن هي دخلت عليك وأنت على فراشك، عندك هذا الصنم الذي بجوارك، تحركه يأتي لك بكل شر وكل بلاء، هذه فتنة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ**»؛ هدنة تكون بينكم وبين الروم -بني الأصفر يعني: الروم-، هدنة بين المسلمين وبين الروم؛ ترك القتال بينهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»، فيغدر الروم العهد الذي بينكم وبينهم، يغدرون ويغزون

المسلمين؛ لأن من طبيعة الكفار الغدر والخيانة، ومن طبيعة المسلمين الوفاء بالعهود.

هذه من علامات الساعة، وليست كل علامات الساعة، علامات الساعة كثيرة، لكن هذه منها.

أمارات الساعة أو أشراط الساعة هي الحوادث التي تحدث قرب قيام الساعة، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد:١٨]. أي علاماتها.

وأول علامات الساعة بعثة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[١].

وهو صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو نبي الساعة، وتستمر العلامات إلى أن تقوم الساعة، لكن تختلف العلامات؛ منها علامات صغرى، ومنها علامات كبرى متتابعة، وهي محل البحث الآن العلامات الكبرى.



(١) سبق تخريجه (ص٩٦).

بَابُ مَلَاحِمِ الرُّومِ

(٩٢) وَلِمُسْلِمٍ عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: «هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»[١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَلَاحِمِ الرُّومِ)؛ يعني: الحروب، الملاحم هي الحروب، والروم هم بنو الأصفر.

فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى هجيرى يعني ليس له عادة، هجيرى يعني عادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ»، وكان عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابي الجليل هو القاضي والداعية في الكوفة، وكان الأمير أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً»؛ يعني: يكونون شرطة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً – إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا – حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا»؛ هذا الحديث فيه ذكر ما يكون من الحرب بين المسلمين وبين الروم في آخر الزمان، وأنه في النهاية تكون الغلبة للمسلمين، وذلك في أرض الشام.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧) (٢٨٩٩).

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ»؛ يعني: يُقتلون، يُقتل بنو الرجل، القبيلة أو الأسرة تقتل، ولا يبقى إلا واحد.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ»، هذا يفسر أول الحديث: «لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ»؛ لأنهم يُقتلون، ولا يبقى إلا القليل.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ»؛ بينما المسلمون في الغزو يقاتلون الروم، وحصل لهم النصر، إذ جاءهم الصريخ.

والصريخ: هو الذي يحذرهم من شيء حصل، وهو الذي يأتي نذيرًا، يخبرهم عن شيء حصل بعدهم، وهذا الشيء أنه خرج الدجال في قومهم، فيتركون الغزو، ويرجعون إلى أهلهم؛ لأجل مقابلة الدجال ودفع شره.

والدجال: هو رجل من اليهود، يخرج في آخر الزمان، خروجه من علامات الساعة الكبرى، سمي المسيح الدجال من الدجل، وهو كثرة الكذب؛ لأنه كذاب كثير الكذب، معه فتنة عظيمة، تغر كثيرًا من الناس، ينخدعون به، ولا يبقى إلا أهل الإيمان الصحيح، يثبتون على دينهم، حتى يأتي الفرج من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا سيحصل على المسلمين فتنة من الدجال؛ بما معه من الخوارق، معه خوارق شيطانية، تؤثر على الجهال وضعاف الإيمان، يغترون به، ويتبعونه -والعياذ بالله-، ولا يبقى إلا المؤمن القوي

في إيمانه الثابت على دينه، مع ما يتعرض له من الخطر، لكنه يثبت على دينه، ففتنة الدجال فتنة عظيمة.

وبينما هم كذلك، إذ نزل المسيح عيسى بن مريم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماء، حضر معهم صلاة الفجر، وهم يصلون خلف إمامهم المهدي، حضر معهم صلاة الفجر، صلى معهم المسيح صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يطلب الدجال، حتى يجده، فيقتله، يقتله شر قتلة عند باب لُدٍّ -مكان من فلسطين-، يطلب الدجال، حتى يجده في هذا المكان، فيقتله، ويستريح المسلمون من شره.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ»؛ يعني: إذا جاءهم الصريخ، وأخبرهم بظهور الدجال، وأنه خلفهم -يعني: جاء بعدهم-، تركوا ما بأيديهم، وتركوا الغزو مع الروم ورجعوا إلى بلادهم؛ ليدفعوا عنها شر الدجال.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»**؛ من المسلمين يستطلعون أمر الدجال.



(٩٣) وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ، خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ، لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ»، «الأعماق» مكان من الشام، و«دابق» -أيضًا- مكان الشام.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ»، هذا في قتالهم مع الروم، قسطنطينية عاصمة الترك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ»،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤) (٢٨٩٧).

هذا مثل الحديث الذي قبله، بينما هم يقاتلون الروم -ظفروا بالروم، وأخذوا الغنائم-، إذ جاءهم النذير بأن الدجال قد خرج في أهليهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَأَمَّهُمْ**»، بينما هم في كرب وشدة مع الدجال، ويتهيؤون لقتال الدجال وحزبه، عرضت صلاة الفجر، بينما هم كذلك، نزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والله جَلَّ وَعَلَا أخبر أنه رفع عيسى إليه حيًّا، لما تآمر عليه اليهود، يريدون قتله، رفعه الله من بينهم، ولم يشعروا بذلك، وألقى شبهه على رجل من القوم، ظنوا أنه المسيح، فقتلوه، وصلبوه، ونجَّى الله المسيح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفعه إليه حيًّا بروحه وبدنه.

ثم في آخر الزمان ينزل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]، هذا إذا نزل، إذا نزل، يؤمنون، ولا يبقى في الأرض إلا الإسلام، لا يبقى دينان في الأرض، ويحكم بشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى يخرج يأجوج ومأجوج في آخر حياة عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه آفة أخرى تظهر على المسلمين.

تخلصوا من الدجال، وساد حكم المسلمين، وانتشر الإسلام، ووضعت الجزية، وقتل الخنزير، وصارت العبادة لله وحده، بينما هم كذلك، ظهر عليهم جيش لا يطيقونه، وهم يأجوج ومأجوج.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»، إذا رأى الدجال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، خار، ولم يستطع الحركة، وذهبت قواه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**»؛ عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقتل الدجال بيده مباشرة، فيريح الله المسلمين من الدجال، ويتولى المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.



(٩٤) **وَلَهُ: عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا، نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا -قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ- الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»**[1].

قوله ﷺ: **«فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا»**؛ المسلمون يغزون هذه البلدة، الظاهر أنها القسطنطينية، يغزونها، ويكبرون الله تكبيرًا، ويهللون، ثم تسقط، كلما كبروا وهللوا، سقط جانب منها بدون قتال.

قوله: «قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ»؛ يعني: الجانب الذي في البحر منها يسقط بالتكبير.

قوله ﷺ: **«فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ»**، هذا مثل الحديث الأول، إلا أنه أوضح منه، وأنهم ظفروا بعدوهم، وانتصروا عليه بدون قتال؛ بل بذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

فبينما هم بعد هذا النصر، ويقسمون الغنائم، جاءهم الخبر عن ظهور الدجال في أهليهم، **«فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»** إلى أهليهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٠).

(٩٥) وَلِابْنِ مَاجَه: مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ أَدْنَى مَسَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِبَوْلَاءَ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ»، قَالَ: بِأَبِي، وَأُمِّي، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَيُقَاتِلُهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الْإِسْلَامِ؛ أَهْلُ الْحِجَازِ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا، حَتَّى يَقْتَسِمُوا بِالْأَتْرِسَةِ، وَيَأْتِي آتٍ، فَيَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَرَجَ فِي بِلَادِكُمْ، أَلَا وَهِيَ كِذْبَةٌ، فَالْآخِذُ نَادِمٌ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ»[1].

قوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ**»؛ يعني: الروم.

قوله ﷺ: «**فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ**»، هذه البلد الذي بعضها في البر وبعضها في البحر هي القسطنطينية.

قوله ﷺ: «**فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا، حَتَّى يَقْتَسِمُوا بِالْأَتْرِسَةِ**»؛ مثل: الرواية الأولى، من كثرة المال يقتسمونه، ليس بالعد، بل بالأترسة؛ جمع ترس.



---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٤).

(٩٦) وَلِأَبِي دَاوُدَ وَغَيرِهِ: عَنْ ذِي مِخْمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، حَتَّى تَغْزُوا أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَنْصَرِفُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلِ اللهُ غَلَبَ، فَيَثُورُ الْمُسْلِمُ إِلَى صَلِيبِهِمْ، وَهُوَ مِنْهُ غَيْرُ بَعِيدٍ، فَيَدُقُّهُ، وَتَثُورُ الرُّومُ إِلَى كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ، فَيَضْرِبُونَ عُنُقَهُ، وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ، فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُكْرِمُ اللهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ، فَتَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ: كَفَيْنَاكَ الْعَرَبَ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا حَتَّى تَغْزُوا أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَنْصَرِفُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ»؛ يعني: تجتمعون أنتم وهم على قتال عدو للجميع.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ: كَفَيْنَاكَ الْعَرَبَ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ»؛ يعني: القتال بينهم وبين هؤلاء الروم، الذين نسبوا النصر إلى الصليب.



---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٧٢).

(٩٧) وَلَهُ وَغَيْرُهُ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»، حسنه الترمذي[1].

(٩٨) وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا: «بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ فِي السَّابِعَةِ»، قَالَ: (هَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ عِيسَى؛ يعني: حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[2].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»؛ يعني: تجتمع كل هذه الحوادث العظيمة في هذه الأشهر، سبعة أشهر فقط؛ يعني: مدة قصيرة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ»؛ يعني: القسطنطينية.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٥)، والترمذي (٢٢٣٨)، وابن ماجه (٤٠٩٢)، وأحمد (٣٦/ ٣٧١)، قال الترمذي: (وَفِي البَابِ عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩٦).

(٩٩) **وَلَهُ: عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»**[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟**)، هذا من علامات الساعة: تداعي الأمم على المسلمين، أمم أهل الأرض من الكفار يتداعون على المسلمين، يجتمعون على قتال المسلمين، هذا من علامات الساعة.

والمسلمون في هذا الوقت ضعفاء بسبب انشغالهم بالدنيا، مع كثرتهم ضعفاء؛ لأن الكثرة لا تكفي، إلا مع الإيمان، الكثرة مع الإيمان، أما الكثرة بدون إيمان، فإنها تكون قليلة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ»**؛ يعني المسلمين.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ»**، كان العدو يهاب المسلمين، ثم في آخر الزمان العكس؛ تنزع مهابة الكفار من المسلمين، فيصير الذي يهاب هم المسلمون، يهابون الكفار.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧).

بدل أن كان الكفار يهابون المسلمين، انعكست، صار المسلمون يهابون الكفار؛ لضعف الإيمان، ذلك لضعف الإيمان عندهم، هذا من علامات الساعة: تخاذل المسلمين، انقسام المسلمين، دخول المذاهب الضالة على المسلمين، تفرق المسلمين إلى فرق مختلفة، كل هذا يضعف المسلمين.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»، هذا هو السبب؛ إذا أحب المسلمون الدنيا، وكرهوا الموت في سبيل الله والجهاد في سبيل الله، عند ذلك يحدث هذا الذل، الذي يضعه الله فيهم.



(١٠٠) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»[١].

وفي رواية: «فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»[٢].

فتنة ظهور هذا الجبل من الذهب؛ إذا حسر ماء الفرات، يتقاتلون عليه، هذا من انشغالهم بالدنيا والطمع، وهذا هو الذي أذلهم أمام عدوهم، يتقاتلون بينهم، المسلمون يتقاتلون بينهم، كلٌّ يريد أخذ هذا الذهب؛ فتنة!!



---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٩) (٢٨٩٤)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجها البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٣٠) (٢٨٩٤).

(١٠١) وَلَهُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُم، وَعُدْتُم مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ»، شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ»(١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا»**؛ يعني: البخل، إذا حصل البخل بالمال، حصلت المصيبة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ»**؛ يعني: تعودون أذلاء مثلما كنتم قبل الإسلام.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ»**؛ يعني: الراوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أشهد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذا الكلام، وأنه سمعه منه.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ»**؛ من باب تأكيد الرواية.



---

(١) أخرجه مسلم(٣٣) (٢٨٩٤).

(١٠٢) وَلَهُ: عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ الْقُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ»(١).

يعني: إن الروم فيهم صفات طيبة، مع كفرهم فيهم صفات طيبة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢]، ومنهم من إذا سمع ما أنزل إلى الرسول، فإنه يبكي، ويؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنصارى أكثر دخولًا في الإسلام من غيرهم، وأكثر رأفةً ورحمة، وإن كانوا كفارًا.

أما اليهود - قبحهم الله-، فهم أشد الناس عداوة مع المشركين، انظر! مع المشركين عباد الأوثان، مع أنهم أهل كتاب، لكن لم ينفعهم كتابهم، صاروا مثل عبدة الأوثان: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾، يشاركون عبدة الأصنام مع أنهم أهل كتاب، ولم ينفعهم كتابهم لما لم يعملوا به، فالذي يسلم من النصارى أكثر من الذي يسلم من اليهود.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥) (٢٨٩٨).

(١٠٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ»، قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ»[١].

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ»؛ يعني: يتحدثون.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَتَيْتُهُمْ، فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي»؛ من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا الحديث فيه البشارة للمسلمين أن الله ينصرهم، ويفتح عليهم في آخر الزمان؛ يعني: لا ييأس المسلمون مع كثرة الفتن والكربات والشدائد، إلا أن هذا الدين يبقى، ويبقى له أهل يتمسكون به، وينصرهم الله؛ «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[٢].



---

(١) أخرجه مسلم (٣٨) (٢٩٠٠).

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٦).

(١٠٤) وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»(١).

(١٠٥) وَلَهُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ»(٢).

هذا من علامات الساعة: خروج هذا الرجل؛ يتسلط على الناس بسلطانه، هذا -أيضًا- من علامات الساعة.

وقحطان: هي القبيلة المعروفة؛ لأن العرب ينقسمون إلى قسمين قحطانية، وعدنانية.

«الْجَهْجَاهُ»: هذا اسم الرجل الذي من القحطان اسمه (الْجَهْجَاهُ)، وهو من علامات الساعة.



(١) أخرجه البخاري (٧١١٧)، ومسلم (٦٠) (٢٩١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٧)، ومسلم (٦١) (٢٩١١)، واللفظ لمسلم.

(١٠٦) **وَلَهُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»**(١).

وَفِي لَفْظٍ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى تُقَاتِلَكُمْ أُمَّةٌ يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ، وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ»(٢).

(١٠٧) **وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارَ الْأَعْيُنِ ذُلْفَ الْآنُفِ»**(٣).

(١٠٨) **وَفِي لَفْظٍ: «يُقَاتِلُ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ، قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ»**(٤).

وَفِي لَفْظٍ: «حُمْرَ الْوُجُوهِ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ»(٥).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»**؛ يعني: الترك، يقاتل العرب الترك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»**؛ يعني: من المغرب -والله أعلم-.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٧)، ومسلم (٦٢) (٢٩١٢)، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٦٣) (٢٩١٢).
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٦٤) (٢٩١٢)، واللفظ لمسلم.
(٤) أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٦٥) (٢٩١٢)، واللفظ لمسلم.
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٩٠)، ومسلم (٦٦) (٢٩١٢).

قوله ﷺ: «**وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ**»، المجان جمع مجن، وهو ما يتخذه المقاتل سترة دونه ودون سلاح العدو.

قوله ﷺ: «**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارَ الْأَعْيُنِ ذُلْفَ الْآنُفِ**»، هذه صفة الترك -والله أعلم-.

قوله ﷺ: «**يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ**»، هذه تفسر الكلام السابق؛ أن المراد بهم الترك.

قوله ﷺ: «**قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ**»، صارت الصفتان للترك؛ هم الذي يلبسون الشعر، وينتعلون الشعر، ووجوههم كالمجان المطرقة، صغار الأعين، إلى آخره.



(١٠٩) وَلِأَبِي دَاوُدَ: عن بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «يُقَاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغَارُ الأَعْيُنِ -يَعْنِي: التُّرْكَ-، قَالَ: تَسُوقُونَهُمْ ثَلَاثَ مِرَارٍ، حَتَّى تُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَمَّا فِي السِّيَاقَةِ الأُولَى، فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ، فَيَنْجُو بَعْضٌ، وَيَهْلَكُ بَعْضٌ، وَأَمَّا فِي الثَّالِثَةِ، فَيُصْطَلَمُونَ»، أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

(١١٠) وَلَهُ: عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ، عِنْدَ نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: دِجْلَةُ، يَكُونُ عَلَيْهِ جِسْرٌ، يَكْثُرُ أَهْلُهَا، وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُهَاجِرِينَ»[(٢)].

(١١١) وَفِي لَفْظٍ: «وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ -فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، جَاءَ بَنُو قَنْطُورَاءَ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الأَعْيُنِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ، فَيَتَفَرَّقُ أَهْلُهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ، وَهَلَكُوا، وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَكَفَرُوا، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَهُمُ الشُّهَدَاءُ»[(٣)].

(١١٢) وَفِي لَفْظِ أَحْمَدَ بَعْدَ الْفِرْقَةِ الأُولَى: «وَأَمَّا فِرْقَةٌ، فَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفُسِهَا، فَكَفَرَتْ، فَهَذِهِ وَتِلْكَ سَوَاءٌ»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «وَيَفْتَحُ اللهُ عَلَى بَقِيَّتِهَا»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٠٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣٤/ ١٠٢) عن عَبْد اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَنْزِلَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي أَرْضًا يُقَالُ لَهَا =

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقَاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغَارُ الأَعْيُنِ، يَعْنِي التُّرْكَ، قَالَ: تَسُوقُونَهُمْ ثَلَاثَ مِرَارٍ حَتَّى تُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَمَّا فِي السِّيَاقَةِ الأُولَى، فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ فَيَنْجُو بَعْضٌ، وَيَهْلَكُ بَعْضٌ، وَأَمَّا فِي الثَّالِثَةِ، فَيُصْطَلَمُونَ»؛ يعني: يهلكون.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ وَهَلَكُوا»؛ يعني: يتركون الجهاد.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَكَفَرُوا»؛ يأخذون لأنفسهم، ويتركون الجهاد في مقابل أنهم يأمنون على أنفسهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ وَهُمُ الشُّهَدَاءُ»، هذه الفرقة الثالثة التي تقاتل، هؤلاء من المسلمين.



=الْبَصْرَةُ، يَكْثُرُ بِهَا عَدَدُهُمْ، وَيَكْثُرُ بِهَا نَخْلُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ بَنُو قَنْطُورَاءَ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى جِسْرٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ دِجْلَةُ، فَيَتَفَرَّقُ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَأْخُذُونَ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ، وَتَلْحَقُ بِالْبَادِيَةِ وَهَلَكَتْ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفُسِهَا، فَكَفَرَتْ فَهَذِهِ وَتِلْكَ سَوَاءٌ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَجْعَلُونَ عِيَالَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيُقَاتِلُونَ، فَقَتْلَاهُمْ شُهَدَاءُ، وَيَفْتَحُ اللهُ عَلَى بَقِيَّتِهَا».

(١١٣) قَالَ: وَلِلْبَزَّارِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»، صَحَّحَهُ عَبْدُ الْحَقِّ[١].

(١١٤) وَلِأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»[٢].

(١١٥) وَلِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلَاحِمِ دِمَشْقُ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنَ الدَّجَّالِ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ بَيْتُ الطُّورِ»[٣].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»، فيه فضل الشام، وأنها في آخر الزمان تكون هي مقر الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٦٢)، والبزار (١٠/ ٤٨)، والطبراني في الشاميين (١/ ١٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩٨).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢١٧).

قوله ﷺ: «**إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ**»، والغوطة لا يزال اسمها موجودًا الآن، يسمونها غوطة دمشق.

قوله ﷺ: «**مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلَاحِمِ دِمَشْقُ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنَ الدَّجَّالِ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ بَيْتُ الطُّورِ**»؛ يعني: يتحصنون بهذه الأشياء: الشام في بيت المقدس، وفي الطور مع عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ»[1]، فينحصرون في الطور من يأجوج ومأجوج، ثم يهلك الله يأجوج ومأجوج بالمرض والوباء، ثم يخرج المسلمون من حصارهم فرحين.



(١) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١٦) وَلِابْنِ مَاجَه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ، بَعَثَ اللهُ بَعْثًا مِنَ الْمَوَالِي، هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُ سِلَاحًا، يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ»(١).

(١١٧) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اطَّلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غُرْفَةٍ، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ -فَذَكَرَ- الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ»، بَدَلَ «وَنُزُولَ عِيسَى»(٤).

(١١٨) وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(٥).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»؛ تطردهم إلى الشام، أرض المحشر هي الشام.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٠).
(٢) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٩٠١).
(٣) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٩٠١).
(٤) أخرجه مسلم (٤١) (٢٩٠١).
(٥) أخرجه مسلم (١٢٨) (٢٩٤١).

(١١٩) وَلَهُ: عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(١).

(١٢٠) وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(٢).

(١٢١) وَلَهُ: عَنْ أَبِي زُرْعَةَ -وَذَكَرَ قولَ مروانَ عَنِ الْآيَاتِ-: أَوَّلَهَا خُرُوجًا الدَّجَّالُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ يَقُلْ مَرْوَانُ شَيْئًا، قَدْ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا، لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»(٣).

(١٢٢) قَالَ: وَلِلتِّرْمِذِيِّ: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إن بِالمَغْرِبِ بَابًا مفتوحًا لِلتَّوْبَةِ، مَسِيرَةَ سَبْعِينَ سَنَةً، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ»، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٠) (٢٩٤٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩) (١٥٨).
(٣) أخرجه مسلم (١١٨) (٢٩٤١).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٣٦).

(١٢٣) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»؛ يعني: كون الإنسان يشتغل بالعبادة في الهرج -يعني: وقت الفتن بين المسلمين-، الذي يتجنبها، ويشتغل بالعبادة، يكون كالمهاجر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا فيه فضل العمل الصالح في وقت الفتن، وأن الإنسان لا يدخل فيها، ويشتغل بالعبادة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**»، هذه الآيات الكبار، ينتهي قبول الإيمان والتوبة، فلا تقبل التوبة، ولا ينفع الإيمان، الذي يأتي بعدها؛ ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨]، أما إذا لم تكن آمنت إلا بعد طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع هذا، ولا يقبل، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾؛ يأتي -سبحانه- للفصل بين العباد إتيانًا يليق بجلاله -سبحانه-.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، وهذه هي طلوع الشمس من مغربها.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؛ يعني طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣) (٢٧٠٣).

﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨]؛ لأنه يغلق باب التوبة، إذا ظهرت الشمس من مغربها، يغلق باب التوبة، ظهرت الدابة، الدابة تسم الناس؛ تكتب على المسلم مسلم، تكتب على الكافر كافر، ولا يتوب من الكفار أحد، ولا تقبل توبته حينئذ، فيتابع المسلم والكافر؛ يقول المسلم: يا كافر، ويقول الكافر: يا مسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَذَكَرَ قَولَ مَروَانَ عَنِ الْآيَاتِ)؛ هذه الآيات الكبار: أولها خروج الدجال.

قوله: (فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: لَمْ يَقُلْ مَرْوَانُ شَيْئًا، قَدْ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ)؛ عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى»**؛ خروج الدابة، خروج الشمس من مغربها، هاتان الآيتان إذا وقعتا، انتهى قبول التوبة، وانتهى قبول الإيمان.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن بِالمَغْرِبِ بَابًا مفتوحًا لِلتَّوْبَةِ، مَسِيرَةَ سَبْعِينَ سَنَةً، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ»**، هذا يوافق ما سبق؛ أنه إذا طلعت الشمس من مغربها، لا تقبل التوبة.



بَابٌ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الدُّخَانُ

(١٢٤) وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخَانًا مَلأَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، يَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَومًا. أمّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ منه شبْهُ الزُّكَام، وأمّا الْكَافِرُ فَيَكُون بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ، يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ أَنْفِهِ ومَنْخرِهِ وعَيْنَيه وأُذُنِيهِ وَدُبرِهِ»[١].

(١٢٥) وَلأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ -أَوِ الْبُصَيْرَةُ- فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا، وَكِلَاءَهَا، وَسُوقَهَا، وَبَابَ أُمَرَائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»[٢].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنّ مِنْ أَشْرَاطِ السّاعَةِ دُخَانًا مَلأَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، يَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يومًا»، هذا الدخان الذي يخرج في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة، والدخان المذكور في سورة الدخان -والله أعلم-؛ أنه أصاب قريشًا من الجدب، حتى ينظروا إلى السماء، فكأن بينهم وبينها دخان؛ من شدة الجدب: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الدُّخان: ١٠].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٩)، والبغوي (٤/ ١٧٦)، والقرطبي (١٦/ ١٣١)، وابن كثير (٧/ ٢٤٨)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٠٧).

قوله ﷺ: «**أمّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ منه شبْهُ الزُّكَامِ**»؛ من هذا الدخان، الذي يحدث في آخر الزمان، ولا يضره.

قوله ﷺ: «**وأمّا الْكَافِرُ فَيَكوُن بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ، يَخْرجُ الدُّخَانُ مِنْ أَنْفِهِ ومَنْخَرِهِ وعَيْنَيه وأُذُنِيهِ وَدُبرِهِ**»؛ يؤثر على الكفار، ولا يؤثر على المؤمنين، لكن يصيبهم شيء مثل الزكام خفيف.

قوله ﷺ: «**يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ - أَوِ الْبُصَيْرَةُ - فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا، وَكِلَاءَهَا، وَسُوقَهَا، وَبَابَ أُمَرَائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**»، هذا في آخر الزمان، والله أعلم.



بَابُ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ

من علامات الساعة الكبار: خروج الدجال، وفتنة المسيح الدجال، وهي فتنة عظيمة، حذر منها الرسول ﷺ، وحذر منها الأنبياء من قبله؛ ما من نبي إلا وحذر أمته الدجال، وأكثرهم تحذيرًا هو نبينا محمد ﷺ؛ لأنه آخر الأنبياء، ولأن الدجال يخرج في أمته.

المسيح الدجال، قيل: سمي بالمسيح؛ لأنه أعور ممسوح العين، وقيل: سمي المسيح؛ لأنه يمسح الأرض بسرعة، سريع السير في الأرض.

وهو مسيح الضلالة؛ فرقًا بينه وبين المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسيح الهداية.

سمي عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمسيح، قالوا: لأنه يمسح على ذي العاهة، فيبرأ -بإذن الله-، وهو مسيح الهداية.

والدجال سمي الدجال من الدجل، وهو الكذب؛ لأنه كذاب فيما يأتيه وما يدعيه، وأعظم دجله أنه يدعي الربوبية، وأنه هو الله -تعالى الله عن ذلك-، ومعه خوارق للعادة، وهي خوارق شيطانية؛ فيأمر الأرض، فتخرج كنوزها، ويأمر السحاب، فيمطر، ويأمر الأرض، فتنبت، والله أقدره على ذلك؛ من أجل الفتنة؛ أن يفتتن الناس به. ومعه جنة ونار فيما يظهر للناس، ومعه فتن كثيرة -نسأل الله العافية-، ولهذا يشرع لنا الاستعاذة من المسيح الدجال، شرع لنا في آخر الصلاة -فريضة أو نافلة- أن نستعيذ بالله من أربع:

من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والمهات، ومن فتنة المسيح الدجال[١].

والمسيح الدجال يحصل منه فتن عظيمة، يأتي ذكرها في الأحاديث التي معكم، وفي آخر أمره ينزل المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء، فيطلبه؛ يطلب المسيح الدجال، فيقتله، ويريح الناس من شره.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

(١٢٦) وَلِمُسْلِمٍ: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ

الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً،

فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[(١)].

هذا الحديث فيه تفاصيل أمر الدجال، وما يحدث في عهده من الفتن، ونشرحه جملة جملة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ»، ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدجال ذات يوم -أو ذات غداة-، ذكره لأصحابه، وذكر خروجه، وذكر صفاته، وذكر ما يحدث على يده من الفتن، وذلك لأجل التحذير منه ومن فتنته؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناصح لأمته، لم يترك شيئًا يقربها إلى الله، إلا بينه، ولم يترك شيئًا يباعد من الله، إلا بينه لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك هذا الحديث الطويل في وصف المسيح الدجال، وما ينتهي إليه أمره على يد مسيح الهداية عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم في آخره ظهور يأجوج ومأجوج، وهذا مذكور في القرآن: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٦].

هذا الحديث في صحيح مسلم، وفيه عجائب من قصص الدجال والتحذير منه.

حدث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بذلك، وأطال الحديث، وبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى وقع في قلوبهم الخوف، لما حدثهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧).

خافوا على أنفسهم، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر لهم ذلك قام من مجلسه، ثم الصحابة أخذهم الخوف الشديد؛ يخشون أنه قد ظهر في طائفة النخل -يعني: بناحية النخل قريبًا منهم-، ظنوا هذا؛ لأنهم يصدقون خبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يشكون فيه، فخافوا من الدجال خوفًا شديدًا.

ثم جاءهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذكروا له ذلك، لما رأى فيهم التأثر، سألهم، فأخبروه أنهم تأثروا بذكر الدجال وفتنته، وهكذا المسلم يخاف، يتذكر إذا ذُكِّرَ، ويخاف إذا خُوِّف، فهم من شدة إيمانهم بخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظنوا أن الدجال قد حضر.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه إن يظهر والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجود، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون حجيجه، وأما إن ظهر بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يستخلف الله على أمته؛ «**اللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**».

فالله يكون خليفة يخلف عبده المؤمن في ولده وفي أهله، إذا غاب وسافر، ولهذا في دعاء السفر: «**وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**»(١)؛ تحفظهم وترعاهم، فالله خليفة، وليس هناك خليفة لله عَزَّوَجَلَّ، لا يقال: خليفة الله؛ فالله ليس له خليفة، وأما قوله تعالى عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فمعناه: أنه يخلف من قبله من الأمم التي قبله على وجه الأرض، يخلفهم؛ الناس يخلف بعضهم بعضًا؛ لما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥]، يخلف بعضهم بعضًا، وأما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا يستخلف أحدًا من خلقه بدلًا عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٨٩).

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا»؛ عرف ذلك في وجوهم من الخوف.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟»؛ سألهم: ما الذي أثر فيكم؟

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ»؛ يعني: سبب الخوف هو ما ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه؛ من خروج الدجال، وصفاته، وشدة فتنته، وأنه يهلك به خلق كثير بسبب فتنته، هذا الذي خوفهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ»؛ يعني: هناك فتن غير الدجال شديدة، يخافها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»؛ يعني: خصمه، إن يخرج والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيكم، فإنه يكون خصمه، ويجادله، ويرد شبهاته، ويبطل ما جاء به.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»؛ إن يخرج والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس في أمته، فالمرء حجيج نفسه، كلٌّ يخاصم عن نفسه، ويدافع عن نفسه، والله يؤيده.

الله جَلَّ وَعَلَا يؤيد المؤمن: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قوله ﷺ: «**إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ**»؛ يعني: صفته أنه شاب، ليس كبير السن.

قوله ﷺ: «**عَيْنُهُ طَافِئَةٌ**»؛ علامته الفارقة أنه أعور، ولذلك يقال: الأعور الدجال، عينه طافئة ممسوحة وغائرة -قبحه الله-!

قوله ﷺ: «**كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ**»؛ واحد من العرب يشبه الدجال في صفته.

قوله ﷺ: «**فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**»؛ من أدرك ظهوره وخروجه، فليقرأ فواتح -يعني: أول- سورة الكهف؛ الآيات الأولى منها؛ فإنها تدفع شبهات الدجال، يعني: يتخذها المسلم حرزًا، وحصنًا، ووردًا، يدفع به شر الدجال، أول هذه السورة العظيمة، سورة الكهف.

قوله ﷺ: «**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ**»؛ يعني: مكان خروجه بين الشام والعراق، هذا طريقه الذي يأتي منه إلى الناس، نسأل الله العافية!

قوله ﷺ: «**فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالا**»؛ يعني: أنه يسير في الأرض يمينًا وشمالًا؛ أعطاه الله القدرة على السير في الأرض بسرعة.

قوله ﷺ: «**يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**»، هذا حث من الرسول ﷺ على الثبات على الحق والتمسك بالدين؛ لأن الفتنة شديدة عند خروج الدجال، ولا يثبت على دينه إلا من ثبته الله، وكان عنده صبر، وعنده

علم، وعنده معرفة بشرِّ هذا الدجال، أما عامة الناس وكثير من الناس، فإنهم يتأثرون، ويفتنون بهذا الدجال، نسأل الله العافية!

قوله: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟»؛ يعني: ما مدة بقائه في الأرض، إذا ظهر، كم يبقى في الأرض؟

«قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا»؛ أربعون يومًا، ولكن هذه الأيام متفاوتة؛ منها ما هو طويل، ومنها ما هو متوسط، ومنها ما هو كسائر أيامنا قصير.

قوله ﷺ: «يَوْمٌ كَسَنَةٍ»؛ يوم في الطول كسنة؛ يعني: يمكن اليوم لما يكون اثنتي عشرة ساعة -مثلًا- يمتد، ويكون كسنة، كطول السنة اثني عشر شهرًا، وهذا من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، والله على كل شيء قدير.

قوله ﷺ: «وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ»، ويوم آخر يكون كشهر، ثلاثين يومًا، يوم كثلاثين يومًا، ويكون اليوم الأول كثلاثمائة وستين يومًا؛ سنة.

قوله ﷺ: «وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ»؛ كأسبوع يعني، يوم كأسبوع، اليوم الثالث كأسبوع.

قوله ﷺ: «وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»؛ كأيامنا اثني عشر ساعة تقريبًا، أو أقل، أو أكثر. هذه الأيام متفاوتة.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»؛ هذه فائدة عظيمة: اليوم الذي كسنة -اثني عشر شهرًا- كله نهار، كيف يصلي الناس الصلوات الخمس التي فرضها الله في اليوم والليلة؟

قال: اقدروا له، قدِّروا هذه السنة أيامًا، فمقدار اليوم الواحد منها صلوا فيه الخمس الصلوات، وهذا أخذ منه العلماء الآن كيفية صلاة الذين هم في الشمال والجنوب، في الشمال الذين يأتي عليهم ستة أشهر نهار، أليس كذلك؟ ستة أشهر نهار، كيف يصلون؟

قال العلماء: تجعل مثل أيام الدجال؛ يقدرون كل يوم من هذه المدة الطويلة، ويصلون فيه خمس الصلوات بالتقدير.

هناك بلاد الآن التي يسمونها الإسكندنافية، التي يطول فيها النهار، فيبلغ نصف السنة، كيف يصلون؟

استنبطوا من حديث الدجال أنهم يقدرون الأيام فيها اثني عشر ساعة، يصلون خمس الصلوات؛ اثني عشر ساعة كاملة، كذلك إلى أن تنفد هذه الأيام، فهم استفادوا من هذا الحديث.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟»؛ يعني: مدة سيره، كثير سيره، سريع جدًا.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ»؛ مثل: السحاب إذا حملته الريح، ترون السحاب إذا حملته الريح يمشي سريعًا، كذلك الدجال يسرع في الأرض، لا يبقى في مكان طويلًا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ**»، هذه مشكلة، هذه مصيبة، هذه فتنة؛ يأتي على قوم، فيدعوهم إلى الإيمان به؛ فمن آمن به، انفتحت عليه الدنيا والأموال، ومن لم يؤمن به، ابتلاه بالبطر

والضيق؛ امتحان من الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأجل أن يتبين المؤمن الصادق في إيمانه من المنافق الكاذب في إيمانه ومن ضعيف الإيمان.

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

الله يجري هذه الفتن -فتنة الدجال وغيرها-؛ ليتبين المؤمن الثابت على إيمانه من المنافق من ضعيف الإيمان، يتميز هذا من هذا.

الله قادر على أن يقتل الدجال في لحظة، وينهي أمره، ولكنه يريد أن يبتلي به العباد، ويمتحن به العباد، وهكذا الفتن، ليست خاصة بالدجال، كل الفتن التي تجري على الناس هي ابتلاء وامتحان لمن يثبت على الدين الصحيح، ويصبر، ومن يتخلى عن دينه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ**»، هذا من الامتحان، فمن آمن به، أغدق الله عليه من النعم، الدجال يأمر السماء تمطر، وهذا بأمر الله جَلَّ وَعَلَا، الله هو الذي ينزل الغيث، ولكنه يُجري على يد الدجال هذه الخوارق؛ ليبتلي بها الناس، وإلا فالأمر راجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولو شاء ربك، لمات الدجال عليها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ**»، يأمر السماء، فتمطر، على أثر المطر يأمر الأرض، فتنبت؛ لأنه إن لم ينزل المطر، فلا يحصل نبات؛ لأن الله لم يأذن للنبات، الله أعطى الدجال هذه الفتنة؛ أنه يأمر الأرض، فتنبت، الله

أجرى هذا على يد الدجال؛ ابتلاء وامتحانًا، والأمر راجع إلى الله، لا للمسيح الدجال.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا»؛ تغدق الأموال، وتسمن الدواب، وتدر اللبن الكثير، هذا ابتلاء وامتحان من الله عَزَّوَجَلَّ، ليس بقدرة الدجال، هذا بقدرة الله، ولكن الله أجرى هذا على يد المسيح الدجال؛ لأجل الابتلاء والامتحان، لأجل أن يغتروا به، ويظنوا أن هذا بتدبير الدجال وقدرة الدجال.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ»؛ يعني: تغدق اللبن والحليب وتسمن.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ»؛ يأتي الدجال القوم الآخرين، فيثبتون على دينهم، ولا يتبعون الدجال؛ لقوة إيمانهم وصبرهم ويقينهم بالله عَزَّوَجَلَّ، ويعلمون أن هذه فتنة، وليست بقدرة الدجال، ولا بملك الدجال، وإنما هي فتنة من الله.

والله يجري خوارق العادات، يجريها على أيدي الأشرار من السحرة والكهان والدجالين، ويجريها على يد الأخيار، فتكون كرامة، كرامة الأولياء خوارق، ويجريها على أيدي الأنبياء، فتكون معجزات للأنبياء.

فهذه الخوارق للعادات إن كانت على يد نبي، فهي معجزة، وإن كانت على يد ولي، فهي كرامة، وإن كانت على يد شيطان أو فاجر، فهي ابتلاء وامتحان.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ»؛ يعني: إذا لم يؤمنوا به، تركهم، وهذا من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن من الابتلاء أنهم تحصل عليهم مصائب في الفقر وفي الحاجة، لكنهم لا يتزحزحون عن إيمانهم وعن دينهم؛ لأنهم يعلمون أن هذا ابتلاء وامتحان من الله عَزَّ وَجَلَّ، والشدائد لا تدوم: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦].

هذا جرى على الأنبياء: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ»؛ يفتقرون، ولكن لا يضرهم هذا، ولا يزحزحهم عن دينهم، بل يصبرون، ويعلمون أن هذا سيزول بإذن الله، المسلم يصبر على الشدائد، ويثبت على دينه، والفرج قريب، ولا ييأس، ولا يقنط.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ»؛ الخربة: يعني البلد الذي كان عامرًا، فيخرب بموت أهله وهلاكهم، ومن العادة أنه يكون فيها كنوز هذه الخربات؛ لأن هؤلاء القوم يكتنزون ما معهم من الذهب والفضة؛ لأجل أن يأمنوا عليه من السرقة والأخذ، هذه عادة.

فهو يأتي على الخربة، ويقول لها: أخرجي كنوزك -يعني: ما دُفِنَ فيكِ بعد أهلك-، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل؛ جمع: يعسوب.

ترون النحل يمشي يعاسيب بعضها خلف بعض، يتبع ملكة النحل، هذا يسمى اليعسوب.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ**»؛ تتبع الدجال كنوز هذه الخربات -ما دُفِنَ فيها-؛ ابتلاء وامتحان من الله عَزَّ وَجَلَّ للناس، وإلا هو عبدٌ ضعيف، وليس بيده شيء، ولا بقدرته شيء، وإنما هذا بقدرة الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يَدْعُو رَجُلا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ**»، مما يجري على يد المسيح الدجال من الكذب والتجهيل على الناس أنه يتراءى لهم أنه يقتل الشخص، ويفصل رأسه، ثم يدعوه، فيقوم حيًا؛ كأن لم يصبه شيء، وهذا من تمام الفتنة والتجهيل والكذب؛ لأن معه من السحر ومن الشياطين ما يتمكن به من الكيد لبني آدم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**»، فبينما هو كذلك مستمرًا في فتنه وشعوذاته، جاء الله بالفرج، ونزل المسيح ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماء.

المسيح عيسى بن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر أنبياء بني إسرائيل، وبعده نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبينهما فترة ستمائة سنة أو أكثر، بين الرسولين ستمائة سنة أو أزيد، ليس فيها نبي، فانقطعت النبوة في هذه الفترة، وأصبح العالم في بلاء ومحنة وظلام دامس، تستشري الجاهلية بشرها، ويظهر الشرك، ويظهر البغي والعدوان، ثم إن الله بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الرسل.

والمسيح عيسى بن مريم سمي ابن مريم؛ نسبة إلى أمه؛ لأن ليس له أب، خلقه الله جَلَّوَعَلَا بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧]، فلذلك يسمى كلمة الله وروح منه، روح من الأرواح التي خلقها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، يرسل بها الملك، فيلقيها في مريم عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ، فتحمل بعيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ولذلك يقال: عيسى بن مريم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

ومريم ابنة عمران، وعمران هذا من صالح بني إسرائيل ومن عبادهم، ومن ذريته عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وابن خالته يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ؛ نبيان كريمان، ابنا خالة.

ولهذا قال الله جَلَّوَعَلَا في وصف يحيى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾؛ كلمة: عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ؛ لأن الله خلقه بكلمة بدون أب: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٣٩].

فأراد اليهود أن يقتلوا عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ؛ لأنهم يقتلون الأنبياء -كما ذكر الله عنهم-، فأرادوا أن يقتلوا عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وتآمروا عليه، وجاؤوا ليقتلوه في مكانه، دخلوا عليه، ولم يبق إلا أن ينفذوا القتل، فألقى الله شبه عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ على رجل منهم، جاء يدلهم على مكان عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، يقال: إنه من الحواريين -يعني: من أتباع عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-، ولكنه خانه، فألقى الله شبهه على هذا الرجل الخائن، فقتلوه، وصلبوه؛ يظنون أنه عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، لكن عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ رفعه الله من بينهم، وهم لا يشعرون، رفعه الله إلى السماء حيًا بروحه وبدنه، لم يمسسه سوء.

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥]، والوفاة هذه ليست وفاة الموت، وإنما هي وفاة من جنس النوم: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ [الأنعام:٦٠]؛ يعني: في النهار.

فالنوم يسمى وفاة؛ لأنها تُقبض روحه -روح النائم-، لكنه قبضٌ ليس مثل قبض الوفاة -الموت-، هو قبض خاص.

﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾؛ يعني: وفاة مثل وفاة النوم.

﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾: يرفعه الله إلى السماء.

هذا فيه دليل على علو الله جَلَّوَعَلَا فوق سماواته؛ لأن الرافع لا يكون إلا إلى أعلى؛ ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾.

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾، الله جَلَّوَعَلَا رفعه حيًّا سالمًا، لم يمسسه سوء، وبقي في السماء حيًا، إلى أن ينزل في آخر الزمان.

ونزوله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من علامات الساعة، نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى، ينزل ليقتل الدجال، هذا في آخر الزمان، ينزل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مع الملائكة قبل صلاة الفجر، والمسلمون مجتمعون ليصلوا صلاة الفجر، والذي يؤمهم هو المهدي، الذي يبعث أو يخرج في آخر الزمان، يحكم بالشريعة، ويقود المسلمين في الجهاد.

المهدي من ذرية الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، اسمه محمد بن عبد الله المهدي، فتحضر الصلاة، فيطلب المهدي من عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أن يؤم الناس، فيأبى، ويقول إمامكم منكم، فيصلي بهم المهدي كالعادة، وخلفه المسيح عيسى بن مريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ونزول عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ هذا متواتر في الكتاب والسنة، وهو من علامات الساعة؛ قال جَلَّوَعَلَا عن عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١]؛ يعني: نزوله من علامات الساعة.

وفي قراءة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[١]؛ عَلَمٌ يعني: علامة على قرب قيام الساعة، فنزوله من علامات الساعة.

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء:١٥٩]؛ يعني: ما من أحد من أهل الكتاب -اليهود والنصارى-، ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]، دل على أنه لم يمت إلى الآن، وأنه سيموت في آخر الزمان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كغيره من بني آدم.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، إن بمعنى «ما»؛ أي: ما من أحد من أهل الكتاب ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]؛ قبل موت عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

وهو عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إذا نزل، يكسر الصليب الذي يعبده النصارى، ويضع الجزية، ولا يبقى إلا دين الإسلام، الذي جاء به محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيحكم

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٤٠٠)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٥٨١)، وبصائر ذوي التمييز (٦/ ١١٢).

بشريعة الإسلام، ويكون تابعًا لمحمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يعتبر من المجددين لدين محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فيطلب الدجال؛ ليقتله، فيدركه عند باب لد، واللد من فلسطين، الآن يسمى اللد، أليس كذلك؟!

اللد مكان في فلسطين، يطلب الدجال، فيدركه عند باب لد، فيقتله، ويريح المسلمين من شره، ويكون عيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ هو الحاكم بشريعة محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

هذا دل على نزوله القرآن والسنة المتواترة عن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ**»[1]، أخبر صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن نزوله، والأحاديث متواترة في نزوله، فلا ينكر نزوله إلا ملحد، الذين ينكرون الأشياء التي لا توافق عقولهم، وليس عندهم علم، وكل ما خالف عقولهم وإدراكهم نفوه وكذبوه؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩]، هذه طريقة أهل الضلال؛ أن الذي لا يحيطون بعلمه يكذبونه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، لم يأت تفسيره؛ لأن تفسير بعض الأشياء يتأخر؛ ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٧]، يتأخر تأويل بعض الأمور -تفسيرها- إلى ما شاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

المهم أن هذه طريقة أهل الضلال؛ أنهم ينكرون نزول المسيح عَلَيْهِالسَّلَامُ، ويقولون: نزوله يعني انتصار الحق في آخر الزمان، يسمي نزول المسيح

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

انتصار الحق، بدون من يقوم به، كيف ينتصر الحق بدون من يقوم به وينفذه، وهو المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! هذا تأويلهم لنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقولون: عبارة عن انتصار الحق.

الدجال ينكرونه -أيضًا-، يقولون: ليس هناك دجال حقيقي، وإنما هذا عبارة عن ظهور الشر في آخر الزمان، إذًا ما سبب ظهور الشر؟ سببه الدجال، هل هناك شيء بدون سبب؟! ليس هناك شيء بدون سبب.

فهذا مذهب الملاحدة والعقلانيين ومن سار في ركابهم؛ ينكرون ما لم تدركه عقولهم القاصرة، ويكذبون الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ويصدقون عقولهم وأوهامهم.

فيقتل الدجال، وتنتهي مشكلته على يد عيسى بن مريم، ينتهي شر مسيح الضلالة على يد مسيح الهداية عيسى بن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»**؛ ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، في المكان الذي يصلي فيه المسلمون صلاة الفجر، فيحضر معهم صلاة الفجر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ»**؛ صفة نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه ينزل مع الملائكة -عليهم الصلاة والسلام-.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ**»، إذا نزل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينهي كل كافر؛ لأنه لا يبقى إلا الإسلام، الكفر ينتهي بجميع أشكاله؛ كفر اليهود، والنصارى، والوثنيين، كله ينتهي، ولا يبقى إلا الإسلام بقيادة عيسى بن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا من علامات الساعة التي نؤمن بها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ**»، كل من شم نفس عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكفار يموت، ونفسه يمتد عَلَيْهِ السَّلَامُ منتهى طرفه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ**»، يطلب المسيح حتى يدركه عند باب لد، واللد من فلسطين باق بهذا الاسم إلى الآن، هو الآن في قبضة قبضة اليهود من جملة أراضي فلسطين، التي استولى عليها اليهود.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ**»، عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي قومًا من المسلمين قد عصمهم الله من الدجال، فلم يؤثر عليهم في فتنته، بل صبروا على الحق، وإذا نزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ينتصرون على يده.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ**»، عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يطمئن هؤلاء المسلمين، الذين ثبتوا، ولم يتأثروا بفتنة المسيح، يهنئهم، ويبشرهم، ويبين درجاتهم في الجنة، يبشرهم بذلك، هذا نتيجة الصبر والثبات على الدين، وأن الكرب والشدة لهما نهاية، ويأتي الفرج بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ**»، هؤلاء يأجوج ومأجوج، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عِبَادًا لِي**»، ليسوا عن عبادة؛ لأنهم كفار، ولكن كل الناس عباد لله عَزَّ وَجَلَّ المؤمن والكفار؛ العبودية العامة.

العبودية على قسمين:

عبودية خاصة: وهي عبودية المؤمنين، الذين يعبدون الله وحده لاشريك له.

وعبودية عامة: يدخل فيها المؤمن والكافر؛ لأن الكافر عبدٌ لله، تجري عليه المقادير والأحكام القدرية، فهو تحت سلطة الله عَزَّ وَجَلَّ، وتجري عليه أحكامه القدرية، وإن كان كافرًا، أما العبودية الخاصة، فهذه خاصة بالمسلمين.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ**»، يخبره الله بظهور قوم لا يدان -أي: لا قوة لأحد بقتالهم-، وهم يأجوج ومأجوج، لا قوة لأحد بقتالهم؛ جند غاشم، فيأمر الله المسيح عيسى بن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحرز المسلمين إلى الطور.

والطور: هو الجبل، الطور في اللغة هو الجبل؛ أي جبل يسمى الطور، ولكن المراد به هنا: طور سيناء، يعتصمون به من شر يأجوج ومأجوج.

ثم ينتشرون في الأرض يأجوج ومأجوج، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٦]، هذا

في القرآن، خروجهم ذكره الله في القرآن، وجاء في الأحاديث الصحيحة عن خروجهم.

ويأجوج ومأجوج بشر من بني آدم، ولهذا في وقت ذي القرنين الملك العادل، لما سار في الأرض، وبلغ مطلع الشمس ومغرب الشمس فيطلبون منه أن يبني سدًّا بينهم وبين يأجوج ومأجوج؛ يمنع يأجوج ومأجوج عن عباد الله، فيبني هذا السد؛ ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾؛ يعني: مالًا، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾؛ يعني: لست بحاجة إلى المال؛ عندي ما يكفي.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ [الكهف:٩٤-٩٥]، لست بحاجة إلى الإعانة بالمال، لكن الإعانة بالأبدان نعم.

﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥]؛ يسمى ردمًا، ويسمى سدًّا.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: السد ليس سهلًا.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف:٩٦]؛ يعني: بين الجبلين، ساوى بينهما بالسد.

﴿قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦]؛ أي: على هذا الحديد.

﴿قِطْرًا﴾، القطر: النحاس، يفرغ عليه قطرًا؛ لأجل أن يلتحم ويتشابك.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف:٩٦].

الآن انتهى السد، وحال بينهم وبين يأجوج ومأجوج؛ فلايستطيعون صعوده؛ لأنهم في الأسفل، ولا يستطيعون نقبًا حتى يخرقوه.

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ [الكهف:٩٨]؛ يعني: في آخر الزمان، وأراد الله ظهور يأجوج ومأجوج..

﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾؛ ينهدم، فيخرجون على الناس بالوعد الذي أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من علامات الساعة.

فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من المسلمين يلجؤون إلى جبل الطور، ويتحصنون به، وتضيق بهم الأرض جدًّا، يحصر المسلمون من هذا الجند الغاشم، ولا يمرون على بحيرة إلا شربوها، ولا يتركون شيئًا؛ يعيثون في الأرض فسادًا.

فبينما هم كذلك، أنزل الله عليهم الوباء، أنزل الله عليهم المرض والوباء، فماتوا عن آخرهم، فيبعث المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ رجلًا يخاطر بنفسه، يبعثه ليطلع ماذا انتهى إليه الأمر، فيأتي هذا الرجل، فيجد أن يأجوج ومأجوج كلهم ماتوا وهلكوا، فيرجع، ويبشر المسلمين بذلك، ويأتي الفرج بعد الشدة، فيخرجون من حصارهم.

ولكن تبقى جثثهم في الأرض تنتن، فيبعث الله طيورًا تحملهم وتبعدهم عن المسلمين، ويطهر الله الأرض منهم ومن رائحتهم وجيفهم، والحمد لله.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»؛ كما في القرآن. ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦].

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ»، بحيرة طبرية معروفة، بحيرة كبيرة مملوءة بالماء، يشربونها، ولا يبقى فيها ماء، فيمر الناس يتساءلون: ألم يكن هنا بحر؟ فلا يجدون هناك شيئًا، فيقولون: لقد كان في هذا المكان ماء.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ»، يحصر، وتضيق بهم الحال، وينفد ما عندهم من الطعام، حتى رأس الثور يبلغ قيمته الدراهم الكثيرة؛ لغلاء المؤنة وقلة الأقوات؛ بسبب الحصار الذي أصابهم، وانقطاع الإمداد عنهم.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ»؛ يرغبون إلى الله يعني: يطلبون من الله الفرج من هذه الشدة وهذا الحصار.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ»؛ مرض يسمى النغف، يصيب رقاب يأجوج ومأجوج، فيموتون عن آخرهم، والله على كل شيء قدير.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»، يموتون جميعًا في وقت واحد.

قوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ**»؛ ينزلون من الحصار -من الجبل- إلى الأرض، وينبسطون فيها؛ لأن الله فرج لهم.

قوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ**»؛ يعني: جيفهم.

قوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ**»؛ يطلبون من الله مرة ثانية -الذي قتلهم- أن يبعد جثثهم عن المسلمين، وهكذا المسلمون كلما اشتد بهم الأمر، أين يذهبون؟ يلجئون إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ**»، البخت: هي الإبل المشرقية، البخت والبخاتي هي الإبل المشرقية؛ البعير الواحد له سنمان، خلاف الإبل العربية، تطرحهم بعيدًا حيث شاء الله، الله أعلم أين تلقيهم.

قوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا**»، وكذلك إذا نقلت جثثهم، يرسل الله مطرًا يطهر الأرض من بقايا ذلك.

قوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ**»؛ يعني: مطرًا لا تمنعه السقوف، ولا يمنعه شيء، ينزل. والمدر: هو الحجارة؛ لأن البيوت على قسمين: منها ما يبنى بالحجارة، ومنها ما يبنى بالشعر والخيام وبيوت الشعر ووبر الإبل يعني.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ**»؛ يغسل الأرض بعد يأجوج ومأجوج؛ يطهرها.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ**»؛ يأمر الله الأرض، فتنزل البركة، بعد الجوع وبعد الشدة يأتي الله بالفرج؛ تتوسع الأرزاق، كان رأس الثور يساوي كذا وكذا من الفقر، الآن ينزل الله المطر، ويأذن للأرض أن تنبت، وتنتشر الثمار والمحاصيل والأرزاق.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ**»، الرمانة الواحدة تكفي عصابة؛ يعني: جماعة، العصابة: الجماعة -وأيضًا البطيخ، الذي يسمى الحبحب يتضخم عندهم-، حتى يستظل الجماعة بِقِحْفِ الرمانة.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا**»، قحفها يعني: قشر الرمان يستظل به الجماعة من الناس؛ من سعته وعظمه، بركة؛ إذا أراد الله البركة، نزلت.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ**»، يبارك الله جَلَّ وَعَلَا في الألبان من الإبل والغنم، حتى إن اللقحة الواحدة من الإبل تكفي الفئام؛ يعني: جماعات من الناس.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ**»، أعظمها الإبل؛ أكثر لبنًا، ثم البقر، ثم الغنم.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً»، بينما هم كذلك يرسل الله ريحًا طيبة، فتقبض أرواح المؤمنين؛ لأن الساعة قربت، ولا يبقى إلا الكفار، لا يبقى في الأرض إلا الكفار، تقوم عليهم الساعة: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»[1]، هؤلاء شرار الناس -والعياذ بالله-، يزعمون أن هذا دين وهذا عبادة، وهم شرار الناس.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ»، تنفذ في المسلمين تحت آباطهم، فتقبض أرواحهم؛ لأنها انتهت الدنيا، فيقبض الله أهل الإيمان قبل قيام الساعة، لا تقوم الساعة -كما في الحديث[2]- وفي الأرض من يقول: الله، الله. كفار كلهم -والعياذ بالله-، لا يعرفون الله.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ»، شرار الناس؛ «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ».

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ»؛ يعني: لا يترفعون عن الفواحش وعن الزنا واللواط، أشر من البهائم.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»، فعلى هؤلاء الأشرار تقوم الساعة، نسأل الله العافية!



---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٩٤)، والبزار (٥/ ١٣٦)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٤٨): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ».

(١٢٧) **وَفِي رِوَايَةٍ بَعْدَ قَوْلِهِ: «لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ -ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا»**[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ - ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ»**، جبل الخمر؛ لأنه ينبت العنب، ويتخذ من العنب الخمر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»**، هؤلاء يأجوج ومأجوج تغرهم قوتهم، يقولون: قتلنا بني آدم في الأرض، ونريد أن نقتل من في السماء، فيطلقون سهامهم إلى السماء، فترجع عليها دم؛ للفتنة، فيقولون قتلنا من في السماء، هكذا ابن آدم إذا طغى، فإنه لا حد لطغيانه، يريدون أن يقتلوا الملائكة ويقتلوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ»**؛ يعني: سهامهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا»**، يردها الله عليهم مخضوبة دمًا، فيفرحون، ويقولون: قتلنا من في السماء.



---

(١) أخرجه مسلم (١١١) (٢٩٣٧).

(١٢٨) وَلَهُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا، قَالَ: «يَأْتِي، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ -أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ-، فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ. قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»[1].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ»، أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الدجال -لعنه الله- لا يدخل المدينة النبوية، ولا يدخل مكة؛ منعه الله من ذلك، وأن على حدود المدينة وحدود مكة ملائكة يحرسونها، فلا يدخلها، ولكنه ينظر إليها من بعد، ولكن المدينة ترجف، ترتجف، فيخرج منها كل منافق، ولا يبقى فيها إلا أهل الإيمان والصدق.

فيخرج إليه شاب من صالح المسلمين في المدينة، فيقول له: أنت الدجال الكذاب. فيريد أن يروج على من حوله، فيقول: أقتل هذا، ثم أحييه -كما عنده من التجهيل والسحر والشر-، فيرى الناس أنه قتله، ثم يقول له:

---

(١) أخرجه مسلم (١١٢) (٢٩٣٨).

قم. فيقوم سويًا، هذا من شدة الفتنة التي تأتي مع الدجال؛ أنه يتراءى للناس أنه يحيي ويميت، هذا من شدة الفتنة.

ثم يقول له: قم. فيقوم سليمًا، فيقول: أتؤمن بي؟ فيقول: لا. أنت الدجال الكذاب، فيقتله مرة ثانية فيما يظهر للناس، ثم يأمره، فيقوم، يقول له: قم، فيقوم، فيقول: أتؤمن بي؟ فيقول: لا. أنت الدجال الكذاب، ثم يريد أن يقتله المرة الثالثة، فلا يمكن من ذلك، لا يمكنه الله من هذه الشعوذة وهذا السحر، يكذبه هذا الغلام وهذا الشاب المسلم، فيسمه أمام الناس، ويقول له: أنت الدجال الكذاب.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ -أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ-، فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَدِيثَهُ**»، يقول الغلام إذا أحياه بزعمه: لم أ زد بك إلا بصيرة. يعني: لم يؤثر عليَّ هذا الدجل، وأنت كذاب، تأكد عندي أنك الدجال الكذاب، ولم أزد بك إلا بصيرة في أمرك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ. قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ**»، يأتي يريد أن يكرر قتله وإحياءه بزعمه، فيعصمه الله من الدجال، ولا يتسلط عليه، ويظهر بذلك كذب الدجال.



(١٢٩) وَلَهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ -مَسَالِحُ الدَّجَّالِ-، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ، فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[1].

قوله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»؛ قبله يعني: يخرج من المدينة.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٣) (٢٩٣٨).

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ -مَسَالِحُ الدَّجَّالِ-، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟**»، الذين لا يعتقدون أنه المسيح الدجال يعتقدونه ربًّا، فيريدون أن يقتلوا هذا الذي خرج من المدينة قبل أن يأتي خبره إلى الدجال، فيمنع بعضهم بعضًا، فيقولون: لانقتله دون الدجال.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، يمنعه الله من قتله في النهاية، يمنع الله الدجال من قتل هذا المؤمن، فيبطل سحره ودجله وكيده أمام هذا المؤمن.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ**»؛ لأن معه صورة النار كأنها صورة الجنة؛ من تمام كذبه، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار، فيأخذ هذا الرجل إذا عجز عنه، فيقذفه في النار التي معه، وهو إنما قذفه في الجنة.

قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»، هذا الرجل المؤمن -الذي وقف أمام الدجال، وأظهر كذبه- أعظم شهيد عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١٣٠) وَلَهُ: عَنِ المُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ، قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ»[(١)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَيْ بُنَيَّ»[(٢)].

(١٣١) وَلَهُ: عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا- لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ -لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا-، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ، فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ، لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ»، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤) (٢٩٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦) (٢٩٤٠).

فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا، وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ -نُعْمَانُ الشَّاكُّ-، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»(١).

قوله ﷺ: «**وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ**»، قال للمغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لماذا تكثر السؤال عن الدجال؟ ليس لك حاجة في هذا؛ لأنه لا يضرك.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ، قَالَ: **هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ**»، هو أهون على الله من أن يجعل معه أنهارًا حقيقية، إنما هذا من التجهيل والكذب.

«عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ»؛ زعيم أهل الطائف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم، وقُتِلَ شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتله قومه لما أسلم.

قوله ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ** -لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا-، **فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦) (٢٩٤٠).

كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ»، هذا كما سبق أن عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل إلى الأرض، ويطلب الدجال، فيقتله، يقتل الدجال في باب لُدٍّ -كما سبق[1]-، فيستريح المسلمون من شره، وتكون الولاية بيد نبي الله عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويحكم بالإسلام بدين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا يأتي نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ**»، هذا كما سبق؛ أنهم يمكثون مع عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ سنين، ويطيب العيش، ويسود العدل بينهم، وتنزع البغضاء من بينهم، ثم إن الله إذا أذن في نهاية هذه الدنيا، يرسل ريحًا طيبة، فتقبض روح كل مؤمن، ولا يبقى بعدها إلا شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ**»، بعد هذه الريح وقبض أرواح المؤمنين لا يبقى على وجه الأرض من في قلبه مثقال ذرة من خير وإيمان، بل هم شرار الناس، ولا يبقى في الأرض من يقول: الله، الله. هذه الريح تقبض أرواح المؤمنين.

قوله: «حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، هذه الريح تدخل على الناس في أي مكان، حتى لو أنه اختفى في كهف جبل، دخلت عليه هذه الريح، وقبضت روحه بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) سبق (ص ٢٩٩).

قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا**»، يبقون كعبدة الأصنام بأمر الشيطان -لعنه الله-، تعود عبادة الأصنام، ومع هذا ينعم الله عليهم، ثم تأتي النفخة الأكبر -نفخة الصور، نفخة الفزع-؛ لأن الصحيح أن النفخات تصير ثلاثًا: نفخة الفزع، ثم بعدها نفخة الموت، ثم بعدها نفخة البعث.

قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل:٨٧]، هذه نفخة الفزع.

ثم يأمر الله إسرافيل، فينفخ في الصور المرة الثانية، فتقبض أرواح الأحياء، ولا يبقى إلا من يخاف الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الزمر:٦٨]، هذه النفخة الثانية.

النفخة الأولى التي تسمى نفخة الفزع هذه مذكورة في سورة النمل، وأما النفختان الثانية والثالثة -نفخة الموت، ونفخة القيام-، فهاتان مذكورتان في سورة الزمر:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾؛ يعني: مات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر:٦٨]، نفخ فيه إسرافيل أخرى، فقامت الأرواح التي في الصور إلى أجسادها.

﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[الزمر:٦٨-٦٩]، يأتي الله جَلَّوَعَلَا. ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠].

فيأتي الله جَلَّوَعَلَا لفصل القضاء بين عباده، يأتي بما يليق بجلاله -سبحانه-، ويأتي مجيئًا يليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كسائر صفاته، تشرق الأرض بنوره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هذه نفخات الصور.

البعض يقول: لا، ليس هناك إلا نفختان في الزمر: نفخة الموت، والنفخة الثانية نفخة البعث، ليس هناك إلا هاتان النفختان، ولكن الصحيح أن هناك النفخة الأولى -نفخة الفزع- في سورة النمل، يقولون: إن نفخة الفزع هي نفخة الموت، هي نفخة واحدة، تسمى نفخة الفزع ونفخة قبض الأرواح، والله أعلم.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ**»، أول من يسمع النفخ في الصور رجل له إبل، يلوط حوضها؛ يعني: يهيئ حوض الصرف الذي يفرغ فيه الماء الكدر، هذا دليل على أن الناس صار عندهم أموال، وعندهم مواشٍ عند قيام الساعة.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ**»؛ يعني: يموتون؛ ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٦٨].

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ -نُعْمَانُ الشَّاكُّ- فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا**

هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»؛ بعد النفخة الأولى نفخة الصعق والموت ينزل الله مطرًا من السماء، تنبت منه أجسامهم، تتكامل أجسامهم، إلا أنه لا أرواح فيها، يقولون: حتى لو مررت على الرجل، وأنت تعرفه في الدنيا، لقلت هذا فلان، يعود كما كان خلقه، وجسمه، وشبهه، يعود كما كان، إلا أنهم لاأرواح فيها.

ثم يأمر إسرافيل، فينفخ في الصور النفخة الثانية؛ نفخة البعث، تتطاير الأرواح؛ كل روح إلى جسمها، فعند ذلك يسيرون أحياء: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾؛ يعني: من القبور، ﴿سِرَاعًا﴾؛ يمشون إلى من؟ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣]؛ يمشون إلى المحشر.

قوله ﷺ: **«ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»**؛ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]: يقفون في المحشر، ويحاسبون.

قوله ﷺ: **«ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»**، يقول الله لآدم عليه السلام: أخرج بعث أهل النار -أي: أهل النار- من ذريتك، فيقول: من كم يا رب؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين، كلهم إلى النار؛ واحد إلى الجنة، واحد من الألف يكون إلى الجنة، والبقية إلى النار، أكثر الناس في النار -والعياذ بالله.

قوله: **«قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا»** ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ﴾؛ يعني: الأطفال ﴿شِيبًا﴾ [المزمل:١٧]: يشيبون، وهم صغار؛ من شدة الهول.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»؛ يعني: الشدة، المراد بالساق هنا الشدة؛ وكشفت الحرب عن ساقها(١).

وليس المراد ساق الله جَلَّ وَعَلَا، هذا في الحديث يكشف ساقه فيعرفه كل مؤمن، هذا في الحديث الصحيح ثابت لله عَزَّ وَجَلَّ(٢).

وأما لفظ الساق في الآية، فإنه عبارة عن شدة الهول، يقال في اللغة: كشفت الحرب عن ساقها؛ يعني: اشتدت.

ولهذا لم يضفه الله إلى نفسه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]، أليس كذلك؟! لم يقل: يكشف عن ساقه، الساق التي في الآية غير الساق التي في الحديث الصحيح، هكذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

وهناك من يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]. المراد به الساق لله عَزَّ وَجَلَّ. ولكن هذا فيه نظر.



(١) انظر: غريب القرآن للسجستاني (١/ ١١٣)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٤٣٦)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٤٩٦)، ودقائق التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٤٨٢).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٩١٩): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا».

(٣) انظر: دقائق التفسير (٢/ ٤٨٢)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤).

قِصَّةُ الْجَسَّاسَةِ

(١٣٢) وَلَهُ: فِي حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: «فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ؛ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ، فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ؛ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا، فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ

الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ، وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ؛ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً -أَوْ وَاحِدًا- مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ؛ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ،

لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

قولها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»؛ أراد أن يهتموا، وأن ينبههم لما سيلقي إليهم؛ حتى يهتموا بذلك.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**»، هذا فيه تعليم طريقة السؤال والجواب؛ ليكون أدعى للانتباه.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ**»؛ يعني: طمع.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا لِرَهْبَةٍ**»؛ يعني: لخوف أنه سيحدث، ولكن هو أراد أن يبلغهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جاء به تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن معه من خبر غريب.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ**»، تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان نصرانيًّا من أهل الشام، ثم أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأبوه رقية تميم بن أوس الداري؛ نسبة إلى البلدة في الشام يقال لها: الدار، وحسن إسلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ**»، كان هذا حديث الجساسة؛ مكملًا لخبر الدجال، والجساسة سيأتي بيانها.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٩) (٢٩٤٢).

قوله ﷺ: «حَدَّثَني أَنَّه رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِم الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ»، كانوا يركبون السفن الشراعية؛ لم تكن موجودة البواخر والسفن الحديثة، إنما كانوا يركبون سفنًا شراعية تسير بالهواء، تسير تبعًا للهواء أينما توجهت بها الرياح، فإذا توقف الهواء، توقفت السفينة.

كانوا ثلاثين رجلًا من لخم وجذام؛ يعني: قبيلتين.

قوله ﷺ: «ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ»، الموج اضطرب بهم، العادة أن الأمواج تضطرب، وأحيانًا يهلكون، وأحيانًا ينجون، هذا شيء معروف من حالة البحر: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء:٦٧].

كانوا في الجاهلية يدعون الأصنام والأحجار والأشجار في حالة الرخاء، أما إذا اشتد بهم الأمر، وجاءهم الموج من كل مكان: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ فرحوا بذلك؛ الريح الطيبة توافق سير السفينة، وتحصل السلامة.

لكن لما تغيرت الرياح؛ ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: الريح الطيبة جاءتها ريح عاصف، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ﴾؛ منه الريح، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: أحاطت بهم الأمواج، وقعوا في خطر شديد من كل مكان.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ﴾؛ أي: أيقنوا، ظنوا هنا بمعنى: أيقنوا.

﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾؛ سيهلكون لا محالة.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس:٢٢]: اخلصوا الدعاء لله، ولم يدعوا الأصنام والأشجار والأحجار؛ لعلمهم أنها لا تنقذهم من هذا الخطر، ولا تقدر على ذلك، إنما الذي ينقذهم هو الله جَلَّ وَعَلَا.

يخلصون لله في الشدة، والله يستجيب لهم:

أولًا: من واسع رحمته -سبحانه-.

وثانيًا: لأنهم أخلصوا له الدعاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ [النمل:٦٢]، الله يجيب المضطر، ولو كان كافرًا، الله يجيب المضطر إذا دعاه، ولو كان كافرًا.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾، انتكسوا -والعياذ بالله- وعادوا إلى شركهم، ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

هذه حالة أهل الجاهلية؛ أنهم إنما يدعون في الرخاء غير الله، وإذا وقعوا في الشدة، أخلصوا الدعاء لله؛ لعلمهم أنه لا يستجيب الدعاء لهم في هذه الحالة إلا الله.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]؛ ليس هناك أحد يجيب المضطر إذا دعاه، إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لكن عبدة القبور والأضرحة والأولياء والصالحين؛ في حالة المسلمين الذين تغيرت عقائدهم، وتحولوا إلى عبادة غير الله، إذا وقعوا في شدة، زاد شركهم، صاروا ينادون الأولياء والصالحين، يستنجدون بهم في الشدة، فهم

صاروا أسوأ حالًا من المشركين الأولين؛ لأن هؤلاء شركهم دائم في الرخاء والشدة، أما أهل الجاهلية، فشركهم إنما هو في الرخاء، وأما في حال الشدة، فيخلصون لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ**»، شهر، فترة شهر وهم يلعب بهم الموج، خطر عظيم، مدة طويلة وهم في خطر، هذا تميم بن أوس الداري ومن معه، الثلاثون الذين معه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ**»، أرفئوا: يعني توقفوا عند جزيرة في البحر، رست سفينتهم عند هذه الجزيرة؛ لأن البحر له جزائر يشبه المحيطات؛ فيه جزر كبيرة وصغيرة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ**»؛ لما دخلوا هذه الجزيرة، لقيتهم دابة من الدواب التي تسير في الأرض، ليست إنسانًا ولا حيوانًا معروفًا، وإنما هي دابة غريبة الشكل، ليست مثل الدواب المألوفة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ**»؛ مكسوة الشعر، لا يعرفون رأسها من عقبها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟**»؛ تنطق، تتكلم بإذن الله.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ**»؛ يعني: الدجال؛ لأنه كان محصورًا في هذا

المكان، هذه الجزيرة، كان مكبلًا في هذه الجزيرة، وهو يتحسس الأخبار عن المسلمين؛ عن محمد وأصحابه.

قوله ﷺ: «**قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا**»؛ يعني: خافوا «**مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً**»، الدابة هذه لما أخبرتهم عن وجود هذا الرجل، خافوا أن تكون هذه الدابة شيطانًا؛ لأن الشياطين يتصورون في صور الدواب والحيوانات.

قوله ﷺ: «**قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا**»؛ موثوق، مكبل بالأغلال.

قوله ﷺ: «**مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا**»؛ اغتلم يعني: اشتد.

قوله ﷺ: «**فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ**»، يسألهم عن أشياء في جزيرة العرب، إذا خرج، سيمر بها؛ بيسان قرية بالشام.

قوله ﷺ: «**قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ**»؛ يعني: النخل كثير الماء عنده، ولذلك صار نخلًا حيًّا، لو لم يكن عنده ماء، مات؛ يعني: سيأتي عليه وقت يصاب، ولا يثمر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ»**؛ في المستقبل يعني.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟»**؛ يعني: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة:٢].

والأمي: هو الذي لا يقرأ، ولا يكتب، لا يقرأ الكتابة، ولا يكتب بالقلم، يسمى أميًّا؛ لأنه بقي على حالته ووجوده يوم تلده أمه، لا يقرأ، ولايكتب، وهذا شأن العرب؛ أميون في الغالب، قل منهم من يقرأ ويكتب.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أميًّا لا يقرأ، ولا يكتب، وهذه من حكمة الله؛ لأنه لو كان يقرأ ويكتب، لقال الناس: هذا الذي جاء به هذا قرأه في الكتب؛ أخبار الأولين.

لما جاءهم بهذا الكتاب العظيم -القرآن-، بهرهم كيف أمي لا يقرأ ولا يكتب، وجاء بكتاب أعجز البلغاء والفصحاء؟!

كتاب يشتمل على علوم عظيمة، لا يعلمها إلا الله، لا يمكن أن يحصل عليها إنسان بالقراءة والكتابة، إلا أنها وحي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه أمي لا يقرأ، ولا يكتب، ومع هذا جاء بكتاب أعجز الأمم في علومه، في بلاغته، في لغته، في الأخبار الماضية والمستقبلة، في أحكامه وتشريعاته، هذه معجزة، ولذلك القرآن هو المعجزة الخالدة لهذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن تقوم الساعة.

قوله ﷺ: «قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ»؛ يعني: هاجر، ضايقه أهل مكة، بُعِثَ ﷺ في مكة، ودعا إلى التوحيد، وبقي في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو الناس، يقتصر على الدعوة فقط إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام.

ولم يؤمر بالجهاد، ولم تنزل عليه الفرائض، إنما كان يدعو إلى التوحيد فقط، فآمن به من آمن من السابقين الأولين من المهاجرين، وضايقه أهل مكة؛ الذي ليس قبيلة يعذبونه، ويقتلونه، ويضايقونه، والذي له قبيلة تحميه قبيلته.

عند ذلك أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة الأولى إلى الحبشة عند النجاشي، كان ملكًا من ملوك النصارى على دين النصرانية، لكنه رجل عادل؛ قال ﷺ: «لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ»[1].

فأمرهم بالهجرة إليه -إلى الحبشة-، فاستقبلهم النجاشي، وأكرمهم، وحماهم، وآمن به ﷺ، وأسلم، لما سمع القرآن، وسألهم عن هذا الرسول، وماذا يأمر به، وماذا ينهى عنه، تيقن أنه الرسول؛ لأنه من علماء أهل الكتاب، وأهل الكتاب يعرفون بعثة هذا الرسول ﷺ، يعرفون صفاته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، فآمن النجاشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في سيرته (١/ ١٧٤)، وابن هشام في سيرته (١/ ٣٢١)، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات (٣/ ٥٣).

ثم قيل لهم: إن أهل مكة قد أسلموا، جاءهم خبر أن أهل مكة قد أسلموا، فعادوا؛ لأنهم يحبون وطنهم، فعادوا إلى مكة.

لما عادوا إلى مكة، وجدوها أسوأ مما كانت، وأن هذا الخبر ليس بصحيح، والتضييق لا يزال على أهل الإسلام، فهاجروا مرة ثانية الهجرة الثانية إلى الحبشة، ثم جاؤوا بعد ذلك في غزوة تبوك، لما انتصر الإسلام، وفتحت مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، جاؤوا من الحبشة.

وأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة؛ لأن الأنصار كان يقال: لهم الأوس والخزرج، لا يقال لهم: الأنصار، الأوس والخزرج، وكان بينهم وبين اليهود عداوة في المدينة.

اليهود كانوا مستوطنين في المدينة بجوار الأوس والخزرج، كان بينهم عداء، وكان بينهم شحناء.

لكن اليهود كانوا يهددون الأوس والخزرج، يقولون: سيبعث نبي، ونكون معكم نقتلكم -يعنون الأوس والخزرج-، ويصفون هذا النبي بصفاته للأوس والخزرج، ويتوعدون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:٨٩]، كان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج المشركين؛ أننا سنتبع هذا الرسول، ونقتلكم، فوقع ذلك في أنفس الأوس والخزرج.

فلما جاؤوا للحج على العادة، وكان العرب ينزلون منازل في منى، وكل قبيلة لها منزل، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي إلى هذه المنازل، ويدعو إلى الإسلام،

وَيُضَايَق ﷺ؛ منهم من يقبل، والأكثر لا يقبل دعوته ﷺ، لكن كان يعرض نفسه على القبائل؛ يطلب منهم أن يؤوه؛ ليبين رسالة ربه، فصادف أجزاء من منازل الأوس والخزرج عند جمرة العقبة، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم قرآن، تأملوا، وقالوا: هذا الذي تتهددكم به يهود، فلايسبقوكم إليه، فأسلموا، وبايعوا رسول الله ﷺ البيعة الأولى.

ثم رجعوا إلى بلادهم يدعون إلى الله، يدعون إلى الإسلام، فأسلم الكثير من أهل المدينة، ثم جاؤوا في العام القادم أكثر من الذين بايعوا البيعة الأولى، وبايعوا الرسول ﷺ على أن يهاجر إليهم، وأن يحموه من أذى الكفار والمشركين.

الرسول ﷺ عاهدهم على الهجرة، ثم أذن لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، كانت في الأول تسمى يثرب، هذا اسمها في الجاهلية، قيل: لأنها فيها الحمى، فهي تثرب أهلها بالحمى، وقيل: يثرب اسم الذي أسسها، الذي أسس المدينة رجل يقال له: يثرب، سميت باسمه.

الرسول ﷺ سماها المدينة بدل يثرب؛ لأن هذا الاسم يثرب غير مرغوب فيه، سماها النبي ﷺ بالمدينة، وسمى الأوس والخزرج بالأنصار.

وفي النهاية هاجر الرسول ﷺ، ولحق بأصحابه إلى المدينة، واستقر فيها ﷺ، ونزلت عليه الفرائض، نزل عليه الصيام والزكاة وفرائض الإسلام والحج، لما استقر بالمدينة، وفُرِضَ الجهاد، وقد كان ممنوعًا

في مكة، ثم فرض في المدينة، لما قوي المسلمون، وصار لهم دولة، فرض عليهم الجهاد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، ونشر الإسلام بعد الدعوة إلى الله: أولًا: الدعوة إلى الله، ثم الجهاد، من لم يقبل الدعوة، يُجاهَد، هذا هو حاصل الخبر في المدينة وأهلها.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟**»؛ يسأل الدجال: أقاتله العرب؟ يعني: هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم، هل قاتله العرب؟ قالوا: نعم، قاتله العرب.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ**»، قد ظهر على من يليه: القريبون منه من العرب ظهر عليهم؛ يعني: انتصر عليهم.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ**»، الدجال الكاذب يقول: ذلك خير لهم، اعترف أن اتباع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير لهم إن أطاعوه.

قوله: «**وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِي**»، انتهى من سؤاله، وسيجيبهم عنه حقيقة.

قوله: «**إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»؛ كما سبق في خبر الدجال.

قوله: «**غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ**»، أما مكة وطيبة، فلا يدخلهما؛ تحرسهما الملائكة على حدودهما، ولكن المنافقين يخرجون إليه من المدينة، يخرجون إليه -والعياذ بالله-.

قوله: «فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً -أَوْ وَاحِدًا- مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا»؛ صلتًا يعني: مسلولًا.

قوله: «يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، هذا تعليق من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الخبر.

قولها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ»؛ المخصرة: العصا القصيرة في يده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ضرب بها على المنبر.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ- يَعْنِي الْمَدِينَةَ-»، هذه هي البلد؛ يعني: طيبة، اسمها طيبة بدل من اسمها يثرب، طيبة وطابة.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ»، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أعجبني حديث تيمم الداري عن الجساسة وعن الدجال؛ لأنه وافق الذي حدثتكم عن الدجال. الذي قرأناه في الحديث السابق.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ»، وعن المدينة ومكة؛ الله يحميها من الدجال.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ»؛ يعني: الدجال.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ**»، يقول: الدجال يأتي من قبل المشرق -أعاذنا الله وإياكم والمسلمين من شره-!

قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قالت الراوية فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: حفظت هذا الخبر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الجساسة حين ألقاه على المنبر، ولم تحفظه عن أحد غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١٣٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(١).

وَفِي لَفْظٍ: «فَيَأْتِي سِبْخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ»(٢).

(١٣٤) وَلَهُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»(٣).

الدجال من يهود المشرق، أصبهان هي بلد المعروف من بلاد فارس.

والطيالسة: لباس اليهود.



---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (١٢٣) (٢٩٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٤) (٢٩٤٤).

(١٣٥) وَلَهُ: عَنْ أُمِّ شُرَيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»(١).

(١٣٦) وَلَهُ: عَنْ عِمْرَانَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»(٢).

(١٣٧) وَلَهُ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ بَعْدَ الْحُرُوفِ: «أَيْ: كَافِرٌ»(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ: «ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ»(٥).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍ إِلَّا وَقَد أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ»؛ يعني: الدجال أعور، ليس له إلا عين واحدة، والعين الأخرى مطموسة، وهو يدعي أنه الله، الدجال يدعي أنه هو الله، نسأل الله العافية!

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) (٢٩٤٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٢٦) (٢٩٤٦).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم -واللفظ له- (١٠١) (٢٩٣٣).
(٤) أخرجه مسلم (١٠٢) (٢٩٣٣).
(٥) أخرجه مسلم (١٠٣) (٢٩٣٣).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، هذا فيه وصف الله جَلَّ وَعَلَا أن له عينين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس بأعور، ولكنهما عينان تليقان بجلاله؛ من صفات الذات.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر**»؛ كافر، مكتوب عليه حروف مقطعة: كاف، فاء، راء؛ يعني: كافر.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ**»؛ يعني: ولو كان عاميًا يقرأ هذه الكتابة على جبين الدجال: كافر.



(١٣٨) وَلَهُ: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ»[١].

(١٣٩) وَلَهُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»[٢].

(١٤٠) وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»[٣].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ»؛ يعني: يخيل للناس أن معه جنة ونار؛ فتنة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤) (٢٩٣٤).
(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) (٢٩٣٤).
(٣) أخرجه مسلم (١٠٩) (٢٩٣٦).

وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ»، الذي يتراءى للناس أنه نار هو ماء بارد، والذي يتراءى للناس أنه ماء بارد هو النار؛ يعني: على العكس.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ»، ولذلك سمي بالمسيح، المسيح بمعنى ممسوح، مطموسة عينيه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيرِ كَاتِبٍ»؛ يقرؤها العوام.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»؛ يعني: ليست جنة حقيقة، ولا نار حقيقة، لكنها مثل.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»، أول من أنذر به قومه أول الرسل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآخرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١٤١) وَلَهُ: عَنْ نَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»[1].

(١٤٢) وَلَهُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَول ابْنُ صَيَّادٍ لَهُ: أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ يَهُودِيٌّ»، وَقَدْ أَسْلَمْتُ ... إلخ[2].

(١٤٣) وَلَهُ: قَولُ حَفْصَةَ لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ»[3].

قوله: «أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي»، اتهموا ابن صياد أنه هو الدجال، يقول: لا، لا ينطبق علي وصف الدجال؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الدجال لا يولد له، وأنا يولد لي.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ»، وابن صياد دخل المدينة، ودخل مكة.

قوله: «أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ. وَقَدْ أَسْلَمْتُ»، في رواية: «إِنَّهُ يَهُودِيٌّ»، وأنا مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠) (١٦٩).
(٢) أخرجه مسلم (٨٩، ٩٠) (٢٩٢٧).
(٣) أخرجه مسلم (٩٩) (٢٩٣٢).

(١٤٤) وَلَهُ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»[٢].

(١٤٥) وَلَهُ: عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الصَّحَابَةِ مَرْفُوعًا: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»[٣].

(١٤٦) وَلَـهُ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ، فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[٤].

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»، رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[٥].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»؛ من أدركه، يقرأ عليه أوائل سورة الكهف؛ عشر آيات.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»، وفي رواية ثانية: يقرأ عليه من آخر الكهف، المهم أنه يقرأ عليه عشر آيات من أول الكهف، أو من آخر الكهف.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧) (٨٠٩): عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

(٢) أخرجها مسلم (٨٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (٧٩) (٢٩٢١).

(٥) أخرجها مسلم (٨٢) (٢٩٢٢).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»**، الله جَلَّ وَعَلَا لا يُرى في الدنيا، لا يراه أحد في الدنيا، وأما في الآخرة، فيراه المؤمنون خاصة؛ إكرامًا لهم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ، فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»**، هذا في آخر الزمان أن المسلمين ينتصرون على اليهود، هذه بشرى للمسلمين، لكن تحتاج إلى إيمان، وتحتاج إلى صبر، وتحتاج إلى قوة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»**، شجر الغرقد لا يخبر عن اليهود الذين خلفه؛ لأنه من شجر اليهود.



(١٤٧) وَقَالَ ابْنُ مَاجَه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ السَّيْبَانِيِّ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ، وَحَذَّرَنَاهُ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ، فَيَعِيثُ يَمِينًا وَيَعِيثُ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا، فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ، فَلْيَسْتَغِثْ بِاللهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ، اتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقْتُلَهَا، وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولَ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ اللهُ، وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ:**

مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللهِ، أَنْتَ الدَّجَّالُ، وَاللهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ».

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيُّ: فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ**». قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللهِ مَا كُنَّا نُرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ». قَالَ الْمُحَارِبِيُّ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُونَهُ، فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ، فَيَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ، مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمَهُ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا، وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً، حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ، خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ»، فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى**

يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً، لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً، السَّنَةُ كَنِصْفِ السَّنَةِ، وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ، يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا الْآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقِصَارِ؟ قَالَ: «تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الطِّوَالِ، ثُمَّ صَلُّوا»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ، فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى

يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ، وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ؟ قَالَ: «لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا»، قِيلَ لَهُ: فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ؟ قَالَ: «تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا، وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ، فِي الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُقْطِرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ، فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ، إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ»، قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ: «التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ»، قَالَ ابْنُ مَاجَه: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيَّ، يَقُولُ: (يَنْبَغِي أَنْ يُدْفَعَ هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى الْمُؤَدِّبِ، حَتَّى يُعَلِّمَهُ الصِّبْيَانَ فِي الْكُتَّابِ)[1].



(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧).

بَابُ نُزُولِ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١٤٨) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيَنْزِلَنَّ ابن مريم حكمًا عادلًا، فَلَيَكسرَنَّ الصّليبَ، ولَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، ولَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، ولَيَتْرُكَنَّ الْقَلَائِصَ، فَلَا يُسْعَى عَلَيهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ والتَّحَاسُدُ، ولَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ، فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»**[١].

(١٤٩) وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟»**[٢].

(١٥٠) وفي رواية: **«فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ»**[٣].

قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: (تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟)، قُلْتُ: تُخْبِرُنِي، قَالَ: (فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٤].

(١٥١) وَلِأَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَخْرج الدَّجَّالُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُه، ثُمّ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَربَعِيْن سَنَةً إِمَامًا عَادِلًا، حكمًا مُقْسِطًا»**[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٣) (١٥٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤) (١٥٥).
(٣) أخرجها مسلم (٢٤٦) (١٥٥).
(٤) صحيح مسلم (٢٤٦) (١٥٥).
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤١/ ١٥- ١٦)، ولفظه: عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَضْرَمِيُّ بْنُ لَاحِقٍ، أَنَّ ذَكْوَانَ أَبَا صَالِحٍ، أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِي: «مَا يُبْكِيكِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتُ =

(١٥٢) وَلَهُ: فِي الزُّهْدِ: عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «يَلْبَثُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ، لَو يَقُولُ لِلْبَطْحَاءِ: سِيرِي عَسَلًا لَكَانَتْ»[1].

(١٥٣) وَلِلْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**بَيْنَ أُذُنَي الدَّجَّالِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا**»[2]، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «**وَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُهُ، فَيُمَتَّعُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَارْعَوَا، وَتَمُرُّ الْمَاشِيَةُ بَيْنَ الزَّرْعَيْنِ، لَا تَأْكُلُ مِنْهُ سُنْبُلَةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَّاتُ وَالْعَقَارِبُ لَا تُؤْذِي أَحَدًا، وَالسِّبَاعُ عَلَى أَبْوَابِ الدُّورِ، لَا يُؤْذُونَ أَحَدًا. وَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْمُدَّ الْقَمْحَ، فَيَبْذُرُهُ بِلَا حَرْثٍ، فَيَجِيءُ مِنْهُ سَبْعُمِائَةُ مُدٍّ**»[3]، **فَيَمْكُثُونَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يُكْسَرُ سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَيَمْرَحُونَ وَيُفْسِدُونَ، فَيَبْعَثُ اللهُ**

=الدَّجَّالَ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَيَنْزِلَ نَاحِيَتَهَا، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ، فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا حَتَّى الشَّامِ مَدِينَةٍ بِفِلَسْطِينَ بِبَابِ لُدٍّ، وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ مَرَّةً: حَتَّى يَأْتِيَ فِلَسْطِينَ بَابَ لُدٍّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا**».

(١) لم أجده عند أحمد في الزهد، ووجدته عند نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٨٠): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**يَلْبَثُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَوْ قَالَ لِلْبَطْحَاءِ: سِيلِي عَسَلًا، لَسَالَتْ عَسَلًا**».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ في المستدرك، والذي في المستدرك (٤/ ٥٧٥)، عَنْ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا...».

(٣) الحديث إلى هذه الجملة موجود عند نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٧٩) مع تفاوت قريب في الألفاظ.

دَابَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ، فَتَدْخُلُ فِي آذَانِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى أَجْمَعِينَ. وتَنْتُنُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ، فَيُؤْذُونَ النَّاسَ بِنَتَنِهِمْ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِاللهِ، فَيَبْعَثُ اللهُ رِيحًا يَمَانِيَةً غَبْرَاءَ، وَتَكْشِفُ مَا بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ، وَقَدْ قَذَفَتْ جِيَفَهُمْ فِي الْبَحْرِ[1]، وَلَا يَلْبَثُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[2].

(١٥٤) وَلَهُ فِيهِ -أَيْضًا- فِي الْمُخْتَارَةِ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلهِ رِيحًا يَبْعَثُهَا عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ»[3].

(١٥٥) وَلِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ: «هَلْ تَعْرِفُ أرضًا فيكم كثيرة السِّباخ، يُقَالُ لَهَا: كُوثَي. قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْهَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ لِلْأَشْرَارِ بَعْدَ الْأَخْيَارِ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، لَا يَدْرِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَتَى يَدْخُلُ أَوَّلُهَا؟»[4].

وَقَالَ: ثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «يَبْقَى النَّاسُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ سِنَةٍ»[5].

---

(١) الحديث إلى هذه الجملة موجود عند نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٩٤) مع تفاوت في الألفاظ.

(٢) الحديث إلى هذه الجملة موجود عند نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٥٤): عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَلْبَثُونَ بَعْدَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا...».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٠٦).

(١٥٦) وَقَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيدٍ: نَا يَزِيدُ بْنُ هَرُونَ، نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ: سَمِعْتُ أَبَا خَيْثَمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «يَبْقَى النَّاسُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ»[١].

(١٥٧) وَلِأَبِي نُعَيمٍ: عَنْ عَبْسَةَ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ الْعَرَبُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»[٢].

وَلِلْحَاكِمِ: عَنْ بُرَيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: مَعْنَاهُ[٣].



(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٥٦، ٢/ ٧٠٢).
(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٩٩).
(٣) لم أجده.

بَابٌ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ

(١٥٨) وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبْلُغُ الْمَسَاكِنُ إِهَابَ. أو يَهَابَ»[١].

قَالَ زُهَيْرٌ: قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: فَكَمْ ذَلِكَ مِنَ المَدِينَةِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا مِيلا[٢].

(١٥٩) وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْمُسْلِمُون أَنْ يُحَاصَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدَ مَسَالِحِهِمْ سَلَاحُ»[٣].

قال الزُّهَرِيُّ: وَسَلَاحٌ قَرِيبٌ مِنْ خَيْبَرَ[٤].

(١٦٠) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي -يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ-، ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا»[٥].

(١٦١) وَرَوَى عُمَرُ بْنُ مُنَبِّه عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْوَلِيدِ ابْنِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيرِ، عَنْ جَابِرٍ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣) (٢٩٠٣).

(٢) صحيح مسلم (٤٣) (٢٩٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٥٠، ٤٢٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٥١).

(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

ﷺ يقول: «يَخْرُجُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْهَا، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيهَا، فَيَعْمُرُونَهَا حَتَّى تَمْتَلِئَ، ثُمَّ يَخرُجُونَ مِنْهَا، فَلَا يَعُودُونَ إِلَيهَا أَبَدًا»(١).

وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوَهُ(٢).

(١٦٢) وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَكُونَنَّ بِالْمَدِينَةِ مَلْحَمَةٌ يُقَالُ لَهَا: الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ حَالِقَةَ الشَّعَرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ، فَاخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَوْ عَلَى قَدْرِ بَرِيدٍ»(٣).

(١٦٣) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»(٤).

(١٦٤) وَلَهُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»(٥).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١/ ٣٥٠-٣٥١): عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَخْرُجُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْهَا ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا فَلَا يَعْمُرُونَهَا أَبَدًا»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ عُمَرَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَا عَنْ غَيْرِ عُمَرَ بِهَذَا اللَّفْظِ مِنْ وَجْهٍ صَحِيحٍ، وَابْنُ لَهِيعَةَ فَقَدِ احْتَمَلَ النَّاسُ حَدِيثَهُ مِثْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَابْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الثِّقَاتِ.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه مسلم (٥٤) (١٥٧).

(٥) أخرجه البخاري (١٥٩١، ١٥٩٦)، ومسلم (٥٧) (٢٩٠٩).

(١٦٥) وَلِلْبُخَارِيِّ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا»[١].

(١٦٦) وَقَالَ أَبُو عُبَيدٍ: ثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَرُونَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ حَفْصَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ قبل أن يُحَالَ بَيْنَكُم وَبَيْنَه، وكَأَنِّي برجلٍ من الْحَبَشَةِ أَصْعَل، أَصْحَم، حَمِشَ السَّاقَيْن. قَاعِدٍ عَلَيْهَا وَهِيَ تُهْدَمُ»[٢].

قَالَ الْأَصْمَعِي: (قَوْله: «أصعل» هَكَذَا يروى، فَأَما فِي كَلَام الْعَرَب، فَهُوَ «صَعْلٌ» بِغَيْرِ أَلِفٍ، وَهُوَ الصَّغِيرِ الرَّأْسِ)[٣].

(١٦٧) وَلِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَأَنِّي يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَحِلُّ هَذَا الْبَيْتَ أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ثُمَّ يَجِيءُ الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»[٤].

(١٦٨) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٥).

(٢) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٣٤٦).

(٣) انظر غريب الحديث (٤/ ٣٤٧)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٤٥٤).

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده (٤/ ١٢٧) بدون لفظة «كَأَنِّي»، وكذا أخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٢٨٩، ٤٧٤، ١٤/ ٩٢، ٢٦٧)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٩٩).

أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ. ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ حَثْيًا، وَلَا يَعُدُّهُ عَدًّا**»[١].

قِيلَ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَا: لا[٢].

(١٦٩) وَلَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَجَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ، وَلَا يَعُدُّهُ**»[٣].



(١) أخرجه مسلم (٦٧) (٢٩١٣)، مع تفاوت بسيط في الألفاظ.
(٢) ذكره مسلم بعد الحديث السابق.
(٣) أخرجه مسلم (٦٩) (٢٩١٤).

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَهْدِيِّ

(١٧٠) ولأبِي دَاوُدَ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، وَيُبعَثُ إِلَيهِ بعث جَيْشٍ مِنَ الشَّامِ، يُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ، وَعَصَائِبُ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ، ثُمَّ يُنْشَرُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ المَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُلْقِي الإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ إِلَى الأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ»(١).

(١٧١) وَذَكَرَ ابْنُ شَبَّةَ عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا حَمَّادُ ابْنُ سَلَمَةَ، ثَنَا أَبُو المُهَزِّمِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَجِيءُ جَيْشٌ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ حَتَّى يَدْخُلَ المَدِينَةَ، فَيُقَاتِلِ المُقَاتِلَةَ، وَيَبْقِرُونَ بُطُونَ النِّسَاءِ، وَيَقُولُونَ لِلْحُبْلَى فِي الْبَطْنِ: اقْتُلُوا صافَة السُّوءِ. فَإِذَا عَلَوَا الْبَيْدَاءَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ خُسِفَ بِهِمْ، فَلَا يُدْرِكُ أَسْفَلُهُمْ أَعْلَاهُمْ، وَلَا أَعْلَاهُمْ أَسْفَلَهُمْ». قَالَ أَبُو المُهَزِّمِ: فَلَمَّا جَاءَ جَيْشُ حُبَيْشِ بْنِ دُلْجَةَ، قُلْنَا: هُمْ، فَلَمْ يَكُونُوا هُمْ(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٦).

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٢٧٩، ٣٠٩).

(١٧٢) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَسُئِلَتْ عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَعُوذُ بِالْبَيْتِ عَائِذٌ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»**. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: **«يُخْسَفُ بِهِمْ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»**[١].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ: إِنَّمَا قَالَتْ: بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ. فَقَالَ: كَلَّا، وَاللهِ إِنَّهَا لَبَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ[٢].

(١٧٣) وَلِأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ، وإِلَّا فَتِسْعٌ. تَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ، تُؤْتِي أُكُلَهَا، وَلَا تَتْرُكُ مِنْهُ شَيئًا. وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ، يَقُومُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ خُذْ»**[٣].

(١٧٤) وَلَهُ: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»**[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٤) (٢٨٨٢)، مع اختلاف طفيف في الألفاظ.

(٢) أخرجه مسلم (٥) (٢٨٨٢).

(٣) لم أجده عند أبي داود، وهو عند ابن ماجه (٤٠٨٣): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتَى أُكُلَهَا وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ، فَيَقُومُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ خُذْ»**.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٨٥).

(١٧٥) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ -قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ-؛ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي -أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي-، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، واسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي». صحّحه التِّرمذي(١).

(١٧٦) وَلَهُ -وَحَسَّنَهُ-: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ، فَسَأَلْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي المَهْدِيَّ، يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا» -زَيْدٌ هُوَ الشَّاكُّ- قَالَ: قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: «سِنِينَ. فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ! أَعْطِنِي. فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»(٢).

(١٧٧) وَرَوَى الشَّافِعِيُّ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، وَلَا مَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠)، وقال: (وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٣٢): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي المَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا» -زَيْدٌ الشَّاكُّ- قَالَ: قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: سِنِينَ. قَالَ: «فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي. قَالَ: فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ».

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٩)، وقد علق على هذا الحديث الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في الحاشية، قال: (في الزوائد: قال الحاكم في «المستدرك» بعد أن روى هذا المتن بهذا الإسناد: هذا حديث يعد في أفراد الشافعي، وليس كذلك؛ فقد حدث به غيره، وقد بسط السيوطي القول فيه، وخلاصة ما نقل عن الحافظ عماد الدين بن كثير أنه قال: هذا حديث مشهور بمحمد بن خالد الجندي الصناني المؤذن شيخ الشافعي. وروى عنه غير واحد أيضًا، وليس هو بمجهول، بل روي عن ابن معين أنه ثقة).

رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ عَنِ الجَنْدِيِّ. قَالَ الحَاكِمُ: مَجْهُولٌ. وَاخْتُلِفَ عَلَيهِ فِي إِسْنَادِهِ: فَتَارَةً يَرْوِيهِ عَنْ أَبَانَ؛ عَنْ ابْنِ عَيَّاش، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ ضَعْفِ أَبَانَ. وَتَارَةً عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَهُوَ مُنْفَرِدٌ بِهِ، مَجْهُولٌ عَنْ أَبَانَ، مَتْرُوكٌ عَنِ الْحَسَنِ، مُنْقَطِعٌ[١].



(١) انظر: إتحاف المهرة لابن حجر (١/ ٥٨١).

بَابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ

(١٧٨) وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ؛ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ كَتِفَيهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعٌ يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَي رَجُلَينِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَينِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ»[1].



(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٠، ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨)، ومسلم (٢٧٣-٢٧٥) (١٦٩)، (٢٧٧) (١٧١).

بَابٌ: مِنْ أَحَادِيْثِ الدَّجَّالِ

(١٧٩) وَلِابْـنِ أَبِي شَيْبَةَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ أَجْعَدُ، هِجَانٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّ رَأْسَهُ غُصْنَةُ شَجَرَةٍ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّي بْنِ قَطَنٍ**»[(١)].

(١٨٠) وَلِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، عَرِيضُ النَّحْرِ، فِيهِ انْدِفَاءٌ، مِثْلُ قَطَنِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى**».

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَضُرُّنِي يَا رَسُولَ اللهِ شَبَهُهُ؟، فَقَالَ: «**لَا، أَنْتَ مُسْلِمٌ، وَهُوَ كَافِرٌ**»[(٢)].

(١٨١) وَلِابْنِ مَاجَه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ، يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ. يَتْبَعُهُ أَفْوَاجٌ، كَأَنَّ وُجُوهَهُم الْمُجَانُّ الْمُطْرَقَةُ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٠): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ، جَعْدٌ، هِجَانٌ، أَقْمَرُ، كَأَنَّ رَأْسَهُ غَضَّةُ شَجَرَةٍ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَإِمَّا هَلَكَ الْهُلَّكُ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**».

(٢) أخرجه الطيالسي بلفظه في مسنده (٤/ ٢٦٤)، وأخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٢٨٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٢): عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ، يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ**».

(١٨٢) وَلِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ فِي مُسْنَدِهِ: عَنْ سَفِينَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، أَلَا وَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الشِّمَالِ. وبِالْيُمْنَى ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ...»، الحديث[١].

(١٨٣) وَلِأَبِي دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي كُنْتُ حدَّثْتُكُمْ عَنِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ حَتَّى خَشِيتُ أَلَّا تَعْقِلُوا. إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ قَصِيرٌ أَفْحَجُ، جَعدٌ أَعْوَرُ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا جَحْرَاءَ. فَإِنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْورَ»[٢].

(١٨٤) وَلِابْنِ أَبِي شَيبَةَ: عَنْ سَمُرَةَ بْنُ جُنْدُبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَذَكَرَ الدَّجَّالَ-، قَالَ: «وَإِنَّهُ مَتَى يَخْرجُ فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ اللهُ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصدَّقَهُ، فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلٍ سَلَفَ، ومَنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَهُ، فَلَيْسَ يُعَاقَبُ بِشَيءٍ مِنْ عَمَلٍ سَلَفَ، وَإِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَّا الْحَرَمَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَإِنَّهُ يَحْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ» الحديث[٣].

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/ ٤٢٩). وأخرجه أحمد (٣٦/ ٢٥٧)، والطبراني في الكبير (٧/ ٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠): عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٦)، مع اختلاف طفيف في الألفاظ.

(١٨٥) وَزَادَ التِّرْمِذِيُّ فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -عِنْدَ ذِكْرِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ: «وَيَسْتَوْقِدُ النَّاسُ مِنْ قِسِيِّهِمْ وَنُشَابِهِم وجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِيْن»[(١)].

(١٨٦) وَلِلْبَزَّارِ عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ لَيْسَ مِنْ فِتْنَةٍ صَغِيرَةٍ، وَلَا كَبِيرَةٍ إِلَّا تَتَّضَعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ فَمَنْ نَجَا مِنْ فِتْنَةِ مَا قَبْلَهَا، فَقَدْ نَجَا مِنْهَا، وَاللهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»[(٢)].

(١٨٧) وَلِابْنِ مَاجَه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ يَحْفِرَان كُلَّ يَوْم، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللهُ -تَعَالَى- أَشَدَّ مَا كَانَ؛ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ -تَعَالَى- أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفِرُونَهُ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى-، فَاسْتَثْنَوا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَسْقُونَ الْمَاءَ. وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُم فِي حُصُونِهِم؛ فَيَرْمُون سِهَامَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرْجِعُ عَلَيهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ نَغَفًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَتَقْتُلُهُمْ». قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ، وَتَشْكَرُ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِم»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي بهذه الزيادة (٢٢٤٠).

(٢) أخرجه البزار (٧/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٠) -واللفظ له-، والترمذي (٣١٥٣): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا =

بَابٌ فِي خُرُوجِ الدَّابَّةِ

(١٨٨) وَلِابْنِ مَاجَه: عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ، فَإِذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِذَا فِتْرٌ فِي شِبْرٍ**».

قَالَ ابْنُ بُرَيْدَةَ: فَحَجَجْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ، فَأَرَانَا عَصًا لَهُ فَإِذَا هُوَ بِعَصَايَ، هَذِهِ هَكَذَا، وَهَكَذَا[1].

(١٨٩) وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَعَصَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، **فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُوا، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ! وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ!**»[2]، وحسّنه التِّرمذي[3].

=يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَاسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ، وَتَشْكَرُ شَكَرًا، مِنْ لُحُومِهِمْ».

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٦).

(٣) سنن الترمذي تحت الحديث رقم (٣١٨٧).

(١٩٠) وَرَوَى ابْنُ جُرَيجٍ عَنِ ابْنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ وَصَفَ الدَّابَّةَ، فَقَالَ: «رَأْسُها رأسُ الثَّورِ، وعَيْنُهَا عَيْنُ الْخِنْزِيرِ، وأذنُها أذنُ فِيلٍ، وَقَرْنُهَا قَرْنُ أَيَّلٍ، وَصَدْرُهَا صَدْرُ أَسَدٍ وَلَوْنُهَا لَوْنُ نَمِرٍ، وخَاصِرَتُها خَاصِرَةُ هِرَّةٍ، وذَنَبُهَا ذَنَبُ كَبْشٍ، وقَوَائِمُها قَوَائِمُ بَعِيرٍ، بَيْنَ كلِّ مَفصلَيْنِ اثْنَا عَشَرَ ذِارعًا، مَعَهَا عَصَا مُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، وَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا نَكَتَتْهُ بِعَصَا مُوسَى نُكْتَةً بَيْضَاءَ، يَضِيءُ لَهَا وَجْهُهُ، وَلَا يَبْقَى كَافِرٌ إِلَّا نَكَتَتْ وَجْهَهَ بِخَاتَمِ سُلَيْمَانَ، فَيَسْوَدَّ لَهَا وَجْهُهُ، حَتَّى إِنَّ النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ: بِكَمْ يَا مُؤْمِنُ؟ بِكَمْ يَا كَافِرُ، ثُمَّ تَقُولُ لَهُمُ الدَّابَّةُ: يَا فُلَانُ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَا فُلَانُ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، [النمل:٨٢][١].

(١٩١) وَلِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ فِي مُسْنَدِهِ: عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّابَةَ، فَقَالَ: «**لَهَا ثَلَاثُ خَرجَاتٍ مِنَ الدّهْرِ: فَتَخْرُجُ فِي أَقْصَى الْبَادِيَةِ وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا فِي الْقَرْيَةِ** -يَعْنِي: مَكَّةَ- **ثُمَّ يَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلاً، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ ذَلِكَ، فَيَفْشُو ذِكْرُهَا فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا فِي الْقَرْيَةِ** -مَكَّةَ-».

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللهِ حُرْمَةً خَيْرِهَا وَأَكْرَمِهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا وَهِيَ تَرْغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ فَارْفَضَّ النَّاسُ مِنْهَا شَتَّى، وَيَثْبُتُ عِصَابَةٌ من الْمُؤْمِنِيْنَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُعْجِزُوا اللَّهَ -تَعَالَى- فَبَدَأَتْ بِهِمْ،**

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٢٤)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٥١٦).

فَجَلَّتْ وُجُوهَهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَالكَوكَبِ الدُّرِّيِّ، وَوَلَّتْ فِي الأَرْضِ، لا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ؛ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ، فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: يَا فُلَانُ، الْآنَ تُصَلِّي؟ فَتُقْبِلُ عَلَيهِ، فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ، وتَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَصْطَلِحُونَ فِي الْأَمْصَارِ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: يَا كَافِرُ! اقْضِ حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ! اقْضِ حَقِّي»[1].

(١٩٢) وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ عَنِ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ الرَّقَاشِيِّ -وَسُئِلَ ابْنُ مَعِينٍ، فَقَالَ: ثِقَةٌ-، عَنْ عَطِيَّةَ الْعُوفِيِّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ صَدْعٍ فِي الْكَعْبَةِ؛ كَجَرْيِ الفَرَسِ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَخْرُجُ ثُلُثُهَا[2].

(١٩٣) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مُسْلِمِ بْنِ مَخْلَدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، وَهُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ شِمَاسَةَ: اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ. وَأَمَّا أَنَا، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ،

---

(١) أخرجه الطيالسي (٢/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٣).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٥١٦)، وكذلك ذكره -أيضًا-: نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦٤- ٦٦٦)، وابن الجعد في مسنده (١/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٦٧)، والفاكهي في أخبار مكة (٤/ ١٦)، وابن جرير في تفسيره (١٨/ ١٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٥).

لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا كَمَسِّ الْحَرِيرِ، لا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[١].

(١٩٤) وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»[٢].

وَكَانَ مُطَرِّفٌ يَقُولُ: هُمْ أَهْلُ الشَّامِ[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦) (١٩٢٤): حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيُّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٨٤): عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ».

(٣) انظر: مسند البزار (٩/ ٢١)، ومستخرج أبي عوانة (٤/ ٥٠٩)، وتهذيب الآثار (٢/ ٨٢٤).

(١٩٥) قَالَ الْبَيهَقِيُّ: وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ طُرِقٍ صِحَاحٍ: أنّه قال: «الدّنْيَا سَبْعَةُ أَيّامٍ كُلّ يَوْمٍ أَلْفُ سَنَةٍ وَبُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي آخِرِهَا».

وَصَحَّحَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ هَذَا الأَصْلَ، وَعَضَّدَهُ بِآثَارٍ[1].

(١٩٦) ورَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: الدُّنْيَا جُمْعَةٌ مِنْ جُمَعِ الْآخِرَةِ[2].

(١٩٧) وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ: مُدَّةُ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ، الدُّنْيَا يومًا واحدًا فِي النَّارِ؛ وَإِنَّمَا هِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٌ ثُمَّ يَنْقَطِعُ الْعَذَابُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، إِلَى قَولِهِ: ﴿خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨١]، أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[3].

---

(١) ذكره أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف (٤/ ٢٣٨)، ثم قال: (وَصَحّحَ أَبُو جَعْفَرٍ الطّبَرِيّ هَذَا الْأَصْلَ، وَعَضّدَهُ بِآثَارٍ، وَذَكَرَ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْت أَنَا وَالسّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وَإِنّمَا سَبَقْتهَا بِمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ**»).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد (١/ ١٧٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٥٥- ١٥٦): ثنا ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَوْ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَتْ يَهُودُ يَقُولُونَ: إِنَّمَا مُدَّةُ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا يُعَذِّبُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّهَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠] الْآيَةُ».

وقال عبد بن حميد: أنا شبابة، عن ورقاء، عن أبي نجيح، عن مجاهد مثله[١].

(١٩٨) وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَا كَانَ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ، إِلَّا كَانَ عِنْدَ رَأْسِ الْمِائَةِ أَمْرٌ، فَإِذَا كَانَ رَأْسُ مِائَةٍ، خَرَجَ الدَّجَّالُ، وَنَزَلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُهُ»[٢].

(١٩٩) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**[٣].

(٢٠٠) وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ»**[٤].

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ»[٥].



---

(١) قال الطبري في تفسيره بعد هذا الأثر: (حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ، قَالَ: ثنا شِبْلٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا»، وَسَائِرُ الْحَدِيثِ مِثْلُهُ).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٧): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَا كَانَ منذ كَانَتِ الدُّنْيَا رأس مائة سنة، إلا كَانَ عند رأس المائة أمر. قَالَ: فتحت يأجوج ومأجوج».

(٣) أخرجه مسلم (١٧٢) (١٩٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٧) (١٥٦)، (١٧٣) (١٩٢٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٥) (١٠٣٧).

مراجع الكتاب

- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، المؤلف: حمود ابن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (المتوفى: ١٤١٣هـ)، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣.
- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د. زهير بن ناصر الناصر (راجعه ووحد منهج التعليق والإخـراج)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٩.
- اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق).
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤، عدد الأجزاء: ٦ أجزاء في ٣ مجلدات.

- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٤.
- الباعث على إنكار البدع والحوادث، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، المحقق: عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ - ١٩٧٨، عدد الأجزاء: ١.
- البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.

- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- تاريخ المدينة لابن شبة، المؤلف: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، عام النشر: ١٣٩٩ هـ.
- تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. إكرام الله إمداد الحق، الناشر: دار البشائر ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، المؤلف: محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني - القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

✿ تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

✿ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

✿ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

✿ جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

✿ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

- الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه، الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المؤلف: خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح]، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٢٢ (هذا القسم هو الأجزاء ٥ - ١٣ من الكتاب).
- جمهرة أشعار العرب، المؤلف: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤، عدد الأجزاء: ٦.
- ديوان طرفة بن العبد، المؤلف: طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: ٥٦٤ م)، المحقق: مهدي محمد

ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٧.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.
- الزهد لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.
- الزهد والرقائق لابن المبارك، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
- السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩.

✪ سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢ .

✪ سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤ .

✪ سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

✪ سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

✪ السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر

عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.
- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق ابن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.
- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، عدد الأجزاء: ٢ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: محمد

محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة؛ لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥.
- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٨.

- شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس).
- شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنـؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس).

- صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٥.
- عقيدة السلف - مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، نظمها: أحمد بن علي بن حسين بن مشرّف الوهيبي التميمي المالكي الأحسائي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة، عدد الأجزاء: ١.
- غريب الحديث، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٤.
- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، المؤلف: محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى: ٣٣٠هـ)، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١.
- غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.
- الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.
- قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢، عدد الأجزاء: ١.
- كتاب الفتن، المؤلف: أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢، عدد الأجزاء:٢.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.

۞ الكتاب: الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

۞ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠.

۞ لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

۞ اللمع في أصول الفقه، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ١.

۞ لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الصفحات: ٤٦، عدد الأجزاء: ١.

۞ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.

۞ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

۞ مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: جـ ١، ٢/ الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جـ ٣/ الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جـ ٤/ الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤، عدد الأجزاء: ٤.

۞ المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٢.

۞ المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص (المتوفى: ٣٩٣هـ)، المحقق: نبيل سعد الدين جرار، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء:٢.
- مستخرج أبي عوانة، المؤلف: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٥.
- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤.
- مسند ابن الجعد، المؤلف: علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط

- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١٨.

- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

- مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ٤.

- مشيخة القزويني، المؤلف: عمر بن علي بن عمر القزويني، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: ٧٥٠هـ)، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري،

الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥، عدد الأجزاء: ١.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء: ٥.
- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.
- معجم الشيوخ، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: الدكتورة وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر - دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٣.
- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المؤلف: عثمان ابن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.
- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.
- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، المؤلف: أبو عبد الله، محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ١.

۞ الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ) الأجزاء ١ – ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت، الأجزاء ٢٤ – ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩ – ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

۞ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣م، عدد الأجزاء: ٤.

۞ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

۞ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: محمد بن علي ابن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل – بيروت، عدد الأجزاء:٤.

۞ الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،

الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

- الورقات، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: د. عبد اللطيف محمد العبد، عدد الأجزاء: ١.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، عدد الأجزاء: ٧.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ٤.

- الموقظة في علم مصطلح الحديث، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- اختصار علوم الحديث، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ١.



فهرس الموضوعات

تم بحمد الله